

المحاسن والأضداد

للبحر المحظوظ

من أجمع الأدباء والمتقدمون والمتأخرون
على تقليده زمامة الاجادة في التحرير
ورئاسة الافادة في التسطير بحلالة زمامه
ووحيد أوانه أبو عثمان بن بحر المحظوظ

منشورات

مكتبة العرفان

BOBST LIBRARY



3 1142 02734 3733

01040604



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

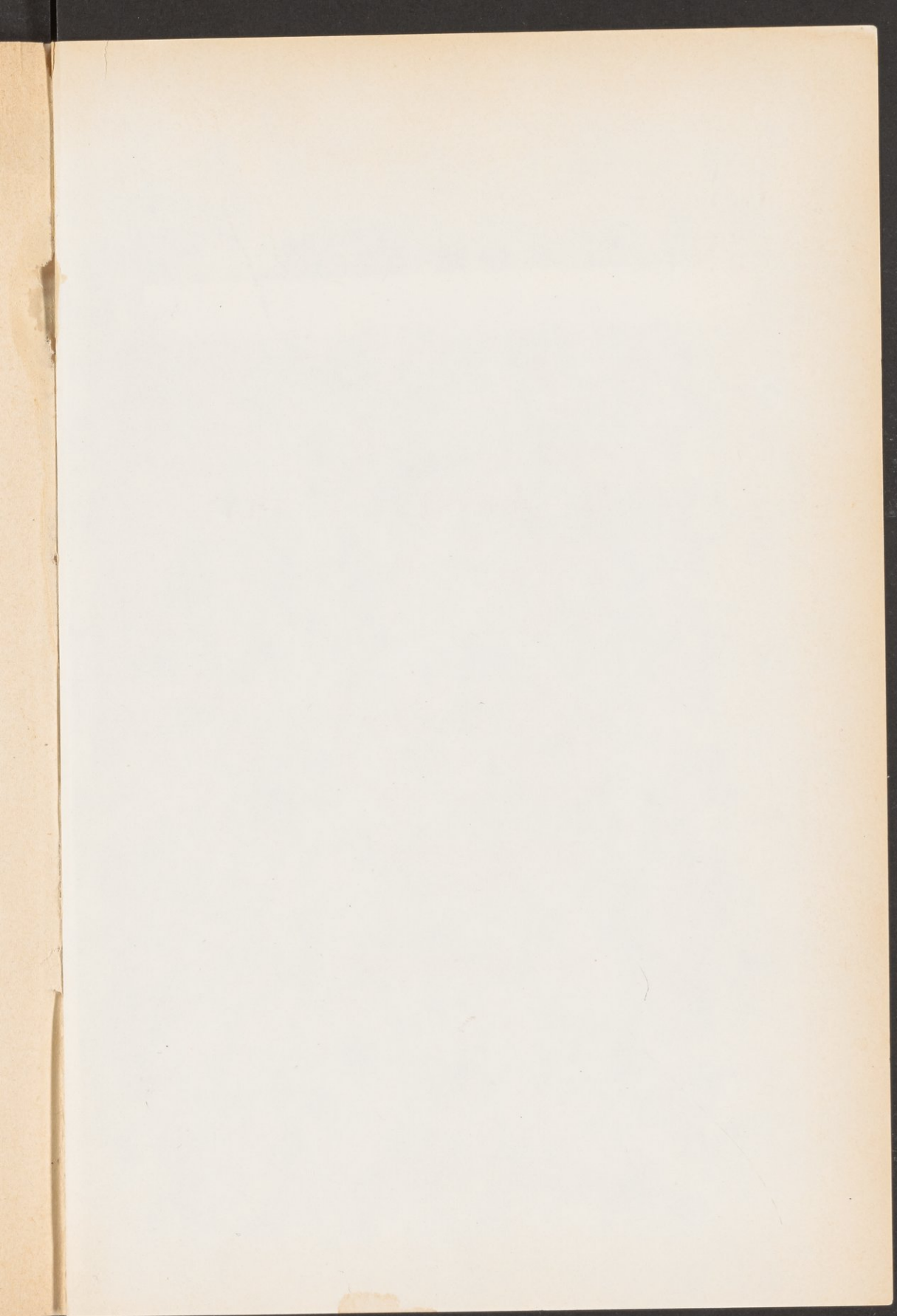
DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		
RETURNED DEC 12 2011 BOBST LIBRARY BOBST LIBRARY CIRCULATION	Due: 01/26/2013 08:00 PM al-Mahasini wa-al- addad / 31142027343733 Bobst Library	DUE DATE FEB 13 2008 BOBST LIBRARY CIRCULATION JUN 30 2008
NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES		
CENTRAL UNIVERSITY LIBRARY		
PHONE/WEB RENEWAL DUE DATE		

NYU Repro:159185

DATE DUE



LIBRARY OF THE UNIVERSITY OF CHICAGO



٢

/al-Mahāsīn wa-al-Addād/

المحاسين والاضداد

تألف
al-Jāhiz, 'Amr ibn Bahr

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

إمام أهل الأدب المتوفي سنة ٢٥٥ هـ

5

front

دار مكتبة العرفان

٥

مطبعة الساحل الجنوبي

N. Y. U. LIBRARIES

no 522

Near East

PJ

7745

J3

M3

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الاعانة

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين .

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله : اني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسي ، فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته ، وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والخط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يحتاجون عند ذلك اتيان ابل المقتلة ، فان أمكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصده وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب فحربوا نقاباً ونقريباً بليغاً وحاذقاً فطنا وأعجزتهم الحيلة مرقوا معاني ذلك الكتاب والفوا من أعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وتلبوه لما رأوه منسوباً الي وموصوماً بي . وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيبي وأحبله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعناني ومن أشبه هؤلاء ممن مؤلفي الكتب فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من

هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته علي ويكتبونه بخطوطهم
ويصرونه إماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون
ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه غني لغيرهم من طلاب ذلك
الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه ، لأنه لم يترجم باسمي ولم
ينسب الى تأليفي . وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن والاضداد) لم أسبق الى
نخلته ولم يسألني أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته
في ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد اذا حسد

١ - محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيم مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير
وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون ، ثم إن العرب
شاركت العجم في البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار ، فلها
من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شعوب
والأبلى الفرد وغير ذلك من البنيان ، وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمآثر
على سمر الأيام والدهور من البنيان ، لان البناء لا محالة يدرس وتعفى
رصوره والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبداً
جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير.
وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة
في البنيان ، فربما كانت الكتاب هو النائي وربما كان هو المحفور اذا
كان ذلك تاريخاً لامر جسيم أو عهداً لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها
أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب
الفيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق
الفرد وعلى باب الرها . يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة

فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع الى موضع استدكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ، ولولا ما رسمت لنا الاوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد نجس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية ، ومنهم من يفرط في العلم أيام خموله وتوكل ذكره وحدائه سنه ، ولولا جياذ الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وألفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير ، وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتابا فاجد اهتزازي للفوائد الاربجية التي تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فاني اذا استعصمت كتابا واستجدته ورجوت فائدته لم أوتر عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحية كان عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكانت لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب معه : هديني هذه أعزك الله تركو على الانفاق

وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقلب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطواع ونديم صدق ، وقال بعض الحكماء الكتب بسانين العلماء ، وقال آخر . الكتاب جليس لا مؤنة له ، وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة ، وقال آخر : ذهب الكارم إلا من الكتب .

قال الجاحظ : وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد العربية ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والتزبل . والكتاب وعاء مليء علما وظرف حشى ظرفا وانا شعن مزاحا إن شئت كان أعيان من باقل ، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل ، وإن شئت سرتك نواذره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مثله وبناسك فانك وناطق أخرس ، ومن لك بطبيب اعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب تمتع ، ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والنافع والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والفن والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن من الأرض وأكرم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملا ولا ابراما ولا أبعد من وراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ، ولا أعم بياناً ولا أحسن مؤاتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبان من

كتاب ، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاختبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا وورده خمسا وإن شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو المجلس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يقلبك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزبدك والجار الذي لا يستبطنك والصاحب الذي لا يريـد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمركر ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطل امتاعك وشغذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصدافة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلم إن افتقرت اليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه بادنى جبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليهمهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمين مال ورب صنعة وابتداء إنعام . ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للعقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة . وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس بما

يل لأنه وإن كان كتاباً واحداً فإنه كتب كثيرة في خطابه والعلم
بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير ، وقال مصعب بن الزبير :
إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون
ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب فخذ من أفواه الرجال
فإنك لا ترى ولا تسمع إلا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً ، وقال لقمان لابنه :
يا بني ناس في طلب العلم فإنه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب ،
ونفيس حظ من الناس وفي الناس مطلوب ، وقال الزهري : الأدب ذكر
لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم ، وقال : إذا
سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط ، وقال منصور بن المهدي للأُمون :
أحسن بنا طلب العلم والأدب قال : والله لأن أموت طالبا للأدب خير لي
من أن أعيش قانعا بالجهل قال : فإلى متى يحسن بي ذلك قال : ما
حسن الحياة بك .

(ضده)

الحديث المرفوع (رحم الله عبداً أصلح من لسانه) . وكان الوليد بن عبد
الملك لحنة فدخل عليه أعرابي يوماً فقال : أنصفني من ختني يا أمير المؤمنين
فقال ومن ختنك ؟ قال رجل من الحي لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد
العزیز : إن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك ؟ فقال هو ذا بالباب فقال
الوليد لعمر ما هذا ؟ قال النحو الذي كنت أخبرتك عنه ، قال لا جرم
فإني لا أصلي بالناس حتى أتبعه ، قال وسمع أعرابي مؤذنا يقول : أشهد
أن محمداً رسول الله فقال يفعل ماذا ؟ قال وقال رجل لزياد : أيها
الأمير إن أبينا هلك وإن أخينا غضبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد
ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك
حيث ترك ابننا مثلك . وقال مولى لزياد : أيها الأمير أخذوا لنا همار

وهش ، فقال : ما تقول ، فقال : أخذوا لنا إيراً ، فقال زياد الاول خير من الثاني . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحضان فقال الحاجب : هما فقد أوديتا أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد إزاء منها . ، قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهِ يَكَلِّمُهَا صَنَعْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ، قال وكان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحويًا فدعا غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال . من لدن دأوتك الى أن ديتني ما كنت تصناً ، يريد دعوتك وجئتني وتضع ، ومر ماسرجويه الطيب بمعاذ بن مسلم فقال : يا ماسرجويه اني لاجد في حلقي بمحا قال هو من عمل بلغم . فلما جاوزة قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فأجبتة بضدها .

٢ - محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرية ، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينما هو عنده إذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ؟ قال : ولد أمير المؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لابيک فيک وبارک لهم فيک كما بارك لك في أبيک ، قال : فشحن فاه درأ ، قال وقال حمارة بن حمزة لابي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرون شكرنا

عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك . قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم
الموصلي على الرشيد فقال : مالك ؟ قال :

سوامي سوامُ الكثيرين تجملاً
ومالي كما قد تعلمين قليلاً
وأمره بالبخل قلت لها أقصري
فذلك شيء ما إليه سبيل
وكيف أخاف الفقر أو أحرّم الغني
ورأي أمير المؤمنين جميل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
نجيلاً له في العالمين خليل

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت أركانه
ومبانيه ولد على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل إليه خمسين
الف درهم ، قال اسحاق يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت
شعري بأكثر مما مدحتك به ؟ قال الأصمعي : فعلت انه أصيد للدراهم
مني . قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه
قلم فقال : من أنت ؟ قال : أنا الناشئ في دولتك المنقلب في نعمتك
المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسان في البديهة
تفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة
ألف درهم تقوية له ، قال : ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو
غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى

المأمون فقال ليحيى يوماً أدخل الى هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه
 فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحير فاراد الكلام فارتج عليه فادرسته
 كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه
 فانبعث الفضل بن سهل فقال : يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على
 فراهة المملوك شدة افراط هيئته لسيدته فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن
 كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك
 انه لأحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء الا رآه فيه مقدماً فضمه
 الى المأمون ، قال : وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض
 أهل بيوتات دهاقين سر قد كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك : هب
 لوعدك مذكراً من نفسك وهنيء سائلك حلاوة نعمتك واجمل ميلك الى ذلك
 في الكرم حشاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم
 والالسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤالني بما ترى
 فيهم وآخذك في التقصير فيما يلزم لهم من غير استثمار أو معاودة في اخراج
 الصكك من أحضر الاموال متناولاً قال اذاً لا تجدي معرفتي بما يجب لامير
 المؤمنين اثناء به بما يديم له منهم حسن الشئاء ويستمد بدعائهم طول البقاء .
 وقال الفضل بن سهل للمأمون . يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه
 خدمك عن اراقة ماء في غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك .
 قال ودخل العتاني على المأمون فقال : خبرت بوفاتك فغممتني ثم جاءني
 وفادتك فسررتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين
 الا بك ولا دنيا الا معك ؟ قال سلفي ما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لساني
 بالمسالة . قال وقدم السعدي ابو وجزة على المهلب بن ابي صفرة فقال : أصلح الله
 الامير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يشرب قال
 فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة ؟ قال لا ولكني رأيتك حاجتي أهلاً فان
 قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم اذمم يومك ولم أياس من
 غذك فقال المهلب يعطي ما في بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعته

إليه فآخذها وقال :

يَا مَنْ عَلَى الْجُودِ صَاغَ اللَّهُ رَاحَتَهُ
فَلَيْسَ يُحْسِنُ غَيْرَ الْبَذْلِ وَالْجُودِ
عَمَّتْ عَطَايَاكَ مَنْ بِالْشَّرْقِ قَاطِبَةٌ
فَأَنْتَ وَالْجُودُ مَنَحَوْتَانِ مِنْ عَوْدِ

وقد يجب على العاقل الراغب في الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها ، وقد قال الأصمعي :

أَمَا لَوْ أَعْيَ كُلُّ مَا أَسْمَعُ	وَأَحْفَظُ مِنْ ذَاكَ مَا أَجْمَعُ
وَلَمْ أُسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ	أَقِيلَ أَنَا الْعَالَمُ الْمُقْنِعُ
وَلَكِنْ نَفْسِي إِلَى كُلِّ شَيْءٍ	مِنْ الْعَالَمِ تَسْمَعُهُ تَنْزِعُ
فَلَا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ	وَلَا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ
وَأَقْعُدُ لِلْجَهْلِ فِي مَجْلِسِ	وَعِلْمِي فِي السُّكُتِ مُسْتَوْدَعُ
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا	يَكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرَى مَرْجِعُ
يَضِيعُ مِنَ الْمَالِ مَا قَدْ جَمَعْتُ	وَعِلْمُكَ فِي السُّكُتِ مُسْتَوْدَعُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا	فَجَمْعُكَ لِلْكَتَبِ مَا يَنْفَعُ

وقال بعضهم : الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد
وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل ، وفيها قال الشاعر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى
فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وقيل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالعلامة
على المدر .. فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر
شغلا كما قال :

وَإِنْ مَنْ أَدَبَتْهُ فِي الصَّبِيِّ كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

والصبي عن الصبي أفهم وهو له آلف ، واليه أنزع . وكذلك العالم عن
العالم والجاهل عن الجاهل ، وقال الله تعالى (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَلَسَ بِهِ
رَجُلًا) لان الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

(ضده)

قال : دخل أبو علقمة النخعي على أعيان الطبيب فقال : اني أكلت
من لحوم الجوازيء وطشئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى داية العنق
فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء ؟ قال نعم خذ
خوقا وسربقا ورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدري ما تقول فقال
ولا أنا دريت ما قلت . قال وقال يوما آخر اني أجسد معمة في قلبي
وقرقرة في صدري فقال له أما المعمة فلا أعرفها وأما القرقرة فهي ضراط
غير نضيج . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه
فقال أصلح الله الأمير ان لي على هذا حقا قد غلبني عليه فقال له الآخر

أصلحك الله ان هذا باعني عنجدا واستنساته حولا وشرطت عليه أن أعطيه
مياومة فهو لا يلقياني في لقم الا اقتضاني ذهابا فقال له الهيثم أمن بني أمية
أنت ؟ قال لا قال أمن بني هاشم أنت ؟ قال لا قال أمن أكفائهم من
العرب ؟ قال لا قال ويلي عليك أنزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه
قال أصلحك الله ان إزاري مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب في موضع
لتركه في هذا الموضع . قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به
مرة فوثب عليه قوم ففعلوا بعصرون إيهامه ثم يؤذنون في أذنه فأفلت من
أيديهم فقال ما لكم تتكأ كأون على تكأ كؤم على ذي جنة افرقعوا عني
فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . قال وقال الحجام
يحببه اسدد قصب الملازم وارهدف طبة المشارط وخفف الوضع وعجل
النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن أبيا ولا تودن أنيا
فوضع الحجام محاجمه في جوثته وانصرف .

٣ - محاسن المكاتبات

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير . . قد أذنبت ذنبا الى الوليد بن
عبد الملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه . لو لم
يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريوته لوجب أن لا تحرمه
التقيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بي
اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتي بك
تجد الشكر وإفيا بالنعمة . فكتب اليه الوليد . . قد شكرت رغبته اليك
وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله
وفي سائر أمورك . وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى
بعض اخوانه . أما بعد فقد عافني الشك عن عزيمة الرأي ابتدأتني بلطف

من غير خبرة ثم أعقبني جفاء من غير ذنب فاطمعي أولك في احسانك
 وأيا سني آخرك من وفائك فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا في
 غد أنتظره منك على ثقة فسيحان من لو شاء كشف لإيضاح الرأي فيك
 فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف . قال وسخط مسلمة بن عبد الملك
 على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد
 العزيز فكتب اليه : ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوي الاسنان ومن اظهار
 شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام السودد حفظ الودائع
 واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة
 سخطك وما أنصفته غضبه ؛ على أن وليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه
 فاحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما
 أودعته وتتوى (١) ما أفسدته : فعفا عنه ورده الى عمله : قال وغضب
 سليمان بن عبد الملك على ابن عميد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك
 فكتب اليه : أما بعد فان أمير المؤمنين في الموضع الذي يرتفع قدره عما
 تقتضيه رعيته وفي عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين : ف رضي عنه . قال وطلب
 العتابي من رجل حاجة ففضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه : أما
 بعد فقد تركتني منتظراً لوعدك منتجزاً لرفدك وصاحب الحاجة محتاج
 الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المثل الطويل . وقد
 قلت بليتي شعر :

بَسَطْتُ لِسَانِي مِمَّ أَوْثَقْتَ نِصْفَهُ

فَنِصْفُ لِسَانِي بِأَمْتِدَاحِكَ مُطْلَقُ

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُنْجِزْ عِدَاتِي تَرَكْتَنِي

وَبَاقِي لِسَانِ الشُّكْرِ بِأَلْيَاسٍ مَوْثِقُ

قال : وكتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون في رجل من بني ضبة يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضاً : أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطولك علي في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتقون به وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام . فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما ووقفناك عليهما : قال وكتب عمرو ابن مسعدة إلى المأمون كتاباً يستعطفه على الجند : كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلي من أجناده وقواده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ، فقال المأمون : والله لأقضي حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر . قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قرش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل في رقعة مني إلى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب : ان رأي أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربة المطل بقضاء حاجته ويأذن له في الانصراف إلى بلده فعل إن شاء الله ، فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وإيجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحسننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له . وحدثنا اسماعيل بن أبي شاذان قال : لما أصاب أهل مكة السيل الذي شارب الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين إلى المأمون : ان أهل حرم الله وجيران بيته وآلاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أخرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف الاقبال حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة إلى البكاء على الامهات والاولاد والآباء

والاجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بمطفك عليهم واحسانك اليهم تجدد الله مكانتك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم . قال فوجه اليهم المأمون بالاموال الكثيرة وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله أمير المؤمنين فبكم بقلب رحمة وانجدهم بسبب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته . قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكة من الأموال التي أنفدها اليهم . قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستغفیه من العمل : شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه : قال وكتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي : ما أدري كيف أصنع أغيب فاشتاق وألتقي ولا أشتفي ثم يحدث لي اللقاء الذي طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقه للوعة الفرقة : قال وكتب معقل الى أبي دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعلى غيرك . وكتب أبو هاشم الحرابي الى بعض الامراء : غرضي من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز : وكتب آخر الى صديق له : أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصىه مع كثرة ما نعصيه وما ندوي ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفا غير انه يلزمنا في كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله في حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه .

(ضده)

(قال الجاحظ) كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد : جعلت فداك برحمته : قال وقرأت على عنوان كتاب لابي الحسن الشمري :

للموت لنا قبلة : وقرأت أيضاً على عنوان كتاب : الى الذي كتب إلي

٤ - محاسن الجواب

قال : دخل رجل على كسرى أبرويز ، فشكا اليه عاملاً غصبه على ضيعة له ، فقال له كسرى : منذ كم هي في يدك ؟ قال منذ أربعين سنة قال : فانت تأكلها اربعين سنة ما عليك أن يأكل عاملي منها سنة واحدة فقال : وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة ؟ فقال : ادفعوا في قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال : دخلت بظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى : ردوه وأمر برد ضيعته وصيره في خاصته . ويقال : ان سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية قال له : أنت سعيد قال : أمير المؤمنين سعيد ، وأنا ابن مرة . قال : ودخل السيد بن أنس الأزدي على المأمون ، فقال : أنت السيد ؟ فقال : انت السيد يا أمير المؤمنين ، وأنا ابن أنس . قال : وقيل للعباس ابن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا ولدت قبله . قال : وقال الججاج المهبلي أنا أطول أم أنت ؟ قال : الامير أطول وأنا أبسط قامة منه . قيل : ووقف المهدي على امرأة من بني ثعل فقال لها : بمن العجوز ؟ قالت من طيء ؟ قال ، ما منع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت : الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك وأعجب بقولها ووصلها ، قيل : وما استوثق أمر العراق لعبدالله بن الزبير وجه مصعب اليه وفداً فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلاً من أهل الشام ، فقال رجل من أهل العراق : يا امير المؤمنين علقناك وعلقت بأهل الشام وعلق أهل الشام بآل مروان ، فما أعرف لنا مثلاً إلا قول الأعشى :

عُلِّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَ الرَّجُلِ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا . قال : وقال مسلمة بن عبد الملك :
ما شيء يؤتى العبد بعد الإيمان بالله تعالى أحب إلي من جواب حاضر فان
الجواب إذا انعقب لم يكن شيئا .

(ضده)

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو
ابن الأهثم فذكر عمرو الزبرقان قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه
لطعام جواد الكف مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره
فقال الزبرقان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من
هذا ولكنه يحسدني ، فقال عمرو : والله يا نبي الله ان هذا لزمير المروءة
ضيق العطن لئيم العم أحق الخال ، فرأى الكراهية في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله ما كذبت في
الأولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت
وصغظت فقلت أسوأ ما أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إن من البيان لسجرا وإن من الشعر لحكما) ، وذكروا أن الوليد بن
عقبة قال لعقيل بن أبي طالب : غلبك على الثروة والعدد . قال : وسبقني
ولياك الى الجنة . قال الوليد : أما والله إن شديك لمتضيقان من دم
عثمان ، قال عقيل : ما لك ولقريش ؟ وإنما أنت فيهم كمنيع الميسر ،
فقال الوليد : والله إني لأرى لو أن أهل الأرض اشتبكوا في قتله
لوردوا صعودا ، فقال له عقيل : كلا أما ترغب عن صحبة أبيك . قال
وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك ؟ قال خالد بن صفوان
ابن الأهثم ، قال : ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان

وهو حجر وان جددك لأهم والصحيح خير من الأهم ، قال له خالد :
 من أي قریش أنت ؟ قال من عبد الدار بن قصي بن كلاب ، قال :
 لقد هشتك هاشم وأمتك أمية وجمعت بك جمع وخزمتك مخزوم وأقصتك
 قصى فجعلتك عبد دارها تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا . قيل :
 ومرو الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له : يا أبا فراس من القائل :

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لَاقَيْنِ مِثْلُهُ

لِفَطْحِ الْمَسَاحِي أَوْ لِبَدْلِ الْأَدَاهِمِ

قال الفرزدق : الذي يقول :

هُوَ اللَّصُّ وَابْنُ اللَّصِّ لَا لَصٍّ مِثْلُهُ

لِنَقْبِ جِدَارٍ أَوْ لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

٥ - محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي : مقتل الرجل بين فكليه - يعني لسانه - وقال :
 رب قول أشد من صول ، وقال : لكل ساقطة لاقطة ، وقال المهلب
 لبنيه : اتقوا زلة اللسان فاني وجدت الرجل تشر قدمه فيقوم من عثرته
 ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه . قال يونس بن عبيد : ليست خلة من
 خلال الخير تكون في الرجل هي أخرى أن تكون جامعة لانواع الخير
 كلها من حفظ اللسان . وقال قدامة بن زهير : يا معشر الناس ان
 كلامكم أكثر من صمتكم فاستمعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر .
 وكان يقال : ينبغي للماقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم

يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه ، وقال الشاعر :

عَلَيْكَ حِفْظُ اللِّسَانِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّ جُلَّ الْهَلَاكِ فِي زَلِّهِ

غيره

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَأْسُوهُ فَيَبْرَأ وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ
جِرَاحَاتُ الطَّعَانِ لَهَا التَّيَامُ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

غيره

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فِتْنَتِي إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

غيره

لَعَنُوكَ مَا شِئْتَ عَلِمْتُ مَكَانَهُ أَحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلَّلٍ
عَلَى فَيْكِ مِمَّا لَيْسَ بِغَنِيكَ قَوْلُهُ بِقُفْلٍ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتَ فَأَقْفَلِ

قيل : تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد : قال كسرى : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت ، وقال ملك الهند : إذا تكلمت بكلمة ملكتي وإن كنت أملكها ، وقال قيصر : لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت ، وقال ملك الصين : عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول ، وقال بعضهم : من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب إليه من النطق إذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم ، وقال بعض الحكماء : من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر

على أن يصبت فيحسن ، وقال بعضهم : كان ابن عبيدة الرحجاني المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول : الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصاة من زيف المنطق وسلامة من فضول القول ، وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي : كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ، وكان يقال : من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يكره الانبعاث في الكلام يرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته) ، قيل : وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال : أنساني أول كلامك طول عهده وفارق آخره فهمي لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكى امرأته فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت تقتل ظلماً قال : وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظلماً . وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقتل له : حملت عنه فقال : ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ، وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال : حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال : يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله — يعني المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين ، فأدخلت حجرة فإذا أنا بالمعتز قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسأل دمه فجعل يغسل الدم ، ويقول :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةِ بِلْسَانِهِ

وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

فقلت في نفسي : ضمنت الى من أريد أن أتعلم منه .

(ضمد)

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال : انك تمدح الصمت بالمنطق

ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شيء فهو أفضل منه ، وسئل آخر عنها فقال : أخزى الله المساكنة ما أفسدها للسان وأجلبها للعبي ووالله للمهارة في استخراج حق أهدم للعبي من النار في يابس العرفج ، فقبل له : قد عرفت ما في المهارة من الذم ، فقال : ما فيها أقل ضرراً من السكينة التي تورث عللاً وتولد داء أيسره العبي ، وقال بعض الحكماء : اللسان عضو فان مرتته مرن وإن تركته حرن ، ومن أفرط في قوله فاستقبل بالحلم ، ما حكى عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام : يا لقطه فصمت أبو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذراً خاضعاً ومتنصلاً ، فلما رأى ذلك أبو مسلم قال : لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لي ، لأنني جرأتك على نفسي بطول احتيالي منك ، فان كنت معتبداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر يسعك ، وقد غفرت لك على كل حال ، قال شهرام : أيها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً قال : أجل ، قال : وان عظيم ذنبي لمن يدع قلبي يسكن ولج في الاعتذار ، فقال أبو مسلم : يا عجباً كنت تسيء وأنا أحسن ، فاذا أحسنت أسأت .

٦ - محاسن كتمان السر

قال : كان المنصور يقول : الملك يحتمل كل شيء من أصحابه الا ثلاثاً إفشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك ، وكان يقول : سرّك من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول : سرّك لا تطلع عليه غيوك وإن من انفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ، وقيل لأنبي مسلم : بأي شيء أدركت هذا الامر ؟ قال : ارتديت بالكتمان واترت بالحزم

وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتي وحزت بغيتي ، وأنشد
في ذلك :

أدركتُ بالعزمِ والكتمانِ ما عجزتُ
عنهُ ملوكُ بني مروانِ إذ حشدوا
ما زلتُ أَسْعَى عَلَيْهِمْ في ديارهمُ
والقَوْمُ في مُلْكِهِمُ بالشَّامِ قد رقدوا
حتى ضَرَبَتْهُمُ بالسَّيْفِ فانتَبَهوا مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ يَنْمَها قَبْلَهُمْ أَحَدُ
وَمَنْ رَعَى غَنَمًا في أَرْضِ مَسْبَعَةٍ وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعِيَهَا الْأَسَدُ

قال : وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه : جنبني خلاصا
أربعاً : لا تطربني في وجهي ولا تجرين على كذبة ولا تغتابن عندي أحداً
ولا تفشين لي سراً . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (استعينوا على
إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذي نعمة محسود) وأنشد اليزيدي
في ذلك :

النَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ سِرِّ إِذَا اشْتَمَلَتْ
مِنْ عَلى السَّرِّ اضْلَاعٌ وَأَحْشَاءُ

غيره

وَنَفْسِكَ فَاحْفَظْهَا وَلَا تُفْشِرِ لِلْعَدَى
مِنْ السَّرِّ مَا يَطْوِي عَلَيْهِ ضَمِيرُهَا

فَمَا يَحْفَظُ الْمَكْتُومَ مِنْ سِرِّ أَهْلِهِ
 إِذَا عُقِدَ الْأَسْرَارُ ضَاعَ كَثِيرُهَا
 مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا ذُو عَفَافٍ يُعِينُهُ
 عَلَى ذَاكَ مِنْهُ صِدْقُ نَفْسٍ وَخَيْرُهَا

قال معاوية بن أبي سفيان : أعتت على علي بن أبي طالب بأربع خصال : كان رجلاً ظاهرة علته لا يكتم سرا وكانت كتوماً لسري وكان لا يسعى حتى يفاجئه الأمر مفاجأة وكانت أبادر إلى ذلك وكان في أخبت جند وأشدهم خلافاً وكانت في أطوع جند وأقلهم خلافاً وكانت أحب إلى قریش منه فقلت ما شئت فله من جامع إلي ومفروق عنه . وكان يقال : لسكاتم سره من كتمان إحدى فضيلتين : الظفر بحاجته والسلامة من شره ، فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ، ومن أساء فليستغفر الله . وقال بعضهم : كتمانك سرّك يعقبك السلامة وإفشاؤك سرّك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم على إفشائه . وقال بعضهم : ما أقبح بالإنسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سر نفسه وسر أخيه ، ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن إلا نفسه ان لم يستقم له . وقال معاوية : ما أفشيت سري إلى أحد إلا أعقبني طول الندم ومدة الأسف ولا أودعته جوارح صدري فحكمته بين أضلاعي إلا أكسبني مجداً وذكرًا وسناء ورفعة فليل : ولا ابن العاص قال : ولا ابن العاص . وكان يقول : ما كنت كاتمًا من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أمر أخيك على أحسنه ولا تظن بكلمة خرجت منه

سوءاً ما كنت واجداً لها في الخير مذهباً وما كفأت من عصى الله فيك
بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة
عند الرخاء وعصية عند البلاء (. وحدث ابراهيم بن عيسى قال :
ذاكرت المنصور ذات يوم في أبي مسلم وصونه السر وكتبه حتى فعل ما
فعل ، فأنشد :

تَقَسَّمَنِي أُمْرَانِ لَمْ أَفْتَحْهُمَا بَجَزْمٍ وَلَمْ تَعْرُكْهُمَا لِي الْكَرَاكِرُ
وَمَا سَاوَرَ الْأَحْشَاءُ مِثْلُ دَفِينَةٍ مِنْ أَلْهَمٍ رَدَّتْهَا إِلَيْكَ الْمَعَاذِرُ
وَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءَ عَدْنَانِ أَنِّي عَلَى مِثْلِهَا مِقْدَامَةٌ مُتَجَاوِرُ
وقال آخر :

صُنِ السِّرُّ بِالْكِتْمَانِ يُرْضِكَ غَيْبُهُ فَقَدْ يَظْهَرُ السِّرُّ الْمُضِيعُ فَيَنْدَمُ
وَلَا تُفْشِيَنَّ سِرًّا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَيَظْهَرُ خَرْقُ الشَّرِّ مِنْ حَيْثُ يُكْتَمُ
وَمَا زِلْتُ فِي الْكِتْمَانِ حَتَّى كَأَنَّني بِرَجْعِ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْهُ أَعْجَمُ
لِنَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسْلَمِي
سَلِمْتُ وَهَلْ حَيٌّ عَلَى الدَّهْرِ يَسْلَمُ
وقال آخر :

أَمِنِي تَخَافُ أَنْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِي فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْ لَمْ أَصْنُهُ لِبَقِيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

وقال أبو نواس :

لَا تُفْشِ أَسْرَارَكَ لِلنَّاسِ وَدَاوِ أَحْزَانَكَ بِالْكَاسِ
فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَلَى مَا بِهِ أَزَافُ بِالنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وقال المبرد : أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما روى
لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

لَعَنُوكَ إِنْ وُشَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَنْزُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحَا
فَلَا تُبْدِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

وقال العتيبي :

وَلِي صَاحِبُ سِرِّي الْمُسْتَكْتَمُ عِنْدَهُ مَحَارِقُ نِيرَانِ بَلْبَلٍ تُحْرِقُ
غَدَوْتُ عَلَى أَسْرَارِهِ فَكَسَوْتُهَا ثِيَابًا مِنَ الْكِتْمَانِ مَا تَتَخَرَّقُ
فَمَنْ كَانَتْ الْأَسْرَارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ فَأَسْرَارُ صَدْرِي بِالْأَحَادِيثِ تُفَرِّقُ
فَلَا تُوَدِّعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحْمَقًا فَإِنَّكَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ مِنْهُ أَهْمَقُ
وَحَسْبُكَ فِي سِتْرِ الْأَحَادِيثِ وَاعْظَا مِنَ الْقَوْلِ مَا قَالَهُ الْأَدِيبُ الْمُؤَفَّقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السَّرَّ أَضِيقُ

وقال آخر :

لَا يَكْتُمُ السَّرَّ إِلَّا مُكَلُّ ذِي خَطَرٍ فَالسَّرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومٌ

وَالسَّرُّ عِنْدِي فِي يَنْتِ لَهُ غَلَقٌ قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَابُ مُرْدُومٌ

قيل : دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبه ، فقال :
ما أحسنت في حبك ولا أجملت في إذاعة شرك ، فقال :

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ سَيَكْتُمُ حُبَّهُ

أَوْ يَسْتَطِيعُ السِّرَّ فَهُوَ كَذُوبٌ

الْحُبُّ أَغْلَبُ لِلرُّجَالِ بِقَهْرِهِ مِنْ أَنْ يُزَيَّ لِلسَّرِّ فِيهِ نَصِيبٌ

وَإِذَا بَدَأَ سِرُّهُ اللَّيْبُ فَإِنَّهُ لَمْ يَدُ إِلَّا وَالْفَتَى مَغْلُوبٌ

إِنِّي لَأَحْسُدُ ذَاهَوًى مُسْتَحْفَظًا لَمْ تَتَّهَمْهُ أَعْيُنٌ وَقُلُوبٌ

فاستمعن المهدي شعره وقال : قد عذرتك على إذاعة شرك ووصلناك
على حسن عذرك ان كتمان السر أحسن من إذاعته . وقال زياد : لكل
مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان : إذاعة السر ، وترك
النصيحة ، وليس للسر موضع إلا أحد رجلين : إما أخروي يرجو ثواب
الله ، أو دنيائي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان
في هذا الدهر . وقال المهلب : ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما
تضيق عن السر ، كما قال الشاعر :

وَلَرُبَّمَا كَتَمَ الْوَقُورُ قَصْرَ حَتٍّ حَرَكَاتُهُ لِلنَّاسِ عَنْ كِتْمَانِهِ

وَلَرُبَّمَا رَزَقَ الْفَتَى بِسَكْوَتِهِ وَلَرُبَّمَا حَرَّمَ الْفَتَى بَيَانِهِ

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسِرُّكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ

وقال آخر :

لِسَانِي كَتَمْتُ لِاتِّسَارِكُمْ وَدَمْعِي نَمُوْهُ إِسْرِي مُذْبِعُ
فَلَوْلَا الدَّمْعُ كَتَمْتُ الْهَوَى
وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَكُنْ لِي دُمُوعُ

٧ - محاسن المشورة

يقال : إذا استشار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه وبقي الله في أمره ما يحب . وقال آخر : حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة . وقيل : إذا استشرت فانصح ، وإذا قدرت فاصفح . وقيل : من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه . وقال آخر : الاعتصام بالمشورة نجاة . وقال آخر : نصف عقلك مع أخيك فاستشره . وقال آخر : إذا أراد الله لعبده هلاكاً أهلكه برأيه . وقال آخر : المشورة تقوم اعوجاج الرأي . وقال : إياك ومشورة النساء فان رأين إلى أفـن وعزمن إلى وهن .

(ضدّه)

قال بمض أهل العلم : لو لم يكن في المشورة إلا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك إليه لوجب اطراح ما تفيدته المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان ، وما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً وكان عندي

قويًا ، وتضاغرت له ودخلته العزة ، فإياك والمشورة وإن ضاقت بك
المذاهب واختلفت عليك المسالك وأذاك الاستبهاج إلى الخطأ الفادح ، فإن
صاحبها أبدا مستذل مستضعف ، وعليك بالاستبداد فإن صاحبه أبداً جليل
في العيون مهيب في الصدور ، ولن تزال كذلك ما استغنيت ع-ن ذوي
العقول فإذا افتقرت إليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع
بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة
اليهم . وقيل : نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . ومن اقتصر ع-لى
رأيه دون المشورة الشعبي فإنه خرج مع ابن الأشعث فقدم به على الحجاج
فلقبه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له : أشر علي فقال : لا أدري
بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال
الشعبي : فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت
عليه بالأمرة ثم قلت : أيد الله الأمير أن الناس قد أمروني أن أعذر بغير
ما يعلم الله أنه الحق ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا إلا الحق قد
جهدنا وحرضنا فما كننا بالاقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله
علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وإن عفوت فبجملتك والحجة لك
علينا ، فقال الحجاج : أنت والله أحب إلينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه
يقطر من دماننا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي ،
فقلت : أيها الأمير اكتملت والله بعدك السهر واستعملت الخوف وقطعت
صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفاً قال : صدقت ، وانصرفت .

٨ - محاسن الشكر

قال بعض الحكماء : صن شكرك عن لا يستحقه واسترماء وجهك
بالقناعة . وقال الفضل بن سهل : من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن

أحب المنزلة فليكيف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف :

لَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةٌ

كَمَا ثَبَّتَ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

قال : واصطنع رجل رجلاً فسأله يوماً أنجني يا فلان قال : نعم أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك أو كان تحك لأقلك . وقال كسرى أنوشروان : المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب ابن أوس هذا في مصراع واحد فقال :

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا

الباہلی عن أبي فروة قال : مكتوب في التوراة : اشكروا من أنعم عليكم وأنعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وأما من الغير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : (البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر) ، وأنشد الخطيب عمر وكعب الاحبار عنده :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فقال كعب : يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا هو مكتوب في التوراة ؟ فقال عمر : كيف ذلك ؟ قال في التوراة مكتوب : من يصنع

الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد ، فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً . وفي الحديث (ان رجلاً قال في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركاً طيباً زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أياكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكاً يتدرون أهم يكتبها أولاً) وقيل : نسيان النعمة أول درجات الكفر ، وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : المعروف يكفر من كفره لانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين ، وقد قيل في ذلك :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غَنَمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمِلُهَا كَفُورٌ أَمْ شَكُورٌ
فَعِنْدَ الشَّاكِرِينَ لَهَا جَزَاءٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكَفُورُ

وقال بعض الحكماء : ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها الا ترك حسابه عليها ، وقال بعض الحكماء : عند التراخي عن شكر النعم تحل عظام النعم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَرِنَ
أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم : صدق القائل يا عائشة إن الله إذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر ، وقيل لذي الرمة : لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك ؟ قال : لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صليتي فحق لكثير معروته عندي ان يستولي على شكري .

ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق ، من ذلك ما قاله بزرجمهر . من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة ، وقال بعض الحكماء : إن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تحقق الأجر ، وقال علي بن عبيدة : من المكارم الظاهرة وسن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير بما يبذل من نفسه . وفصل من كتاب ولست أقابل إباديك ولا أستديم احسانك إلا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارساً وللعق مؤدياً وللمزيد سبباً .

(ضده)

قال بعض الحكماء : المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤاً ونشرب منه الافاعي فيعقب سماً . وقال سفيان : وجدنا اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام . وقال : أثار جماعة من الاعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها ، فقال : ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هزيلة فأحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته . فقال شاعرهم في ذلك :

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

يُلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّ مُجِيرٌ أَمْ عَامِرٍ

أَقَامَ لَهَا لَمَّا أَتَاخَتْ بِبَابِهِ لَتَسْمَنَ أَلْبَانَ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ

فَأَسْمَنَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ فَرَّتْهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأَظْفَرِ

فَقُلْ لِدُرَى الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَجُودُ بِإِحْسَانٍ إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

قيل : وأصاب أعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها . فقال الاعرابي يذكر ذلك :

غَذَّتْكَ سُوءِيَّتِي وَنَشَأْتَ عِنْدِي فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنْ أَبَاكَ ذِيبُ
فَجَعَتْ نُسِيَّةً وَصَغَارَ قَوْمُ بِشَائِهِمْ وَأَنْتَ لَهَا رَبِيبُ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سَوْءٍ فَلَيْفَسَ بِنَافِعٍ أَدَبُ الْأَدِيبِ

وفي المثل — سمن كلبك يا كلك — وأنشد :

مُمْ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضُهُمْ وَلَوْ عَمِلُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنُوا كَلْبًا
وقال آخر :

وَإِنِّي وَقَيْسًا كَالْمُسَمَّنِ كَلْبُهُ فَخَدَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظْفَرُهُ

ويضرب المثل بسنمار ، وكان بنى للنعمان بن المنذر الحورنق فأعجبه وكره أن يبني لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات ، ف قيل فيه :

جَزَيْنَا بَنِي سَعْدِ مُحَمَّدٍ بِلَائِهِمْ جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ

وقال بشار : (١)

أَتَيْتِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٍ تُكَذِّبُنِي فَيَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ

(١) — المشهور أن الابيات لابى العنابية . وأولها :

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس اني أتيتك في صهي وجلاسي

قَدْ قُلْتُ إِنَّ أَبَا حَفْصٍ لَا كَرَمَ مِنْ يَمْشِي فَيُخَاصِمُنِي فِي ذَلِكَ إِنْ فَلَاسِي
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَعْطَاكَ مِنْ صَفَدٍ
طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي

ولايي الهول :

كَأَنِّي إِذْ مَدَحْتُكَ يَا أَبْنِ مَعْنٍ رَأَيْتِ النَّاسُ فِي رَمَضَانَ أَزْنِي
فَإِنْ أَكْ رُحْتُ عَنْكَ بِغَيْرِ شَيْءٍ فَلَا تَفْرَحُ كَذَلِكَ كَانَ ظَنِّي

وقال آخر :

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا أَعْجَبَتْهُمْ مَدَائِحِي فَقَالُوا مَقَالًا فِي مَلَامٍ وَفِي عَتَبِ
أَبَا حَازِمٍ تَمْدَحُ فَقَاتُ مُعَذَّرًا
هَبُونِي أَمْرًا جَرَّبْتُ سَيْفِي عَلَى كَلْبِ

وقال آخر :

عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِمَجَّانٍ
وَالنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلًا
حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وقال آخر :

يُحِبُّ الْمَدِيحَ أَبُو خَالِدٍ وَيَنْضَبُ مِنْ صَلَةِ الْمَادِحِ

كِبْرٍ تُحِبُّ لِذِيذِ النِّكَاحِ وَتَجْزَعُ مِنْ صَوْلَةِ النَّكِاحِ
وقال آخر :

لَوْ كَانَ يَسْتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ سَيِّدٌ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ
إِعْزَازَ مُلْكٍ أَوْ عُذُوَّ مَكَانٍ
فَقَالَ أَشْكُرُونِي أَيُّهَا النَّقْلَانِ

٩ - محاسن الصدق

قال بعض الحكماء : عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق ، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره ، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب ، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق . وقيل : الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل ، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور . وقال ابن السهاك : ما أحسبني أوجر على ترك الكذب لأني أتوكة أنفة . وقال آخر : لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقاً ، فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبي : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم : الصدق عز والكذب خضوع . ومدح قوم بالصدق منهم أبو ذر رضي الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ، ولا طلعت الشمس على ذي لهجة أصدق من أبي ذر) . ومنهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فانه روى أنه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل : هذا عمك العباس قال : نعم ، قال ان الله تعالى : يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عند الله الصادق وأن له شفاعاة يوم القيامة ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فتبسم

فقال : ان شئت أخبرتك بما به تبسمت ، وان شئت أن تقول فقل ، فقال : بل تعلني يا رسول الله ، فقال : لأنك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ، ولم تقل لسائل : لا قال : والذي بعثك بالحق نبياً ما تبسمت إلا لذلك . وروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، اني أستر بحلال الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب فأين أحببت تركته ، قال : دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا ، فقال : يسألني رسول الله ﷺ ، فان جعلت نقضت ما جعلته له ، وان أقررت حددت فلم يزن ، فهم بالسرقه وشرب الخمر ، ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له في الكذب فيروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا يصلح الكذب إلا في ثلاث : كذب الرجل لاهله ليروضها وكذب في إصلاح ما بين الناس وكذب في حرب) . وروى عن المغيرة بن ابراهيم أنه قال : لم يرخص لأحد في الكذب إلا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله : ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلني أستل وديعتي فرخص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله ﷺ أسيراً في أيديهم يأثمرون فيه فقالوا يقول : يقتل وقائل يقول : لا بل يبعث به إلى قومه فتكون منه ، فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويؤسسون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجميل ، وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال : ويحك ما الذي أخبرت به ؟ فأعلمه السبب ، ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيمي بن أخطب وقتل زوجها وأباها ، ثم قال : أكنتم علي اليوم وغداً حتى أمضي ففعل ذلك : فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره ، فقالوا : من أخبرك بهذا ؟ قال من أخبركم بضده .

(ضده)

قيل : وجد في بعض كتب الهند ليس لكذب مروءة ، ولا لضجور
رياسة ، ولا للمول وفاء ، ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم : لا
تطلبن الحوائج من كذب ، فانه يقر بها وإن كانت بعيدة ، ويبعدها وإن
كانت قريبة ، ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته
قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ، ولا إلى أحق فانه يريد نفعك فيضرك .
وقيل : أمران لا ينفكان من كذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار .
وقيل : كفاك موجأ على الكذب علمك بانك كاذب . وقال رجل لأبي
حنيفة : ما كذبت قط قال : أما هذه فواحدة . وفي المثل هو أكذب
من أخيد السند ، وذلك أنه يؤخذ الحسيس منهم فيزعم أنه ابن الملك .
وكذلك يقال : أكذب من سباح خراسان ، لأنهم يجتازون في كل بلد ،
ويكذبون للسؤال والمسألة . ويقال : هو أكذب من الشيخ الغريب ،
وذلك أنه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم أنه ابن أربعين .
ويقال : هو أكذب من مسيلة وبه يضرب المثل . وبما قيل في ذلك
من الشعر :

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْبَلِيَّةِ بَقِضُ مَا يُنْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ تُسَبَّتْ إِلَيْهِ

وقال آخر :

لَقَدْ أَخْلَفْتَنِي وَحَلَفْتَ حَتَّى إِخَاؤُكَ قَدْ كَذَبْتَ وَإِنْ صَدَقْتَ
أَلَا لَا تَخْلِفَنَّ عَلَى كَلَامٍ فَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَ

وقال آخر :

قَدْ كُنْتُ أَنْجِرُ دَهْرًا مَا وَعَدْتُ إِلَى
 أَنْ أَتْلَفَ الْوَعْدُ مَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ
 فَإِنْ أَكُنْ صِرْتُ فِي وَعْدِي أَخَا كَذِبٍ
 فَخُصْرَةُ الصَّدَقِ أَفْضَتْ بِي إِلَى الْكَذِبِ

قال الاصمعي : قال الخليل بن سهل : يا أبا سعيد أعلمت أن طول
 رمح رستم كان سبعين ذراعاً من حديد مصمت في غلظ الراقود ، فقلت
 ها هنا أعرايي له معرفة فاذهب بنا إليه فحدثه بهذا ، فذهبت به إلى الأعرايي
 فحدثه ، فقال الأعرايي : قد سمعت بذلك ، وبلغنا أن رستم هذا كان
 هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه قائما ورأسه في حجر أمه
 فقالت لهما : ما شأنكما ، فقالا : بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فأنقذه
 فزعا من كلامهما فنفضخهما فألقاهما إلى أصبهان فقبرهما اليوم بها ، فقال الخليل :
 قبحك الله ما أكذبك قال : يابن أخي ما بيننا شيئا إلا وهو دون
 الراقود . قيل : وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما إلى طعامه وجعل
 يحدثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل « سماعون
 للكذب أكلون للسحت » . قيل : وكان رجال من أهل المدينة من بين
 فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع
 عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الأدب : لو أنيت
 العراق فلعلك أن تصيب شيئا ، قال : أنتم أصحاب آداب تلتهمسون بها ،
 فقالوا : نحن نحتمل لك فأخرجوه ، فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي
 ابن يقطين وشكوا إليه الحاجة فقال : ما عندك من الأدب ؟ فقال : ليس
 عندي من الأدب شيء غير أني أكذب الكذبة وأخيل إلى من يسمعهافي
 صادق ، وكان ظريفا مليحا فأعجب به وعرض عليه مالا فابى أن يقبله

وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذني وتدني مجلسي قال : ذاك لك ، وكان من أقرب الناس اليه مجلسا حتى عرف بذلك . وكان المهدي قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله ، وكان يختلف الى علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدي ، وكان يرى قرب المديني ومكانه من علي فأتى المديني القائد عشياً فقال : ما البشرى قال : لك البشرى وحكمك قال : أرسلني علي بن يقطين اليك وهو يقرئك السلام ويقول : قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضى عنك وأمر برد مالك وضياعك وبأمرك بالغدو اليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكراً ، فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحملا ن وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً ، فقال له علي : وما ذاك ؟ قال : أخبرني ابو فلان — وهو الى جنبه — كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الى المديني وقال : ما هذا ؟ فقال : أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك علي وقال : علي بدابتي وركب الى المهدي وحدثه الحديث فضحك المهدي وقال : إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله ، وأجرى على المديني رزقا واسعاً واستوصى به خيراً ثم وصله ، وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين .

١٠ - محاسن العفو

قيل : أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأنتعلق بأطرافك وأقول : رب سل مصعبا فيم قتاني فقال : أطلقوه ، فقال : أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من عمري في خفض عيش ، فقال : اعطوه مائة ألف درهم . قال : بأني أنت وأمي أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال : لم ؟ قال : لقوله فيك :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِّنَ اللَّيْلِ بَجَلَتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَأْفَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا لَهُ كِبَرِيَاءُ

فضحك مصعب وقال : لقد تلطفت وان فيك لموضعاً للصنعة ، وأمر
له بالمائة ألف ، ولان قيس الرقيات بخمسين ألف درهم . قيل : وأمر
الرشيد يحيى بن خالد بجبس رجل جنى جناية فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد
فقيل : هو كثير الصلاة والدعاء ، فقال للموكل به : عرض له بان تكلمني
وتسألني اطلاقه فقال له الموكل ذلك ، فقال : قل لأمر المؤمنين إن كل
يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي ، والامر قريب ، والموعد الصراط ،
والحكم الله فغفر الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . وقيل ظفر
المأمون برجل كان يطلبه ، فلما دخل عليه قال : يا عدو الله أنت الذي
تفسد في الأرض بغير الحق يا غلام خذه اليك فاسقه كأس النية ، فقال :
يا أمير المؤمنين ان رأيت ان تستبقيني حتى أؤبدك بمال قال لا سبيل الى
ذلك فقال : يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتاً قال هات فانشدته :

زَعَمُوا بَأْنَ الْبَازَ عَلَّقَى مَرَّةً عُصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ الْمَقْدُورُ
فَتَكَلَّمَ الْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالْبَازُ مُنْقَضٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ
مَا بِي لِمَا يُغْنِي لِمِنْكَ شَبْعَةً وَلَيْنَ أَكَلْتُ فَإِنِّي لَحَاقِيرُ
فَتَبَسَّمَ الْبَازُ الْمُدِلُ بِنَفْسِهِ كَرَمًا وَأَطْلَقَ ذَلِكَ الْعُصْفُورُ

فقال له المأمون : أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت
من عورك فأطلقه وخلع عليه ووصله . وعن بعضهم أن والياً أتى برجل
جنى جناية فأمر بضربه فلما مد قال : بحق رأس أمك الا ما عفوت عني ،
قال : أوجع فقال : بحق خديها ونحرها قال : اضرب قال بحق ثديها

قال : اضرب قال : بحق سرتها قال : ويلكم دعوه لا ينحدر قليلاً .
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الرجل اذا ظلم فلم
ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه إلى السماء ودعا قال الله له لييك
عبدني أنصرك عاجلاً وآجلاً) . وقال صلى الله عليه وسلم في قولهم : أنصر
أخاك ظالماً أو مظلوماً ، وقد سئل عن ذلك فقيل : أنصره مظلوماً فكيف
أنصره ظالماً ؟ فقال : نمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه ، وقال فضيل بن
عياض : بكى أبي فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي على ظالمي ومن
أخذ مالي أرحمه غداً اذا وقف بين يدي الله عز وجل وسأله فلا تكون له
حجة . وقال الحسن البصري : أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولاً
من ظلمت . وروى عن عبد الله بن سلام قال : قرأت في بعض الكتب :
قال الله عز وجل « إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني » .
قال خالد بن صفوان : إياكم ومجانيق الضعفاء (يعني الدعاء) .

(ضده)

قيل : لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمي في وقفته بالبشر
قوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك فوالله ان قتلت الا نساء
أسافلن دمي وأعالين ندي ، قال لمن حوله : لولا ان تلد مثلها خلطت
سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصري فقال : أما الجحاف فجذوة من نار جهنم .
قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس
فأتى برجل تلا آية « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » قال : وما دعاك الى هذا ؟ قال : آية من
كتاب الله عز وجل خطرت على بالي فتلوها والله لأعلمن فيك بالآية الثانية
« وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ » ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان
القصر . قال وبعث زياد الى رجل من بني تميم فقال : أخبروني بصالحاء

كل ناحية فأخبروه فاختر منهم رجالا فضمنهم الطريق ، وقال لو ضاع
بني وبين خراسان جبل لعلمت من لقطه . وكان يدفن الناس أحياء وينزع
أضلاع اللصوص . قال : وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس ؟
قال : انظر الى عبوز أدركت زيادا فاسألها عن سيرته فاعمل بها ، فاخذ
والله بسنته حتى ما ترك منها شيئاً . وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة
ارسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه : فقال هات سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودرعه قال : لا افعل قال : فجاء الحجاج بالسيف
والسوط فقال : والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ، ثم لأضربنك
بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بها ، فقال الناس : يا أبا محمد لا تعرض
لهذا الجبار قال : فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه
فوضعها بين يدي الحجاج ، فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع
مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هل تعرف سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، فخلطه بين أسيافه ثم قال : أخرجه ،
ثم جاء بالدرع فنظر اليها ، ثم قال : هناك علامة كانت على الفضل بن
العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها ، فوجد الدرع
على ما قال فقال الحجاج : أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت
به رأسك . وذكروا أن الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه : أعسس بنفسك
فمن وجدته فجئتني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال : أصلح الله الأمير ما
وجدت إلا هؤلاء الثلاثة ، فقال الحجاج لواحد منهم : ما كان سبب
خروجك بالليل وقد نادى المنادي أن لا يخرج أحد بالليل قال : أصلح الله
الأمير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل ، ففكر ساعة ثم
قال : سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن ، ثم قال للآخر : فأنت
ما كان سبب خروجك ؟ قال : أصلح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس
يشربون فوقعت بينهم عريضة فخفت على نفسي فخرجت ، ففكر الحجاج
ساعة فقال : رجل أحب المسألة خلوا عنه ، ثم قال للآخر ما كان سبب

خروجك ؟ فقال : لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي
فقلت والدتي : ما دقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت ألتمس
لها ذلك فأخذني العسس ، ففكر ساعة ثم قال : يا غلام أضرب عنقه فإذا
رأسه بين رجله .

١١ - محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي : وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين : من صبر
على النازلة كان كمن لم تنزل به ، ومن طول في الحبس كان فيه عطبه ،
ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه . قيل ودخل ابن الزيات على الافشين
وهو محبوس فقال مخاطبه :

اصْبِرْ لَهَا صَبْرَ أَقْوَامٍ تُفَوِّسُهُمْ لَا تَسْتَرِيحْ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوَدٍ

فقال الافشين : من صعب الزمان لم ينبج من خيره أو شره ووجد
الكرامة والهوان ، ثم قال :

لَمْ يَنْبِجْ مِنْ خَيْرِهَا أَوْ شَرِّهَا أَحَدٌ

فَأَذْكُرْ شَوَائِبَهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ

خَاضَتْ بِسِكَ الْمُنِيَّةِ الْحَمَقَاءَ غَمَرَتْهَا

فَتِلْكَ أَمْوَاجُهَا تَرْمِيكَ بِالزَّبَدِ

ولعلي بن الجهم لما حبسه المتوكل :

قَالَ حَدِثْتِ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لَا يُنَمِّدُ

أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَا لَفْ غَيْلَهُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ الظَّلَامُ فَتَنْجَلِي
وَالزَّاعِمِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا
غَيْرُ الْأَسْيَالِي بِادْنَاتٍ عُوْدُ
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفْرِجٍ كُرْبَةٍ
فَلِكُلِّ حَالٍ مُعَقَّبٌ وَلَرْبَمَا
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى
صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَعْقُبُهُ غَدٌ
وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِدَيْتَةٍ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ
يَنْتَ مُجِدِّدٌ لِلْكَرِيمِ كِرَامَةً
أَبْلَغَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ
أَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَا كَانَ مِنْ حُسْنٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ

كَرَّمْتَ مَفَارِسَكُمْ وَطَابَ الْمَخِيدُ
أَمِنْ السَّوِيَّةِ يَا أَبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
خَضَمَ تَقَرُّبُهُ وَآخِرُ يُبْعَدُ

يَا أَحْمَدَ ابْنَ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا تُدْعَى لِكُلِّ كَرِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
 إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِيَاظِلٍ أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ
 شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا فِينَا وَلَيْسَ كِفَايَبٍ مَنْ يَشْهَدُ
 لَوْ يَجْمَعُ الْخُصَمَاءُ عِنْدَكَ مَنْزِلُ يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَرْشَدُ
 وَالشَّمْسُ لَوْ لَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَظَرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

(ضده)

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه أحمد بن عبد العزيز
 ابن أبي دلف قوله :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ خُطْبُ أَنْكَدُ
 أَنْحَى عَلَيَّ بِهِ الزَّمَانُ الْمُرْصَدُ
 لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَانَ سَرِّي مُطْلَقًا
 مَا كُنْتُ أُحْبَسُ عَنْوَةً وَأَقِيدُ
 لَوْ كُنْتُ كَالسَّيْفِ الْمُهَنْدِ لَمْ يَكُنْ
 وَقْتُ الْكَرِيمَةِ وَالشَّدَائِدِ يُغْنِدُ
 لَوْ كُنْتُ كَاللَّيْلِ الْهَاصِرِ لَمَّا رَعَتْ
 فِي الذُّثَابِ وَجَدَوَتِي تَتَوَقَّدُ

مَنْ قَالَ إِنَّ الْجَبْنَ سَيِّئٌ كَرَامَةٌ
 مَا الْجَبْنُ إِلَّا بَيْتٌ كُلُّ مَهَانَةٍ
 إِنْ زَارَنِي فِيهِ الْعَدُوُّ فَشَامَتْ
 أَوْ زَارَنِي فِيهِ الْمُحِبُّ فَمَوْجَعٌ
 يَكْفِيكَ أَنَّ الْجَبْنَ سَيِّئٌ لَا يُرَى
 تَمْنِي اللَّيَالِي لَا أَذُوقُ لِرَقْدَةٍ
 فِي مُطَبَّقٍ فِيهِ النَّهَارُ مُشَاكِلٌ
 فَإِلَى مَتَى هَذَا الشَّقَاءُ مُؤَكَّدٌ
 مَا لِي مُجِيرٌ غَيْرُ سَيِّدِي الَّذِي
 غَذَيْتُ حُشَاشَةً مُهَجَّتِي بِنَوَافِلِ
 عِشْرِينَ حَوْلًا عِشْتُ تَحْتَ جَنَاحِهِ
 فَخَلَا الْعَدُوُّ بِمَوْضِعِي مِنْ قَلْبِهِ
 فَأَغْفِرْ لِعَبْدِكَ ذَنْبَهُ مُتَطَوِّلًا
 وَأَذْكَرْ خَصَائِصَ خِدْمَتِي وَمَقَاوِمِي
 فَمُكَاثِرٌ فِي قَوْلِهِ مُتَجَلِّدٌ
 وَمَذَلَّةٌ وَمَكَارِهِ لَا تَنْفَدُ
 يُبْذِرُ التَّوَجُّعَ تَارَةً وَيُفْنِدُ
 يَذْزِرُ الدَّمُوعَ بِزُفْرَةٍ تَرَدَّدُ
 أَحَدَعَايَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ يُحْسِدُ
 طَعْمًا وَكَيْفَ يَذُوقُ مَنْ لَا يَزُقُدُ
 لِلَّيْلِ وَالظُّلُمَاتِ فِيهِ سَرْمَدُ
 وَإِلَى مَتَى هَذَا الْبَلَاءُ مُجَدَّدُ
 مَا زَالَ يَكْفُلُنِي فَغَنَمَ السَّيِّدُ
 مِنْ سَيِّئِهِ وَصَنَائِعِي لَا تُتَجَدَّدُ
 عَيْشُ الْمُلُوكِ وَحَالِي تَتَزَيَّدُ
 فَحِشَاءُ جَمْرًا نَارُهُ تَتَوَقَّدُ
 فَالْحَقْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ لَا تُعْهَدُ
 أَيَّامَ كُنْتُ جَمِيعَ أَمْرِي تَحْمَدُ

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله

عنهم :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الْأَحْيَاءِ

إِذَا دَخَلَ السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَتَفَرَّحَ بِالرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا
إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنَتْ كَانَتْ بَطِينًا مَحِيئَهَا
وَإِنْ قُبِحَتْ لَمْ تُتَنَظَّرْ وَأَنْتَ سَعِيَا

وقال آخر :

أَلَا أَحَدٌ يَدْعُو لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُقِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَغْرِفُوا غَيْرَ دَارِهِمْ وَلَمْ يَغْرِفُوا غَيْرَ الشَّدَاثَةِ وَالْبَلَاوَى
وقال ابن المعتز :

تَعَلَّمْتُ فِي السَّجْنِ نَسِجَ التَّكْكِ وَكُنْتُ أَمْرًا قَبْلَ حَبْسِي مَلِكٌ
وُقِيْدْتُ بَعْدَ رُكُوبِ الْجِيَادِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِدَوْرِ الْفَلَكَ
أَلَمْ تُبْصِرِ الطَّيْرَ فِي جَوْهَا تَكَادُ تُلَاصِقُ ذَاتَ الْحَبِّكَ
إِذَا أَبْصَرَتْهُ مُخْطُوبُ الزَّمَانِ أَوْقَعْنَهُ فِي حِبَالِ الشَّرْكَ
فَهَذَاكَ مِنْ حَالِكَ قَدْ يُصَادُ وَمِنْ قَعْرِ بَحْرِ يُصَادُ السَّمَكُ

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُقْبَاكَ خَانَتْكَ بَعْدَ طَوَالِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ

وقال أعرابي :

وَلَمَّا دَخَلْتُ السَّجْنَ كَبَّرَ أَهْلُهُ وقالوا أبو ليلى الغداة حزينُ
وفي الباب مكتوبٌ على صفحاتِهِ بأنَّكَ تنزرو مُمْ سَوْفَ تَلِينُ

وفي الحديث المرفوع (ان يوسف عليه السلام شكى إلى الله تعالى طول الحبس فأوحى إليه أنت حبست نفسك - ين قلت : رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت . قال : وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن : هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشهانة الأعداء وتجربة الأصدقاء .

١٢ - محاسن المودة

قال بعض الحكماء : ليس للانسان تنعم الا بمودات الاخوات وقال آخر : الازدياد من الاخوان زيادة في الآجال وتوفير لحسن الحال . وقيل : عاشروا الناس معاشرة ان عشتهم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم . وقال :

فَدَيْمَكَ النَّاسُ حِينَا لَيْسَ يَفْنَهُمْ وَدُفَيْرُ عُهُدِ التَّسْلِيمِ وَاللَّطْفُ
يُسْنِي الشَّقِيقِينَ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا وَتَلْتَقِي شَعْبَ شَتَى فِتْنَاتِلِفُ

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسين : ابذل لصديقك كل المودة ولا تطعن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الأسرار . وقال العباس بن جرير : المودة تعاطف القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق في الخصال .

وقال بعضهم : من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قبل
صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره اياه على نفسه دام سخطه ومن
عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال : أعجز الناس من فرط في
طلب الاخوان . وقال الشاعر في مثله :

لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الْفَقِيْ بِذَخِيْرَةٍ وَلَكِنْ اِخْوَانُ الثَّقَاتِ الدَّخَائِرُ

(ضده)

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغني عنه
وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذي لا يحتاج اليه . وكتب
بعض الكتاب ان فلانا أولاني جميلاً من البشر مقروناً بلطيف من الخطاب في
بسط وجهه ولين كنف ، فلما كشفه الامتحان ببسير الحاجة كان كالتابوت
المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه ما دام مطبقاً فلما فتح
آذاك نكته فلا أبعد الله غيره ، وبما قيل في ذلك :

وَاللّٰهُ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّيْ مُنَادِمَتِيْ لَقُلْتُ لَكَفِّ بَيْنِيْ اِذَا كَرِهْتَنِيْ

وقال آخر :

وَلَوْ اَنْتَ تُخَالِفُنِيْ سَمَائِيْ لَمَّا اَتْبَعْتُهَا اَبَدًا يَمِيْنِيْ
اِذَا اَقْطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بَيْنِيْ كَذَلِكَ اُجْتَوِيْ مَنْ يَحْتَوِيْنِيْ

وقال آخر

مَنْ لَمْ يُدْرِكْ فَلَا تُرِدْهُ لِيَكُنْ كَمَنْ لَمْ تَسْتَفِدْهُ
بَاعِدْ اَخَاكَ يَبْعِدْهُ فَاِذَا نَأَى شَبْرًا فَرِدْهُ

وقال آخر :

تَوَدُّ عَدُوِّي مُنَّمْ تَرَعُمُ أَنتِي
وَأَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّ نِي رَأْيِي عَيْنِهِ
وقال آخر :

إِنْ أَخْتِيَارَكَ لَا عَنْ خَبْرَةٍ سَلَفَتْ
كَالْمُسْتَفِثِ بِيْطْنِ السَّيْلِ يَحْسِبُهُ
وقال آخر :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ
وَكَانَ لِي مُؤْنِسًا وَكُنْتُ لَهُ
كُنَّا كَسَاقٍ مَشَتْ بِهَا قَدَمُ
حَتَّى إِذَا أُمَكَنَّ الْحَوَادِثُ مِنْ
إِزْوَرٍ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ
حَتَّى إِذَا أَسْتَرَفَدَتْ يَدِي يَدَهُ
وقال آخر :

فِيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ
أَعْلَمُهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ حِينٍ
أَعْلَمُهُ الرِّوَايَةَ كُلَّ وَقْتٍ
أَلْقَمُهُ بِأَنْظَارِ الْبَنَانِ
فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
فَلَمَّا صَارَ شَاعِرَهَا هَجَانِي

١٣ - محاسن الولايات

سئل عمار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال : هي حلوة الرضاع مرة الفطام . وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة ، وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك ابن مروان ، فأتوا على الحجاج وعيسى ساكت ، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك ، فقام فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين من أنا ؟ قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت ؟ قال عبد الملك بن مروان قال أفجھلنا أو تغيرت بعدنا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نشتم عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وإن قاتلنا وغلبنا وأسأت إلينا قطعت أرحامنا ، ولئن قويتنا عليك لنعصينك ملكك فقال له عبد الملك : انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال : فقام إلى منزله وأصبح الحجاج غادياً إلى عيسى بن طلحة فقال : جزاك الله عن خلوتك بأمرير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غييراً وولاني العراق . وعن معمر بن وهيب قال : كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم : اختاروا أي هذين شئتم - يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك - مكان الحجاج ؟ فكتب إليه الحجاج : يا أمير المؤمنين إن أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فأعفاهم منه فساروا إليه من قابل وقتلوه ، فقال : صدق ورب الكعبة وكتب إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له .

(ضدّه)

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولي النقاطات فأظهر تيهاً :

لَعَنِي لَقَدْ أَظْهَرْتَ تِيهًا كَأَنَّمَا
تَوَلَّيْتَ لِلْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ عُكْبَرًا
دَعِ الْكِبَرَ وَأَسْتَبِقِ التَّوَاضِعَ إِنَّهُ
قَبِيحٌ بَوَالِي النَّفْطِ أَنْ يَتَغَيَّرَا
لِحِفْظِ عُيُونِ النَّفْطِ أَخَذْتُ نَفْوَةً
فَكَئِيفَ بِهِ كَوْنُ كَانَ مَسْكَاوَعَبْرًا

وقال ابن المعتز :

كَمْ تَأْتِيهِ بِلَايَةٍ وَبِعَزْلِهِ يَعْدُو الْبَرِيدُ
سُكْرُ الْوَلَايَةِ طَيِّبٌ وَخَمَارُهُ صَغْبٌ شَدِيدٌ

وقال آخر :

لَا تَفْرَحَنَّ فِكْلُ وَال يُعْزَلُ وَكَمَا عُرِزْتَ فَعَن قَرِيبٌ تُقْتَلُ
وَكَذَا الزَّمَانُ بِمَا يَسْرُكُ تَارَةً وَبِمَا يَسْوءُكَ تَارَةً يَتَنَقَّلُ

١٤ - محاسن الصحبة

قيل : قال علقمة بن ليث لابنه : يا بني ان نازعتك نفسك الى الرجال
يوماً لحاجتك اليهم فاصعب من ان صحبته زانك وإن تخففت له حانك وإن
نزلت بك مؤونة مائك ، وان قلت صدق قولك وان صلت شدد صولك
اصعب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ،
وان بدت منك ثلعة سدها واصعب من لا تأتيك منه البوائق ، ولا
تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق . وقال آخر اصعب من
خولك نفسه وملكك خدمته وتخبرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه .
وكان يقال : من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه . وقال
بعضهم لصاحبه : أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل . وقال بعضهم :
اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجه فانه تاركك كما ترك صاحبه .

وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات : ما خبرك مع صاحبك ؟ فقال لا يقصر في الاحسان الي فقال : يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك .

(ضده)

قال : كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين هشام بن عبد الملك وكان مذموما في عمله فخبري المدائني قال : وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال : يا أهل الكوفة ألم أنكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين اضرخوا عنقه فضربت عنقه . قال : وقال لهام ابن يحيى وكان عاملا له : يا فاسق خربت مهرجا نقدق قال : اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مرارا فقال همام قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار ونقول : خربت مهرجا نقدق فلم يزل يعذبه حتى مات . قال : وقال لسكانه وقد احتبس عن ديوانه يوما : ما حبسك ؟ قال : اشتكيت خرسني قال : تشككي خرسك وتقمع عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع خرسين من أضراسه . وعن المدائني قال : حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عباس قال : كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها : اني أريد الشخصوخ أفأخلفك أو أشخصك معي ؟ فقالت : صعبة الأمير أحب الي ولكني أحسب أن مقامي وتحلفي أعفى وأخف على قلبه فقال : أحببت التخلف للفجور يا حديج أضرب فضرها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبها فقال لها : اني أريد الشخصوخ أفأخلفك أم أخرجك ؟ فقالت : ما أعدل بصعبة الأمير شيئا بل تخرجني قال : أحببت الجماع ما تريد أن يفوتك ليلة يا حديج أضرب فضرها حتى

أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها :
 اني أريد الشفوص فأخلفك أم أخرجك : قالت ؟ الأمير أعلم لينظر أخف
 الأمرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ما عندي اختيار فليختار
 الأمر قال : قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا أن اختار لك أوجعها
 يا حديج فضرها حتى أوجعها قال الرجل فكأنما أوجعني من شدة غيظي
 عليه فولت الجارية فتبعها الخادم ، فلما بعدت قالت : الحيرة والله في فراقك
 ما تقرعين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ؟ ما تقول يا حديج
 قال : قالت كذا وكذا فقال يا بن الحبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام
 خذ السوط من يده فاجع رأسه فما زال يضربه حتى استشفى فتعوف من
 الغلام الآخر كم ضربت ؟ قال لا أدري قال : عدو الله أخرج حاصل
 من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

١٥ — محاسن التطير

عن عكرمة قال : كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب
 يصيح فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن العباس : لا خير ولا
 شر والذي حضرنا من الشعر في مثله لأبي الشيص :

ما فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْدَ اللَّهِ إِلَّا الْإِبِلُ
 وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا
 وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بَ الْبَيْنِ تُطَوَّى الرَّحْلُ

(١) — هكذا في الاصل مسندة الى يوسف بن عمر ، ولعلها من أخبار الحجاج كما في غير
 هذا الكتاب .

ولا إذا صاح غُرا
وما غُرابُ البنينِ إ
ب في الديار أرتحلوا
لأ ناقة أو جملُ

وقال آخر :

أترحلُ عمن أنت صب بمثله
أقم فغُرابُ البنينِ غيرُ مُفرِّق
وتلحى غُرابُ البنينِ إنك تظلمُ
ولايأ تلي إلا على الفضل يحكمُ

وقال آخر :

غلط الذين رأيتهم بحالة
ما الذنب إلا للجمال فإنها
إن الغُراب يمينه يذني النوى
يلحون كلهم غرابا ينق
مما يشتت شملهم ويفرق
وتشتت الشمل الجميع الأنيق

وقال آخر :

لا يعلم المرء ليلًا ما يصبحه
والفأل والزجر والكهان كلهم
إلا كواذب مما يخبر الفأل
مضللون ودون الغيب أقفال

(ضده)

حكى عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيدا ومعه عدي بن زيد
العبادي فمر بأرام - وهي القبور - فقال عدي : أبيت اللعن أتدري ما
تقول هذه الآرام ؟ قال : لا ، قال : انها تقول :

أيها الركب المخفون
لكما كنتم فكنا
ن على الأرض تمرؤون
وكما كنا تكونون

فقال : أعد فأعادها فترك صيده ورجع كثيراً . وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدي : أبيت اللعن أندري ما تقول هذه الآرام ؟ قال لا قال انها تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَتَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالماءِ الزَّلَالِ
نَمْ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالاً بَعْدَ حَالٍ

فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حي من تغلب فأغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يعني بهذا البيت :

أَلَا عَلَيَّ قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَا قَرِيبٌ وَمَا نَذَرِي

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد ف ضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة التي كانت يشرب منها . وهذا كقولهم :

إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

١٦ - محاسن الوفاء

قيل في المثل . أوفى من فكيهة ، وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها أن السليك بن سلكه غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها ، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : ان هذا الاثر قدم ورد الماء ، ففقدوا له فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فانترعوا خمارها فنادت إخوتها فجاءوا عشرة فمنعوهم منها قال : وكان سليك يقول : كأنني أجد خشونة شعر

استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها : وقال

لَعَنُ أَيْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي لَنِعَمَ الْجَارِ أُخْتُ بَنِي عُورَا
مِنَ الْخَفَرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعِ لَوَالِدِهَا شَنَارَا
عَنَيْتُ بِهِ فُكَيْمَةً حِينَ قَامَتْ لِنَصْلِ السَّيْفِ فَأَنْتَزَعَهَا الْخِشَارَا

ويقال أيضاً : هو أوفى من أم جميل ، وهي من رهط ابن أبي بردة من دوس ، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلاً من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها ، فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها ، فلما ولي عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه وأعطاها على أنها ابنة سبيل ويقال : أوفى من السموم بن عادي ، وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج إلى قيصر استودع السموم دروعاً له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموم فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح باسموم هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بغيرائه فإن دفعت إلي الدروع ولما ذبحت ابنك فقال : أجلني فأجله ، فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشاروا بدفع الدروع وأن يستنقذ ابنه ، فلما أصبح اشرف عليه وقال : ليس لي إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه وكان يهوديا ، وانصرف الملك ووافى السموم بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس : وقال في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكَنْدِيِّ إِنْني إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وَقَالُوا عِنْدَهُ كُنْزٌ رَهيبٌ
بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا
فَلَا وَأَيْكَ أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ
وَبِشْرٍ أَكُلَّمَا شِئْتُ أُسْتَقِيتُ

وفي ذلك يقول الاعشى :

كُنْ كَالسَّمَوِّ لِي إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ
بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تِيْمَاءَ مَنْزِلُهُ
فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ
خَيْرُهُ خُطَّتِي خَسَفٍ فَقَالَ لَهُ
حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارٍ
فَقَالَ مُنْكَلٌ وَغَدْرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا
مَهْمَا تَقُولَنَّ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ
فَاخْتَرَ فَمَا فِيهَا حَظٌّ لِمُخْتَارٍ
فَشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

ويقال : أوفى من الحارث بن عباد ، وكان من وفائه أنه أسر عدي بن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلني على عدي بن ربيعة ولك الأمان فقال : أنا آمن إن دلتك عليه ، قال : نعم قال فانا عدي بن ربيعة فخلاه ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَقَدْ شَا
رَفَهُ الْمَوْتُ وَأَجْتَوَتْهُ الْمَنُونُ

ويقال : هو أوفى من عوف بن محلم ، وكان من وفائه أن مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففوضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : انك تحتال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال لها مروان : وما ترجين من مروان ؟ قالت : عظم فداؤه قال : وكم ترجين من فداؤه ؟ قالت : مائة بعير قال مروان : لك ذلك على أن تدينني إلى خامة بنت عوف بن محلم قالت : ومن لي بالمائة فأخذ عوداً من الأرض وقال هذا لك فمضت به إلى بيت عوف ، فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به

الى عوف ثم أن عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه في شيء فقال عوف لرسوله : ان جماعة ابنتي قد اجارته ، فقال : إن الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه في كفه ، فقال عوف : يفعل ذلك على أن تكون كفي بين أيديهما ، فأجابهم عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فعفا عنه . ومنهم الطائي صاحب النعمان ابن المنذر ، وكان من وفائه أن النعمان ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد في يوم بؤسه إلا قتله ولا في يوم نعيمه إلا أحياء وحباء وأعطاه ، فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيء فقال : حيا الله الملك ان لي صبية صفاراً لم أوص بهم أحداً فان رأى الملك أن يأذن لي في اتيانهم وأعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا اوصيت بهم حتى اضع يدي في يده ، فرق له النعمان وقال له : لا إلا ان يضمك رجل بمن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائي وقال :

يا شريك ابن عمرو هل من الموت محالة
يا أخا كل مضاف يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فك الـيوم عن شيخ غلالة
ابن شيمان قبيل أصلح الله فعالة

فقال شريك : هو علي أصلح الله الملك ، فمضى الطائي واجل له اجل يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكاً وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول : ليس لك علي سبيل حتى نمسي فلما امسوا أقبل شخص والنعمان ينظر إلى شريك ، فقال شريك : ليس لك علي سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبي ، فبينما هما كذلك إذ أقبل

الطائي فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما ادري أيكما أكرم
أهذا الذي ضمنك وهو الموت أم انت وقد رجعت الى القتل ؟ والله لا أكون
الأم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم بؤسه ، وأنشد الطائي :

وَلَقَدْ دَعَنْتَنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي فَأَبَيْتُ عِنْدَ تَجَهُّمِ الْأَقْوَالِ
إِنِّي أَمْرُؤٌ مِّنِي الْأَوْفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفِعَالٌ كُلُّ مُهْذَبٍ بِذَّلِ

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء قال : ديني قال : وما دينك ؟
قال : النصرانية قال : اعرضها علي فعرضها عليه فتنصر النعمان .

(ضده)

قيل : كتب صاحب بريد همدان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه أن
كاتب صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطأا
على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقسامها بينهما ، فوقع المأمون :
إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة
وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازته ، فأنف الساعي عند ذلك وقال :
يا امير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وإن كان في سعايته
صادقاً لقد كان في صدقه لئياً ، اذ لم يحفظ الحزمة ولم يف اصاحبه . قال :
ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : يا امير المؤمنين عندي نصيحة
قال : وما نصيحتك هذه ؟ قال : فلان كان عاملاً ليزيد بن معاوية وعبد
الملك والوليد فغابهم فيما تولاه ثم اقتطع اموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها
منه ، قال : أنت شر منه وأخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا
أني أنف النصح لعاقبتك ولكن اخترتني خصلة من ثلاث ، قال : اعرضهن
يا امير المؤمنين ، قال : ان شئت فتشنا عما ذكرت ، فان كنت صادقاً
مقتضاك ، وان كنت كاذباً عاقبتك ، وان استقلت أفلتاك ، فاستقاله الرجل .

١٧ - محاسن السخاء

روي عن نافع قال : لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابلّيس لعنه الله فقال : أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال : أحبهم إلي كل مؤمن بخيل وأبغضهم إلي كل منافق سخي قال : ولم ذاك ؟ قال : لان السخاء خلق الله الاعظم فأخشى ان يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، والجاهل سخي احب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل) وقال صلى الله عليه وسلم (ما أشرفت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والإنس وهما الثقلان : اللهم عجل لمنفق خلفاً ولمسك تلفاً وملكاً يناديان : أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهي) وعن الشعبي قال : قالت ام البنين ابنة عبدالعزيز اخت عمر بن عبدالعزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك : لو كان البخل قيصاً ما لبسته او طريقاً ما ملكتها ، وكانت تعتق في كل يوم رقبة ، وتحمل على فرس في سبيل الله ، وكانت تقول : البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل اعتقت هند بنت عبدالمطلب في يوم واحد اربعين رقبة : وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة ، وثواب البخل حرمان وانلاف ومذمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (يا علي كن شجاعاً فان الله يحب الشجاع ، وكن سخياً فان الله يحب السخي ، وكن غيوراً فان الله يحب الغيور يا علي وان إنسان سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلاً لها) ، وقال النبي ﷺ : (السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بفضن مد به الى الجنة) ، وقال عبد العزيز بن مروان : لو لم يدخل على البخلاء في تؤمهم الاسوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيماً ، وقال ﷺ (تجافوا عن ذنب السخي فان الله

أخذ بيده كلما عثر) . وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الأشياء فليَظُر إلى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله في الجنان فإنه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه وقال الموبدان لأبرويز : أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة ؟ قال لا : ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفي كتاب ديننا من فعل معروفًا خفياً وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الأبرار ولا نذكره في الاتقياء والصالحين ؟ قيل : وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به مملكك ؟ قال : ابتداري إلى اصطناع الرجال والاحسان إليهم . قال : وكتب ارسطاطا ليس في رسالته إلى الاسكندر : واعلم ان الأيام تأتي على كل شيء فتتخلقه وتخلق آثاره وتقيم الأفعال إلا ما رسخ في قلوب الناس فاودع قلوبهم حجة أبدية تبقى بها حسن ذكرك وكرم فعالك وشرف آثارك . قال : ولما قدم بزرجمهر إلى القتل قيل له : انك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به فقال : أي شيء أقول ؟ الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن يكون حديثاً حسناً فافعل . قيل : وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر أعرابي في الضيافة فقال الأعرابي : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن أحدهما ربما لا يملك إلا بعبيراً فإذا حل به ضيف تحرم له ، فقال له الأعجمي : فنحن أحسن مذهبا في القرى منكم ، قال : وما ذاك ؟ قال : نحن نسمي الضيف مهان ومعناه انه أكبر من في المنزل وأملكنا به ؟ وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قام بالمجهود . وقيل : الجواد من لم يرضن بالموجود . وقال المأمون : الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيل : وشكا رجل إلى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال : ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على

باب فقال للرجل : أغلق هذا الباب فأغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح ؟
قال : لا . قال : فافتحه ففتحه فجعلت الريح تحترق في البيت فقال :
هكذا الرزق أغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق .
قيل : ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على
إخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبدالله ان بيوت الأموال لا تقوم
بهذا . فقال : يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود . وعن
أمية ابن يزيد الأموي قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية
فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج ، فقال له قولاً ضعيفاً
فيه وعد وقلة اطماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال :
أعطه أربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا : كنت رددت عليه رداً ظننا أنك
تعطيه شيئاً قليلاً فاذا أنت أعطيتَه أكثر مما أمل ، فقال : إني أحب أن
يكون فعلي أحسن من قولي . وبجاءم يضرب المثل في السخاء ، فحدثنا عن بعض
حالات حاتم قيل : كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله
وكان ظفراً إذا قاتل غلب واذا غم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب
بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحداً منه ، قيل :
ولما بلغ حاتم قول المنلس الضبعي .

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ قَيْبَتُهُ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
وَحِفْظُ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغْيَاهُ وَضَرْبُ فِي السِّبَادِ بَغِيرُ زَادِ

فقال : ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّيْخِ يَزِيدُ
فَلَا تَلْتَمِسْ رِزْقًا بَعِيشٍ مُقْتَرٍ لِكُلِّ عَدٍ رِزْقًا يَعُودُ جَدِيدُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ غَادٍ وَرَائِعٌ وَأَنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ سَوْفَ يُعِيدُ

قيل : ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاء
وغداه وقال : إنك قد أقرضتني نافتك فاحتكم علي قال : راحلتين قال : لك
عشرون أَرْضِيَتْ ؟ قال : نعم وفوق الرضى . قال : لك اربعون . ثم قال
لمن يحضرته من قومه ، من أُناتا بنافقة فله نافتان بعد الغارة ، فأثوه بأربعين
فدفعها الى الضيف . وحكوا عن حاتم انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة
فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم . يا ابا سفانة قد أكلني الاسار والقمل
قال : والله ما أنا في بلادي ولا معي شيء . وقد أسأت الى أن نوهت باسمي
فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال : خلوا عنه وانا اقيم
مكانه في قيده حتى أؤدي فداه ، ففعلوا فأثاهم بفداء . قيل : ولما مات حاتم
خرج رجل من بني اسد يعرف بابي الخيمري في نفر من قومه وذلك قبل أن
يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبيره فقال : والله لأحلفن للعرب اني
نزلت بحاتم وسالته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول :

عَجَلْ أَبَا سَفَانَةَ قِرَاكَ فَسَوْفَ أَنْبِي سَائِلِي ثَنَاكَ

فقال بعضهم : مالك تنادي رمة واثوا مكانهم فقام صاحب القول من
نومه مذعوراً فقال : يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتمًا أناني فأنشدني :

أَبَا الْخَيْمَرِيِّ وَأَنْتَ أَمْرُؤُ ظَلُمْتُ الْعَشِيرَةَ شَتَامُهَا
فَمَاذَا أَرَدْتَ إِلَى رِمَّةٍ بَدَوِيَّةٍ صَخْبَتِ هَامُهَا
تُبْنِي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا وَحَوْلَكَ طَيٌّ وَأَنْعَامُهَا
وَإِنَّا لَنُنْعِمُ أَضْيَافَنَا مِنْ الْكُومِ بِالسَّيْفِ نَعْتَامُهَا

وقيل في المثل : هو أجود من كعب بن مامة وكان من اباد وبلغ من

جوده أنه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر
والجأهم العطش فاضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه فإذا اراد
كعب ان يشرب نصيبه : قال آثر أخاك النمري فيؤثره حتى أضر به العطش
فلما رأى ذلك استعجث ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له : رد
كعب فانك وراد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه ، ومن قول ابي تمام :

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
كَرِيمٌ إِذَا مَا جِئْتَ لِلْعُرْفِ طَالِبًا حَبَاكَ بِمَا تَحْوِي عَلَيْهِ أُنَامِلُهُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وللبحتري :

لَوْ أَنَّ كَفَّكَ لَمْ تَجِدْ لِمَوْمِلٍ لَكَفَادٍ عَاجِلٌ وَجْهَكَ الْمُتَهَلِّلُ
وَلَوْ أَنَّ مَجْدَكَ لَمْ يَكُنْ مُتَقَادِمًا أَغْنَاكَ آخِرُ سُودَدٍ عَنْ أَوَّلِ

ولبكر بن النطاح في ابي دلف :

بَطْلٌ بِصَدْرِ حُسَامِهِ وَسِنَانِهِ أَجْلَانِ مِنْ صَدْرِ وَمِنْ إِيرَادِ
وَرِثَ الْمَكَارِمَ وَأَبْتَنَاهَا قَاسِمٌ بِصَفَائِحِ وَأَسْنَةِ وَجِيَادِ
يَا عِصْمَةَ الْعَرَبِ الَّتِي لَوْ لَمْ تَكُنْ حَيًّا إِذَا كَانَتْ بِغَيْرِ عِمَادِ
إِنَّ الْعُمُونَ إِذَا رَأَتْكَ حَدَادُهَا رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرَ حَدَادِ
وَإِذَا رَمَيْتِ التَّغَرَّ مِنْكَ بَعَزْمَةً فَتَحَّتْ مِنْهُ مَوَاضِعَ الْأَسْدَادِ
وَكَأَنَّ رُمَحَكَ مُنْقَعٌ فِي عُصْفُرٍ وَكَأَنَّ سَيْفَكَ سُلٌّ مِنْ فِرْصَادِ

لَوْ صَالَ مِنْ غَضَبٍ أَبُو دَلْفٍ عَلَى بَيْضِ الشُّيُوفِ لَذُبْنَ فِي الْأَغْمَادِ
أَوْرَى وَنَوَّرَ لِلْمَعَادَةِ وَالْهَوَى نَارَيْنِ نَارَ دَمٍ وَنَارَ زِنَادِ

قال أبو هفان : أنشدت هذه الابيات عبدالعزيز بن ابي دلف بسر من رأى فقال : هل سمعت بمثل هذه الابيات ؟ قلت : لا ، قال : ولغيره في ابي دلف :

وَأَوْ يَجُوزُ أَقَالَ النَّاسُ كُلَّهُمْ لَوْ لَا أَبُو دَلْفٍ مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ

قال ابن يحيى النديم : دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال : أنشدني قول صمارة في أهل بغداد فانشدته :

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مُلُوكَ مَخْرَمٍ أَبْعَ حَسَنًا وَأَبْنِي هِشَامٍ بِدِرْهِمٍ
وَأَعْطِي رَجَاءً بَعْدَ ذَاكَ زِيَادَةً وَأَمْنَحُ دِينَارًا بَغِيرَ تَنْدَمٍ
فَإِنْ طَلَبُوا مِنِّي الزِّيَادَةَ زِدْتُهُمْ أَبَا دَلْفٍ وَالْمُسْتَطِيلَ بَنَ أَكْثَمٍ

فقال المتوكل : ويلى علي ابن البوال على عتبه يهجو شقيق دولة العباس قال فهل عندك من المدح في ابي دلف القاسم بن عيسى شيء ؟ قلت يا أمير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه :

أَبَا دَلْفٍ إِنْ السَّمَاحَةَ لَمْ تَرَ مُغْلَلَةً تَشْكُو إِلَى اللَّهِ غُلْهَا
فَبَشَّرَهَا رَبِّي بِمِلَادِ قَاسِمٍ فَأَرْسَلَ جَبْرِيلاً إِلَيْهَا فَحَلَّهَا
وقال غيره :

حُرٌّ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لَتَسْأَلَهُ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَاؤُهُ وَأَعْتَذَرَا
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَ

وقال آخر :

فَتَى عَاهَدَ الرَّحْمَنَ فِي بَذْلِ مَالِهِ فَلَيْسَ تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى النِّهْدِ
فَتَى قَصُرَتْ آمَالُهُ عَنْ فِعَالِهِ

وليس على الحرِّ الكريمِ سوى الجهدِ

وقال آخر :

إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ
لَهُ فِي دُرَى الْمَعْرُوفِ نِعْمَى كَأَنَّهَا مَرَايِعُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ

وقال آخر :

عَادَ الشُّرُورُ إِلَيْكَ فِي الْأَعْيَادِ وَسَعِدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْإِسْعَادِ
رَفَقًا بَعْبِدَ جَلٍّ مَا أَوْكَيْتُهُ رَفَقًا فَقَدْ أَثْقَلْتُهُ بِأَيَّادِي
مَلَأَ الشَّفُوسَ مَهَابَةً وَمَحَبَّةً بَذَرٌ بَدَا مُتَغَمَّرًا بِسَوَادِ
مَا إِنْ أَرَى لَكَ مُشَبِّهًا فِيمَنْ أَرَى إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلَةُ الْأَنْدَادِ

وقال في ابن أبي دؤاد :

بَدَا حِينَ أَتَى بِإِخْوَانِهِ فَقَلَّلَ عَنْهُمْ شِبَابَ الْعَدَمِ
وَحَذَّرَهُ الْحَزْمُ صَرْفَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النِّعَمِ
فَلَيْسَ وَإِنْ بَحِلَّ الْبَاخِلُو نَ يَقْرَعُ سِنًّا لَهُ مِنْ نَدَمِ
وَلَا يَنْكُتُ الْأَرْضَ عِنْدَ السُّوَالِ لِيَنْتَمِعَ سُؤَالُهُ عَنْ نَعَمِ

ويروى في الحديث : أنه لا يجتمع الشح والايان في قلب عبد صالح
أبداً . ويقولون : الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل
في جنته . وقال النبي ﷺ (من فتح له باب من الخير فلم ينتهزه فإنه
لا يدري متى يغلق عنه) . وقال الشاعر في ذلك :

لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ تَهَيَّأَ صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا أُمَكَّنْتَ تَقَدَّمْتُ فِيهَا حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : أن أمير
المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه إلى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله
مالاً فانطلق به إلى منزله فوجد في الطريق صوفاً فأخذه ومر بقطعة كساء
فأخذها فلما صار إلى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره
خيطة ، ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخطها بالخيطة وصر فيها
ثلاثين ألف درهم فحملت معه . قال : وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة
الأنصاري رحمه الله يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتبع ما يسقط
من الثمر فيعزل جيده وردئه على حدة فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا :
ما نظن عنده خيراً ثم كلموه فأعطاهم فقال رجل من القوم . لقد رأيناك
تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وما ذاك ؟ فأخبروه فقال : إن الذي
رأيتم يثول إلى اجتماع ما ينفع وينمو . ومنها قيل : الذود إلى الذود
إبل وأنشدوا :

رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَفِيرٌ وَفِي الْبُحُورِ تَفَرَّقَ الْبُحُورُ
وقال آخر :

فَذِ يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ
وسحق النخل من الفسيل

قال : وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه حيناً بعيراً له فقال :
يا غلام أخرج إليه بدرة فقبضها وقال : أردت أن أنصرف حين رأيتك
تهنأ البعير فقال : أنا لا نضيع الصغير ولا يتعاطمنا الكبير .

١٨ — مساوي البخل

المثل الثائر في البخل : هو أبجل من مادر ، وهو رجل من بني هلال
ابن عامر بلغ من بخله أنه كان يسقي ابله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل
فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً . وذكروا أن بني هلال وبني
فزارة تنافروا إلى أنس بن مدرك وتراضوا به ، فقالت بنو هلال : يا
بني فزارة أكلتم أير الحمار ، فقالت بنو فزارة : لم نعرفه ، وكان سبب
ذلك أن ثلاثة اصطحبوا : فزاري ، وتعلبي ، وكلائي ، فصادفوا حمار
وحش ومضى الفزاري في بعض حوائجه فطبخا وأكلا وخبأ للفزاري أير
الحمار فلما رجع قال : قد خبأنالك حنك فكل ، فأقبل يأكل ولا يسمعه ،
فجعلوا يضحكاه : فظن وأخذ السيف وقام إليهما وقال : لتأكلان منه أو
لأقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناول الآخر فأكل منه ، فقال
فيهم الشاعر :

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارَ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا خَيْرْتُ تُخْطِئُ فِي الْخِيَارِ
أَصِيحَانِيَّةٌ أَدِمْتَ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ
بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخُصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِي

فقالت بنو فزارة : منكم يا بني هلال من سقى ابله فلما رويت سلح في
الحوض ومدره بخلًا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلالين فأخذ الفزاريون
منهم مائة بعير ، وكانوا تراءهوا عليها ، وفي بني هلال يقول الشاعر :

وَلَكِنْ مَرَى مُشْرِقًا وَجْهَهُ لِيُرْغَمَ فِي مَالِهِ مِنْ رَغَمٍ

لَقَدْ جَلَلَتْ خَزْيَا هَلَالُ بْنُ عَامِرٍ بَنِي عَامِرٍ طُرًّا بِسَلْحَةٍ مَادِرٍ
فَأَفَّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ بَعْدَهَا

بَنِي عَامِرٍ أَنْتُمْ شِرَارُ الْعَشَائِرِ

وفي المثل . هو أنجل من أبي حباب ، وهو رجل في الجاهلية بلغ من بخله أنه كان يسرج السراج فإذا أراد أحد أن يأخذ منه أطأه ، فضرب به المثل . ومنهم صاحب نجيح بن سلكة اليربوعي فانه ذكر : أن نجيحاً اليربوعي خرج يوماً يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبه حتى دفع الى أكمة فإذا هو برجل اعمى أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع ان يحرك يده حتى القاه ، فقال : يا هذا ما هذا الذي بين يديك وكيف استطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فاني أعجب بما أرى أجواد انت فتجود لنا أم نجيل فأعذرك ؟ فقال الاعمى : اطلب رجلاً فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتني به نعظك ما تشاء . فانطلق ، نجيح مسرعاً قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خبائه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لا يدري من سعد ابن خشرم فأتاه آت في مامه فقال له : يا نجيح ان سعد بن خشرم في حي بني محلم من ولد ذهل بن شيبان ، فسأل عن بني محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فإذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليه السلام ، فقال له نجيح : من أنت ؟ قال : أنا خشرم بن شماس ، قال له : فأين ولدك سعد ؟ قال خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك أن آتياً أتاه في منامه فحدثه أن مالا له في نواحي بني يربوع لا يعلم به الا نجيح اليربوعي ، فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول :

أَيْطَلُبُنِي مَنْ قَدْ عَنَانِي طَلَابُهُ فَيَا لَيْتَنِي أَلْقَاكَ سَعْدَ بْنَ خَشْرَمٍ

أَتَيْتَ بَنِي يَزْبُوعَ تَبْغِي لِقَاءَنَا وَجِئْتُ لِكَيْ أَلْقَاكَ حَيًّا مُحَلَّمًا

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له نجيح : أيها الراكب هل لقيت سعدا في بني يزبوع ؟ قال : أنا سعد فهل تدل على نجيح ؟ قال : أنا نجيح وحدثه بالحديث ، فقال : الدال على الخير كفاعله - وهو أول من قالها - فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المال فأخذه سعد كله ، فقال نجيح : يا سعد قاسمني ، فقال له اطوعي وعن مالي كشحا ، وأبى ان يعطيه شيئا فانضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد ، فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعة ، فأسرع في أكل سعد وعاد المال الى مكانه ، فلما رأى نجيح ذلك ولى هارباً الى قومه . قيل : وكان أبو عبس نجحلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها الآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ، ثم يرمي به في صندوقه ، فيكون آخر العهد به قيل : ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق : لا اله إلا الله ، وفي شق : محمد رسول الله ما ينبغي أن تكون الا معاذة وقذفة في صندوقه . وذكروا أنه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيب ، فأثاه شاعر يمدحه فلم يعطه شيئا ، ثم سئل سعة فضرط ، فقال الشاعر :

أَتَيْتُ الْمَسِيبَ فِي حَاجَةٍ فَمَا زَالَ يَسْأَلُ حَتَّى ضَرَطَ
فَقَالَ غَلِطْنَا حِسَابَ الْخَرَاجِ فَقُلْتُ مَنْ الضَّرَطُ جَاءَ الْغَلَطُ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل . قال : وكتب أرسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه : ان كنت أردت فلم تقدر فمعدور ، وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر . قال : وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقول : من يعشي الجائع ؟

فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال : هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ،
 ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح . قال : وكان رجل يأتي ابن المقفع
 فيلج عليه وسأله أن يتغذى عنده ويقول : لعلك تظن أنني أنكلف لك
 شيئاً والله لا أقدم لك الا ما عندي ، فلما أتاه لم يجد في بيته الا كسراً
 يابسة وملح جريش . وجاء سائل الى الباب فقال له : وسع الله عليك ،
 فلم يذهب فقال : والله لئن خرجت البك لأدقن رأسك ، فقال ابن المقفع
 للسائل : ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده
 لم ترد كلمة ولم تقم طرفة عين ! قال : وكتب ابراهيم بن سيابة الى
 صديق له كثير المال يستسلفه ، فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل
 والمال مكذوب عليه فكتب اليه : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ،
 وان كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً . وكتب آخر الى آخر يصف
 رجلاً : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك
 نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل ، فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا
 بخذلان الله ، والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على
 الله ، والرجاء فيما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى
 الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به
 الاسراف الذي يعاقب عليه ، وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدى والبصل
 بالمن والسلوى الا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم ، وان الصنعة مرفوعة ،
 والصلة موضوعة ، والهبة مكروهة ، والصدقة منحوسة ، والتوسع ضلالة ،
 والجود فسوق ، والسخاء من همزات الشياطين ، وان مواساة الرجال من
 الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر ؛ وأيم الله انه يقول
 إن الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك
 لمن يشاء ، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع
 أبالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أديارهم ونهى المسلمين عن اتباع
 ثارهم وأن الرجفة لم تأخذ أهل مدين الاسخاء كان فيهم ولا أهلكت

الريح عاداً الا لتوسع كان منهم ، فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو
 العواب على الاقتار ويعد نفسه خاسر او يعدها فقر ويأمرها بالبخل خيفة
 أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فأقم رحمتك
 الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وياك خيرا منه
 زكاة وأقرب رحما . ول بعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير
 نفع عار على المطلوب اليه وفلها مع نفع الحاجة مكرومة من صاحبها ،
 وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نفع لها حتى
 كأننا قد رضينا بالتعلل لها دون التبحر كقول القائل :

لَا تَجْعَلْنَا كَكُمُونٍ بِمَزْرَعَةٍ إِنَّ فَاتَهُ الْمَاءُ أَرَوْتَهُ الْمَوَاعِيدُ

وكتب آخر : ما رأيت مثل طيب قولك أمره سوء فعلك ، ولا مثل
 بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ، ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط
 مظلمك ، ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه ، اختبار عواقبك حتى كأن الدهر
 أودعك لطيف الحيلة بالمرء أهل الحلة وكأنه زينك فيه بالخديعة لتدرك
 منهم فرصة الهلكة . وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعييل ، ووعد اللئيم
 مظل وتأجيل . وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ، ومطلتنا مظل
 نعاس الكلب ، وغررتنا غرور السراب ، ومزينا أماني الكمون .
 وبعضهم : أما بعد فلا تدعني مملتا بوعدك فالعذر الجليل أحسن من المظل
 الطويل ، فان كنت تريد الانعام فأنجح وان تعذرت الحاجة فأوضح وأعلمني
 ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك . وذكروا أن فتي من مراد كان
 يخلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم : ألك امرأة ؟ قال : لا
 قال : فتزوج وعلي المهر ، فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت :

إِذَا حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكُذِّبْ

فتزوج وأنى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكا ذلك

إلى أمه فقالت :

لَا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِي مَالِهِ وَعَلَى كِرَائِمٍ حُرٍّ مَالِكَ فَاغْضَبْ

ووصف أعرابي رجلا فقال له : بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه أبدا بين الطمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل مريح ، وقال أعرابي : أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف يذكر العدم ، ولست بالحريص الذي إذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأنعب راحلته اليه ، وذكر أعرابي رجلا فقال له : مواعيد عواقبها المظل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ويقال سرعة اليأس أحد النبهجين ، وقال بعضهم : مواعيد فلان مواعيد عرقوب ، ولع الآل وبرق الخلب ، وأماني الكون ونار الجباب ، وصلف تحت الراعدة ، وبما قيل في ذلك :

أَرْوَحُ وَأَعْدُو نَحْوَكُمْ فِي حَوَائِجِي
فَأُصْبِحُ فِيهَا غَدْوَةً كَالَّذِي أُمْسِي
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شَفَاعَتِي
فَقَدْ صِرْتُ أَرْضَى أَنْ أَسْفَعَ فِي نَفْسِي

ولأبي نواس :

وَعَدْتَنِي وَعْدَكَ حَتَّى إِذَا أَطْمَعْتَنِي فِي كَنْزِ قَارُونِ
جِئْتَ مِنَ اللَّيْلِ بَغْسَالَةٍ تَغْسِلُ مَا قَلْتَ بِصَابُونِ

ولأبي تمام :

يَحْتَاجُ مَنْ يَزُجِّي نَوَالِكُمْ إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيبِ

كُنُوزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَغُرِّ نوحٍ وَصَبْرِ أَيُّوبِ
وقال آخر :

إِنِّي رَأَيْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبُكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشَبَّهُوا
وقال حسان بن ثابت :

إِنِّي لَا أَعْجَبُ مِنْ قَوْلِ غُرِّتَ بِهِ حُلُوِّ يَمْدُ إِلَيْهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
لَوْ تَسْمَعُ الْمُعْصَمُ مِنْ صَمٍّ الْجَمَالِ بِهِ

ظَلَّتْ مِنَ الرَّاسِيَّاتِ الْمُعْصَمُ تَحْدِرُ
كالخمر والشهد يجري فوق ظاهره

وما لباطنه طعمٌ ولا خبرٌ
وكالسراب شبيهاً بالغدير وإن • تبغ السراب فلا عين ولا أثرٌ
لا يفتُ العشبُ عن برقٍ وراعدةٍ
غراءٍ لَيْفَسَ لَهَا سَيْلٌ وَلَا مَطَرٌ

وقال آخر :

رَأَيْتُ أَبَا عُثْمَانَ يَبْذُلُ عِرْضَهُ وَخَبَزُ أَبِي عُثْمَانَ فِي أَحْوَزِ الْحَوْزِ
يَحْنُ إِلَى جَارَاتِهِ بَعْدَ شَبْعِهِ وَجَارَاتُهُ غُرَّتِي تَحْنُ إِلَى الْخُبْزِ

وقال آخر :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْخُبْزَ فَكِهَةٌ حَتَّى تَزَلَّ عَلَى أَوْفَى بْنِ مَنْصُورٍ

الحابس الروث في أعفاج بقلته
وقال آخر :

نوالك دونه خرط القياد
تري الإصلاح صومك لا لنسك
أدري عمر الرغيف بطول جدا
وقال آخر :

الثوم منك على الطعام طباع
وإذا تمر باب دارك سائل
وعلى رغيفك حية مسمومة
وقال آخر :

يا تارك البيوت على الضيف
ضيقت قد جاء بحبزه له
إذا أشتى الضيف طبيع الشتا
وإن دنا المسكين من بابه
وقال آخر :

رأى ضيفك بالدار
على خبزك مكتوبا
وكرب الجوع يغشاه
سيكفيكم الله

وقال آخر :

لَأَبِي نَوْحٍ رَغِيفٌ أَبَدًا فِي حَجَرٍ دَائِيهِ
أَبَدًا يَمْسَحُهُ الدَّهْرُ بِكُمْ وَوَقَائِيهِ
وَلَهُ كَاتِبٌ سِرٌّ خَطٌّ فِيهِ بَعْنَائِيهِ
فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

وقال آخر :

الْحَبْزُ يُبْطِي حِينَ يَدْعُو بِهِ كَأَنَّهُ يَقْدُمُ مِنْ قَافٍ
وَيَمْدَحُ الْمِلْحَ لِأَصْحَابِهِ يَقُولُ هَذَا مِلْحُ سِيرَافٍ
سَيَّانٍ أَكَلُ الْحَبْزِ فِي دَارِهِ وَقَلْعُ عَيْنِيهِ بِخُطَافٍ

وقال آخر :

فَتَى لَا يَغَارُ عَلَى عَرْسِهِ وَلَكِنْ يَغَارُ عَلَى مُخْبَزِهِ
فَمِنْهُ يَدُ الْجُودِ مَقْبُوضَةٌ وَكَفُّ السَّاحَةِ فِي عَجْزِهِ

وقال آخر :

يَصُونُونَ أَثْوَابَهُمْ فِي التَّخَوْتِ وَأَزْوَاجَهُمْ بَذَاةً فِي السُّكُكِ
يُنَحُّونَ مَنْ رَامَ رُغْفَانَهُمْ وَيُدْنُونَ مَنْ رَامَ حَلَّ التُّكُكِ

وقال آخر :

أَمَّا الرَّغِيفُ عَلَى الْخُحْوِ نِ فَمِنْ حَمَامَاتِ الْحَرَمِ

مَا إِنْ يُجَسَّسْ وَلَا يُجَسَّسْ وَلَا يَذَاقْ وَلَا يَشَمْ
فَتَرَاهُ أَخْضَرَ يَابِسًا بَالِي النُّقُوشِ مِنَ الْهَرَمِ

وقال آخر :

أَتَيْنَا أَبَا طَاهِرٍ مَفْطِرِينَ إِلَى دَارِهِ فَرَجَعْنَا صِيَامًا
وَجَاءَ بِخُبْزٍ لَهُ حَامِضٌ فَقُلْتُ دُعُوهُ وَمُوتُوا كِرَامًا

وقال آخر :

يَبْخَلُ بِالْمَاءِ وَلَوْ أَنَّهُ مِنْغَسٌّ فِي وَسْطِ النَّيْلِ
شَحًّا فَلَا تَطْمَعُ فِي خُبْزِهِ وَلَوْ تَشَفَّعَ بِجَبْرِيلَ

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد ما لأحد من المولدين
ما لأبي نواس في الهجاء :

وَمَا رَوَّحْتَنَا لِتَذُبَّ عَنَّا وَلَكِنْ خَفَتْ مَرْزُوءَةُ الذُّبَابِ
شَرَابُكَ كَالسَّرَابِ إِذَا التَّقِينَا وَخُبْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ التُّرَابِ

وقال آخر :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُؤُومَا خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
أَيْسَ لِي مَا حَيِّيتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وقال الخليل بن أحمد العروضي الأزدي :

فَكَفَّاهُ لَمْ تُخْلَقْ لَلنَّدَى وَلَمْ يَكُ بِخُلْهَما بِدَعَهُ
فَكَفَّ عَلَى الْخُبْزِ مَقْبُوضَةً كَمَا نَقَصَتْ مَائَةٌ تِسْعَةً

وَكَفَّ ثَلَاثَةَ آلَافِهَا وَتَسَعُ مِثْلُهَا لَهَا شِرْعُهُ (١)
وقال ابن ابي البغل :

وَكُلُّ مَنْ أَجْتَدِيهِ فِي بَلَدٍ أُرُومٌ مِمَّا لَدَيْهِ فِي صَفَدٍ
يَعْقِدُ لِي بِالْبَسَارِ أَرْبَعَةً مَنَقُوصَةً تِسْعَةً إِلَى الْعَدَدِ
وقال آخر :

أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أَرْجِي نَوَالَهُ فَزَادَ أَبُو عَمْرٍو عَلَى حَزَنِي حُزْنَنا
فَكُنْتُ كَبَاغِي الْقَرْنَ أُسَلِّمُ أَذُنَهُ فَأَبَّ بِلَا أُذُنٍ وَلَمْ يَسْتَفِدْ قَرْنَنا

١٩ - محاسن الشجاعة

قيل : كان باليامة رجل من بني حنيفة يقال له جعد بن مالك ، وكان
لسنا فائكا شجاعا شاعرا ، وكانت قد أبر على أهل هجر وناحياتها فبلغ ذلك
الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليامة يوحى بتلاعب جعد به ويأمره
بالتجرد في طلبه حتى يظفر به ، فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن
حنظلة ، فجعل لهم جعلاً عظيماً ان هم قتلوا جعداً أو أتوه به أسيراً ، ووعدهم
ان يوفدهم الى الحجاج ويسني فرائضهم ، فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا
قريباً منه بعثوا اليه رجلاً منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتعزم به
فوثق بهم واطمان اليهم ، فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقاً وقدموا به

(١) قلت في هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي في كتابه «الجامع
في اللغة» الشريعة المثل يقال : هذا شرعة ذاك اي مثله وعلى هذا تأولوا قول
الخليل رحمه الله فكف وذكر الايات الثلاثة ثم قال يريد مثلاً اي مثل الاولى وأنا
أرى ان تكون شرعة هاهنا ديناً وسنة قال هذا لها ديناً .

الى العامل فبعث به معهم الى الجحاج ، وكتب يثني على الفنية . فلما قدموا على الجحاج قال له : أنت جعدر ؟ قال : نعم قال : ما حملك على ما بلغني عنك قال : جراءة الجنان ، وجفوة السلطان ، وكتب الزمان ، قال : وما الذي بلغ من أمرك فيجترىء جنانك ويصلك سلطانك ولا يكب زمانك ؟ قال : لو بلاني الأمير لوجدني من صالحى الأعوان وبهم الفرسان ومن أوفى على أهل الزمان . قال الجحاج : إنا قاذفوك في قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مشؤتك ، وان قتله خيلناك ووصلناك قال : قد أعطيت أصلحك الله الأمانة وأعظمت الهنة ، وقربت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن ، وكتب الى عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه بأسد ضاربات قد أبوت على أهل تلك الناحية ، ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل منها واحدا في قابوت يحرق على عجلة ، فلما قدموا به على الجحاج أمر فألقى في حيز وأجيع ثلاثا ، ثم بعث الى جعدر فأخرج وأعطى سيفا ودلى عليه فمضى الى الأسد ، وأنشأ يقول :

كَيْتٌ وَلَيْتٌ فِي مَكَانِ ضَنْكَ
وَصَوْلَةٍ فِي بَطْشَةٍ وَفَتْكَ
وَلَا هُمَا ذُو أَنْفٍ وَمَحْكُ
فَهُوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ
الذُّبِّ يُغْوِي وَالْغَرَابُ يُبْكِي

حتى اذا كان منه على قدر رمح غطى الأسد وزار وحمل عليه ، فتلقاه جعدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح فانثنى جعدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس ، فقال

الحجاج : يا جحدر ان احببت ان اخلقك ببلادك واحسن صحبتك وجائزتك
فعلت بك وان احببت ان تقيم عندنا اقمنا فاسنيننا فريضتك . قال :
اختر صحبة الامير ، ففرض له ولجماعة اهل بيته وأنشأ جحدر يقول :

يا جُمْلُ إِنَّكَ لَوَ رَأَيْتِ بَسَاتِي	فِي يَوْمِ هَمِيجٍ مُرْدِفٍ وَعِجَاجٍ
وَتَقْدُمِي لِلنِّيتِ أَرْسُفُ نَحْوَهُ	حَتَّى أَكَابِدُهُ عَلَى الْإِحْرَاجِ
جَهْمٌ كَانَ جَبِينُهُ لَمَّا بَدَا	طَبَقُ الرَّحَى مُتَفَجِّرُ الْأَثْبَاجِ
يَرْنُو بِنَاطِرَتَيْنِ تَحْصِبُ فِيهِمَا	مَنْ ظَنَّ خَالَهَا شِعَاعُ سِرَاجِ
شَنْنٌ بَرَّاسُهُ كَانَ نُيُوبُهُ	زُرْقُ الْمَعَاوِلِ أَوْ شِدَاةُ زِجَاجِ
وَكَاثِنَا خِيطُ عَلَيْهِ عِمَاءُهُ	بَرْقَاةٌ أَوْ خَلْقٌ مِّنَ الدِّيبَاجِ
قِرْنَانِ مُحَضَّرَانِ قَدْ رَبَّتُهُمَا	أَمْ الْمَنِئِيَّةِ غَيْرُ ذَاتِ نِتَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَيْتُ زِيَالَهُ	أَنْتَ مِنِ الْحَجَّاجِ لَسْتُ بِنَاجِ
فَمَشَيْتُ أَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلًا	

وَالنَّاسُ مِنْهُمْ شَامِتٌ وَعِصَابَةٌ	بِالْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَاكَ أَنَا جِي
فَفَلَقْتُ هَامَتُهُ فخرٌ كَأَنَّهُ	عَبْرَانُهُمْ لِي بِالْخُلُوقِ شَوَاجِي
ثُمَّ أَتَنَنَيْتُ فِي قَمِيصِي شَاهِدٌ	أُطْمُ تَقْوُضَ مَائِلُ الْأَبْرَاجِ
أَيَقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفَاطٍ مَاجِدٌ	مِمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الْأَوْدَاجِ
فَلَيْتَ قُذِفْتُ إِلَى الْمَنِئِيَّةِ عَامِدًا	مِنْ نَسْلِ أَمْلَاكِ ذَوِي أَتَوَاجِ
	إِنِّي لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ رَاجِي

عَلِمَ النِّسَاءُ بِأَنِّي لَا أَتَنَّى ^(١) إِذْ لَا يَثْقَنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ

وحكي عن الطفيل بن عامر العمري قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلاً أحب الوحدة ، فبينما أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردته فسرت أياماً لا أدري أين أتوجه حتى نفذ زادي ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويشت من الحياة ، فبينما أنا أسير اذ أبصرت قطع غم في ناحية من الطريق ، فملت إليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان فقال لي : يابن العم أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة لي في بعض المدن وما أظني الا قد ضللت الطريق فقال : أجل ! ان يينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك ، فنزلت فرمى لفرسي حشيشاً وجاء إلي بتريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً وجعل يكعب لي ويطعمني حتى اكفيت ، فلما جئنا الليل قام وفرش لي وقال : قم فارم بنفسك فان النوم اذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك ، فقمتم ووضع رأسي فبينما أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناها مثلها قط حسناً وجمالاً ، ففقدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلتمى من الوجد به ، فامتنع على النوم لحسن حديثهما ، فلما كان في وقت السحر قامت الى منزلها ، فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له : ممن الرجل ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، فانتسب لي فعرفته فقلت له : ويحك ! ان أباك لسيد قومه فما حملك وضعك نفسك في هذا المكان ؟ فقال : أنا والله أخبرك كنت عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها ، وكانت هي أيضاً لي وامقة ، فشاع خبرنا في الناس ، فأثبت عمي فسألته أن يزوجنيها فقال : يا بني والله ما سألت شططا وما هي بآثر عندي منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن انظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك ، فقلت : لا حاجة لي فيما

(١) - المشهور في رواية البيت (ممن يفار على النساء حفيظة) البيت الخ .

ذَكَرْتُ وَتَحَمَّلْتُ عَلَيْهِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي فَرَدَّمَهُ ، وَزَوْجَهَا رَجُلًا مِنْ ثَقِيفَ لَهُ
 رِيَاسَةٌ وَقَدَرٌ فَجَعَلَهَا إِلَى هَهنا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى خِيَمٍ كَثِيرٍ بِالْقَرَبِ مِنَّا - .
 فَضَاقَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا بِرَحْبِهَا ، وَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتِي فَرَحَتْ فَرَحًا
 شَدِيدًا فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَجْهَرِي أَحَدًا أَنِّي مِنْكَ بِسِيْلٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ زَوْجَهَا
 وَقُلْتُ . أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا وَأَنَا خَائِفٌ ، وَقَدْ قَصَدْتُكَ لِمَا
 أَعْرِفُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَلِي بَصَرٌ بِالْغَنَمِ إِنْ رَأَيْتُ أَنَّ
 تَعْطِينِي مِنْ غَنَمِكَ شَيْئًا فَأَكُونُ فِي جَوَارِكَ وَكَتِفِكَ فَافْعَلْ . قَالَ : نَعَمْ
 وَكَرَامَةٌ : فَأَعْطَانِي مِائَةَ شَاةٍ وَقَالَ لِي : لَا تَبْعُدْ بِهَا مِنَ الْحَيِّ ، وَكَانَتْ ابْنَةُ
 عَمِّي تَخْرُجُ إِلَى كُلِّ لَيْلَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَأَيْتُ وَتَنْصَرِفُ ، فَلَمَّا رَأَى حَسَنَ
 حَالِ الْغَنَمِ أَعْطَانِي هَذِهِ فَرَضِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا تَرَى قَالَ : فَأَقْبَتُ عَنْدهُ أَيَّامًا ،
 فَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ نَهَنِي وَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ قُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ :
 إِنَّ ابْنَةَ عَمِّي قَدْ أَبْطَأَتْ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ عَادَتَهَا وَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ إِلَّا الْأَمْرَ
 حَادِثٌ ، فَحَدَّثْتَنِي فِجَعَلْتُ أَحَدَهُ ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

مَا بِالْمِيَةِ لَا تَأْتِي كَعَادَتِهَا	هَلْ هَاجَبَهَا طَرَبٌ أَوْ صَدَّهَا شُغْلٌ
لَكِنَّ قَائِي لَا يَغْنِيهِ غَيْرُكُمْ	حَتَّى الْمَمَاتِ وَلَا لِي غَيْرُكُمْ أَمَلٌ
لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ	لَمَّا أَعْتَذَرْتُ وَلَا طَابَتْ لَكَ الْعِلَلُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ قَدْ أَحْلَلَتْ بِي حُرْقًا	تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَنْحَشَاءُ تَنْفَصِلُ
لَوْ كَانَ عَادِيَةً مِنْهُ عَلَى جَبَلٍ	لَزَلْ وَأَنْهَدَ مِنْ أَرْكَانِهِ الْجَبَلُ

فَوَاللَّهِ مَا اكْتَجَلْتُ بَعْضَ حَتَّى انْفَجَرَ عُمُودُ الصَّبْحِ ، وَقَامَ وَمَرَّ نَحْوَ الْحَيِّ
 فَأَبْطَأَ عَنِّي سَاعَةً ثُمَّ أَقْبَلَ وَمَعَهُ شَيْءٌ وَجَعَلَ يَبْكِي عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟
 قَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ عَمِّي افْتَرَسَهَا السَّبْعُ فَأَكَلَ بَعْضَهَا وَوَضَعَهَا بِالْقَرَبِ مِنِّي فَأَوْجَعَ

والله قلبي ، ثم تناول سيفه ومر نحو الحمي فأبطأ هنيئة ثم أقبل الى وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبي قلت : وكيف علمته ؟ قال اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت أنه هو فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر في الأرض فأمن وأخرج ثوبا جديداً وقال : يا أخا بني عامر اذا أنامت فأدرجني معها في هذا الثوب ، ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام :

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي مَهْلٍ وَالذَّهْرُ يَجْمَعُنَا وَالذَّارُ وَالْوَطَنُ
فَخَانَنَا الذَّهْرُ فِي تَفْرِيقِ الْفَتَا وَالْيَوْمَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ

ثم التفت الى الأسد وقال :

أَلَا أَتِيهَا اللَّيْلُ الْمِدْلُ بِنَفْسِهِ مُهِبَتْ لَقَدْ جَرَتْ يَدَاكَ أَنَا حُرْنَا
وَعَادَرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ آفَا وَصَيَّرْتَ آفَاكَ السِّبْلَادِ لَنَا سِجْنَا
أَأَصْحَبُ دَهْرًا خَانِي بِفِرَاقِهَا مُعَاذَ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خِدْنَا

ثم قال : يا أخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصع في أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ، ثم قام الى شجرة فاختمق حتى مات ، فقامت فأدرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننمعن عليه تعظيما له ، فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا اليها فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان قال للججاج اطلبوا لي

شهاب بن حرقة السعدي في الاسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه في الاسرى فلما أدخل على الحجاج قال له : من أنت ؟ قال أنا شهاب بن حرقة قال : والله لأقتلنك قال : لم يكن الامير بالذي يقتلني قال ولم ؟ قال : لان في خصا لا يرغب فيمن الامير قال وما هن ؟ قال : ضروب بالصفحة هزوم للكثيرة من الكتبية أحبي الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجاج : ما أحسن هذه الخصال فأخبرني بأشد شيء مر عليك قال : نعم أصلح الله الامير

بينما أنا أسير * ومركبي * وثير * في عصابة من قومي
في ليلتي ويومي * يمضون كالأجادل * في الحرب كالبوائل
أنا المطاع فيهم * في كل ما يليهم * فسرت خساً عوما
وبعد خمس يوما * حتى وردت أرضا * ما انت ترام عرضا
من بلد البحرين * عند طلوع العين * فبهجتهم نهارا
ألتبس المغارا * حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر
اذا أنا بعير * يقودها خفير * موقرة متاعا
مقبلة صراعا * فصلت بالسنان * مع سادة فتيان
فسقتها جميعا * أحشا سريعا * أريد رمل عالجا
أمعج بالعناجج * أسير في الليالي * خرقا بعيدا خالي
وقد لقينا تعباً * وبعد ذاك نصبا * حتى اذا هبطنا
من بعد ما صعدنا * غنت لنا بيدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * في مهيه كالترس * حتى اذا ما أمنت
بالفقر ثم درمت * وردت قصرأ منهلا * في جوفه طام حلا
وعنده خبيمه * في جوفها نعيمه * عزبة كالشمس
فاقت جميع الانس * فبعجت مهري عندها * حتى وقفت معها
حيث ثم ردت * في لطف وحيث * فقلت يا لعوب

والطفلة العروب * هل عندكم قراء * إذ نحن بالعرء
 قالت نعم يرحب * في لطف وقرب * أربع هنا عتيدا
 ولا تكن بيمدا * حتى يحبك عار * من الهلال زاهر
 فعبت عن قريب * في باطن الكتيب * حتى رأيت عامرا
 يحمل ليثا خادر * على عتيق سابع * كمثل طود اللامح

قال : وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال : ويحك دعنا من
 السبع والرجز وخذ في الحديث قال : نعم أيها الأمير ثم نزل فربط فرسه
 وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وثق عن بطن الأسد وألقى مرافقه في النار
 فجعلت أصاح الله الأمير اسمع اللحم الاسد نشيشاً فقالت له نعيمة قد جاءنا
 ضيف وانت في الصيد قال : فما فعل ؟ قالت ، ها هو ذاك بظهر الكتيب
 والحيمة ، فأومأت الي ، فأتيتهما فاذا انا بسلام أمرد كأن وجهه دارة القمر
 فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد
 لشدة الجوع ، فأكلت انا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ، ثم مال
 الى زق فيه خمر فشرب ، ثم سقاني فشربت ، ثم شرب الغلام حتى أتى
 على آخره فبينما نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل اصحابي فقممت
 وركبت فرسي وتناولت رحلي وصرت معهم ثم قلت : يا غلام خل عن
 الجارية ولك ما سواها فقال وملك احفظ الملاحه ، قلت لا بد من الجارية
 وفارس فالتفت اليها وقال لها : قفي ، ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟
 وإلا فارس وفارس فبرز اليه رجل من اصحابي فقال له الغلام : من انت ؟
 فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤاً أعرفه . فقال : انا عاصم
 ابن كلبة السعدي فشد عليه وانشد يقول :

إِنَّكَ يَا عَاصِمُ بِي لَجَاهِلٌ إِذْ رُمْتَ أَمْرًا أَنْتَ عَنْهُ تَاكِلُ
 إِنِّي كَمِيتٌ فِي الْخُرُوبِ بَاسِلٌ كَيْتٌ إِذَا أَصْطَكَ اللَّيْثُ وَثُ بَازِلُ

ضَرَابُ هَامَاتِ الْعِدَا مُنَازِلَ قَتَالِ أَقْرَانِ الْوَعَى مُقَاتِلَ

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟ وإلا فارس
فتقدم إليه آخر من اصحابي فقال له الغلام : من انت ؟ فقال : انا صابر
ابن حرقه . فشد عليه وانشأ يقول :

إِنَّكَ وَالْإِلَهَ لَسْتَ صَابِرًا عَلَى سِنَانٍ يَجْلِبُ الْمَقَادِرَا
وَمُنْصِلٍ مِثْلِ الشَّهَابِ بَاتِرًا فِي كَفِّ قَرْمٍ يَمْنَعُ الْحَرَارَا
إِنِّي إِذَا رُمْتُ أَمْرًا فَاسِرًا يَكُونُ قَرْنِي فِي الْحُرُوبِ بَاتِرَا

ثم طعنه فقتله ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟ وإلا فارس
لفارس فلما رأيت ذلك هالني امره وأشفقت على اصحابي فقلت : احملوا
عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول :

الآن طابَ الْمَوْتُ ثُمَّ طَابَا إِذْ تَطْلُبُونَ رَخْصَةً كَعَابَا
وَلَا نُرِيدُ بَعْدَهَا عِتَابَا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رحلها فـها زال يجالدا ونعيمة حتى قتل
منا عشرين رجلا فأشفقت على اصحابي فقلت : يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة
فقال : ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالنا . ثم قلت يا عامر بحق
الملاحه من انت ؟ قال : انا عامر بن حرقه الطائي وهذه ابنة عمي ونحن
في هذه البرية منذ زمان ودهر ما مر بنا إنسي غيركم ، فقلت : من أين
طعامكم ؟ قال حشرات الطير والوحش والسباع : فمن أين شرابكم ؟ قال :
الحمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت : ان معي مائة
من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك فقال : لا أرب لي فيها ولو

أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين فقال الحجاج : الآت
يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال : كان خروجي على الامير
أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفأ عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني
بغيره فأطلقه ووصله ورده الى بلده .

(ضده)

قال : دخل أبو زيد الطائي على عثمان بن عفان في خلافته وكان
نصرانياً فقال له : بلغني أنك تجيد وصف الاسد . فقال له : لقد رأيت
منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي قال : هات
ما مر على رأسك منه قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من أقفاء
قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترمي بنا المهاري بأكسائها القزوانيات ومعنا
البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغساني
ملك الشام ، فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه
وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر
الجنذب وضائق العصفور الضب في وجاره قال قائلنا : أيها الركب غوروا
بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغمّة
وأطيّاره مرنّة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهيلات فأصبنا من فصلات
المزاود واتبعناها بالماء البارد ، فانا لنصف حر يومنا وبماطلته ومطاولته اذ
صر أقصى الخيل أذنيه وفحص الأرض بيده ، ثم ما لبث أن جال ففهمهم
وبال فهمهم ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعفت الخيل
وتكسعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلنا أن
قد أتينا وأنه السبع لا شك فيه ففزع كل امرئ منا الى سيفه واستله من
جربانه ، ثم وقفنا له رزداً فأقبل يتطالع في مشيته كأنه مجنوب أو في

هजार اصدده نحيط ولبلاعيمه غطيظ ولطرفه وميض ولارساغه تقيض كأنما
يخبط هشيا أو يظا صريما ، واذا هامة كالجن وخذ كالسن وعيمان سجرا
وان كأنها سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهذمة رهلة وكند مغبط وزور
مفرط وماعد مجدول وعضد مقتول وكف شنة البراسن الى مخالب
كالهاجن ، ثم ضرب بذنبه فأرهج وكشر فافرج عن أنياب كالماعول مصقولة
غير مغولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تغطي بأسرع يديه وحفز وركيه
برجليه حتى صار ظله مثليه ، ثم أقعى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم
تجهم فازبأر فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني
فزارة كان ضخم الجزارة فوهضه ثم أقعصه فقضض متنه وبقر بطنه فجعل
يلغ في دمه فذبرت أصعابي فبعد لأي ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن
به شيهما حوليا ، فاخلمج من دوني رجلا أعجز ذا حوايا تنفضه نفضة
فتزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ، ثم نهم فقرقر ، ثم زفر ففبر ، ثم
زأر ففجرجر ، ثم لحظ ، فوالله خللت البرق يتطايرو من تحت جفونه عن
شماله ويمينه ، فارتعشت الايدي واصطكت الارجل وأطت الاضلاع ،
وارتجت الاسماع ، وحلجت العيون ، وانخرلت المتون ، ولحقت الظهور
البطون ، ثم ساءت الظنون وانشأ :

عَبَّوسٌ شَمُوسٌ مُصْأَخِدٌ خُنَابِسٌ

جَرِيءٌ عَلَى الْأَرْوَاحِ لِلْقِرْنِ قَاهِرٌ

مَنْعٌ وَيَحْمِي كُلَّ وَادٍ يَرُومُهُ شَدِيدُ أَصُولِ الْمَاضِعِينَ مُكَابِرُ
بَرَانْتُهُ شَنْنٌ وَعَمِينَاهُ فِي الدُّجَى كَجَمْرِ الْغَضَائِي وَجْهِهِ الشَّرُّ ظَاهِرُ
يُدِلُّ بِأَنْيَابٍ حِدَادٍ كَأَنَّهَا إِذَا قَلَّصَ الْأَشْدَاقَ عَنْهَا خَنَاجِرُ

فقال عثمان : اكفف لا أم لك ، فلقد أربعت قلوب المسلمين ، ولقد وصفته حتى كأنني انظر اليه يريد يوائني . وقيل في المثل : وهو أجبن من هجرس - وهو الفرد - وذلك انه لا ينام الا وفي يده حجر مخافة ان يأكله الذئب . وحدثنا رجل بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القروء تجتمع في موضع واحد ، ثم تبیت مستطيلة واحداً في أثر واحد في يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد ، فيأتيها الذئب فيأكلها ، وان نام واحداً وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدومه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذي باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جنباً ، وقيل : هو أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من ان ينام فيؤخذ ، وقيل ايضاً : هو أجبن من المزوف ضرطاً وكان من حديثه ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا اتته ضربته وقلن له : قم فاصطبح ويقول : لو لعادية نبهتني - اي خيل عادية عليكن - فغيره فادفعها عنكن - فلما رأين ذلك فرحن وقلن : ان صاحبنا لشجاع ثم اقبلن وقلن : تعالين نجر به فانيه كما كره يأتينه فأيقظنه فقال : لو لعادية نبهتني ، فقلن له : نواصي الخيل معك ، فجعل يقول : الخيل الخيل ويضطر حتى مات ف ضرب به المثل . وقيل لجبان : اهزمت فغضب الامير عليك ، قال : يغضب الامير وأنا حي أحب الي من ان يرضى وأنا ميت . وقيل لبعض المجان : ما لك لا تغزو ؟ قال : والله اني لا بغض الموت على نواشي فكيف أمر اليه ركضاً ؟ قال : وقال الحجاج لحديد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب : يا حميد هل قاتلت قط ؟ قال : لا أيها الامير إلا في انزوم قال : وكيف كانت وقعتك ؟ قال : انتبهت وأنا منهزم ، وما قيل في ذلك من الشعر :

ظَلْتُ تُشَجِّعُنِي هِنْدُ بَتَضْلِيلٍ وَلِلشَّجَاعَةِ خُطْبٌ غَيْرُ مُجْهُولٍ

هَاتِي شُجَاعًا لِغَيْرِ الْقَتْلِ مَضْرَعَهُ أَوْجِدْكَ أَفَ جَبَانٍ غَيْرِ مَقْتُولِ
الْحَرْبُ تَوْسِعُ مَنْ يَصْلِي بِهَا حَرْبًا يُثَمُّ الْعِيَالِ وَإِنْ كَالِ الْمَافِئِلِ
اسْمُ الْوَعَى اشْتَقَّ مِنْ غَوْغَاءَ يُخْرِبُهَا

يَغْدُونَ لِلْمَوْتِ كَالطَّيْرِ الْأَبَائِلِ
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ جَبْرِيلًا تَكْفَّلَ لِي

بِالنَّصْرِ مَا خَاطَرَتْ نَفْسِي لِجَبْرِيلِ
هَلْ غَيْرَ أَنْ يَمْدِدُونِي أَنِّي فَشِلُّ فَكُلُّ هَذَا نَعَمْ فَأَغْرُوا بِتَمْزِيلِ
إِنْ أَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِي فِي الْوَعَى أَبَدًا

كَانَ أَعْتَذَارِي رَدِيدًا غَيْرَ مَقْبُولِ
اسْمَعْ أَخْبَرْتُكَ عَنْ بَأْسِي بِذِي سَابِ

خِلَافَ بَأْسِ الْمَسَاعِيرِ الْجَبَالِيلِ
لَمَّا بَدَتْ مِنْهُمْ نَحْوِي عَشَوَزَةٌ

سَمَاءُ تَشْرَعُ فِي عَرْضِي فِي طُولِي
فَقُلْتُ وَنِيحَكُمْ لَا تَرْهَبُوا جَلْدِي

رُمْعِي كَسِيرٌ وَسَيْفِي غَيْرُ مَقْقُولِ
لَمَّا انْقَبَضَتْهُمْ طَوْعًا بِذَاتِ يَدِ وَأَنْصَعْتُ أَطْوِي الْفَلَاحَ إِلَى مِيلِ
اللَّهُ خَلَصَنِي مِنْهُمْ وَفَلَسَفَتِي حَتَّى تَخْلَصْتُ مَخْضُوبَ السَّرَاوِيلِ

وقال آخر :

أَضَحْتُ تُشَجِّعُنِي هَذَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لا والذي حَبَّتْ الْأَنْصَارُ كَعَبْتُهُ

مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ
لِلْعَرَبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَيْتُهُمْ إِلَى حَوَامِيهَا وَتَبَّوْا
وَأَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ
وقال آخر :

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ حَلَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ فِي حَيَاةٍ وَلَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ

٢٠ - محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب : لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان يقال :
حب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم
أرضه كما يتروح الأرض الجذبة ببيل المطر . وقال بقراط : يداوى كل
عليل بعقاقير أرضه فان الطيبة تنزع الى غذائها ، وبما يؤكد ذلك قول
أعرابي وقد مرض بالحضر ف قيل له : ما تشتهي فقال : نخيضا روبا وضبا
مشويا ، وقد قيل : أحق البلدان بتزائك اليها بلد أمحك حلب رضاعه ،
وقيل : احفظ أرضاً أرسخك رضاعها ، وأصلحك غذاؤها وارع حمى
اكتنفك فئاؤه . وقيل : لا تشك بلدا فيه قبائلك . وقيل من علامة
الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها تواقفة . وحدثنا
بعض بني هاشم قال : قلت لأعرابي من أين أقبلت ؟ قال : من هذه

البادية ، قلت : وأئن تسكن منها ؟ قال : مسافط الحمى حى ضرية ما
ان لعمر الله أريد بها بدلا ولا أبتغي عنها حولا حقتها القلوات فلا يملوح
ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن
بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة قلت : بما طعامكم ؟ قال ؟ بنخ
الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وريثنا والله أكلنا الله
وامشونا الجلد فلا نعلم أحداً أنصب منا عيشا ، فالحمد لله على ما رزق من
السعة وبسط من حسن الدعاء . وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية اذا
انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله ؟ فقال : وهل العيش إلا ذاك ؟ يعيش
أحدنا ميلا فيرفض عرفا كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساه
وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه في ايوان كسرى . وقال بعض الحكماء :
عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك . وقيل لأعرابي ما الغبطة قال
الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان ، وقيل : فما الذل ؟ قال :
التنقل في البلدان والتنحى عن الاوطان ، وقال بعض الأدباء : الغربة ذلة
والذلة قلة ، وقال الآخر : لا تمهض عن وطنك ووكرك فتقتصك الغربة
وتصمتك الوحدة . وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي تكل أبويه
فلا أم تؤمّه ولا أب يحذب عليه . وكأن يقال : الغريب عن وطنه
ومحل رضاعه كالغرس الذي زایل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يشمر وذابل
لا ينض ، وكان يقال : الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناصر عن موضعه
الذي هو لكل رام رمية ، وأحسن من ذلك وأصدق قول الله عز وجل
« وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ » وقال تعالى « وَلَوْ أَنْتَا
كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ
مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل ،
وقال تقدست اسماءه « وَمَا لَنَا أَلَا أَنْ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا » فجعل القتال بازاء الجلاء ، قال عليه السلام
(الخروج عن الوطن عقوبة) وما قيل في ذلك من الشعر :

إِذَا مَا ذَكَرْتُ التَّغْرَ فَاصْتُ مَدَامِعِي

وَأُضْحَى قُوَادِي نَهَبَةً لِلْهَمَاهِمِ

حَنِينًا إِلَى أَرْضِ بَهَاخَضَرٍ شَارِبِي وَحُلَّتْ بِهَا عَنِّي عُقُودُ التَّمَائِمِ

وَأَلْطَفُ قَوْمٍ بِالْفَتَى أَهْلُ أَرْضِهِ وَأَرْعَاهُمْ لِلْمَرْءِ حَقَّ التَّقَادُمِ

وقال آخر :

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ

وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي أَجَلُ لَا وَلَكِنِّي عَلَى ذَاكَ أَنْظَرُ

فَقِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً لَعِينُكَ يَجْرِي مَأْوَها يَتَحَدَّرُ

مَتَى يَسْتَرِخَ قَلْبٌ فَإِذَا مُحَازِرُ حَزِينٌ وَإِذَا نَازِحٌ يَتَذَكَّرُ

وقال آخر :

نَقُلُ قُوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى

مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَا لَفُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

وقال ابن أبي السرح قرأت على حائط بيتي شعروها :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَلَوْ يَكُونُ بِبِلَدَةٍ يَجْنِي إِلَيْهِ خَرَاجُهَا لَغَرِيبٌ

وَأَقْلُ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ مِنَ الْأَذَى

أَنْ يُسْتَفْذَلَ وَأَنْ يُقَالَ كَذُوبٌ

وقال : وقرأت على حائط بعسكر مكرم :

إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا يُنَادِي مَوْجِعًا عِنْدَ الشَّدَائِدِ كَانَ غَيْرَ مُجَابٍ
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْغَرِيبِ فَكُنْ لَهُ مُتَرَحِّمًا لِتَبَاعُدِ الْأَحْبَابِ

وقال : وقرأت على حائط ببغداد :

غَرِيبُ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ صَدِيقُ جَمِيعُ سُؤَالِهِ أَزِنَ الطَّرِيقُ
تَعْلُقُ بِالسُّؤَالِ لِكُلِّ شَيْءٍ كَمَا يَتَعَلَّقُ الرَّجُلُ الْفَرِيقُ
فَلَا تَجْزَعُ فَكُلُّهُ فَتَى سِيَّاتِي عَلَى حَالَاتِهِ سَعَةً وَضِيقُ

قال : ووجدت على حائط باب مكتوبا :

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَنْزِلٍ رَحَلْنَا وَخَلَّفْنَاكَ غَيْرَ ذَمِيمٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا فَمَا أَحَدٌ مِنْ رَزِيئِهَا بِسَلِيمٍ

وقال آخر :

وَإِنْ اغْتَرَبَ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَلَا فَاقَةَ يَسْمُو لَهَا كَعَجِيبُ
فَحَسْبُ أَمْرِيءُ ذُلًّا وَلَوْ أَدْرَكَ الْغِنَى

وَنَالَ ثَرَاءً أَنْ يُقَالَ غَرِيبُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ يَكُنْ فِي غِبْطَةٍ لَمَعْدَبٍ وَفُؤَادُهُ مَحْزُونُ
وَمَتَى يَكُونُ مَعَ التَّفَرُّبِ عَاشِقًا وَمُفَارِقَا يَرَبُّ كَيْفَ يَكُونُ

وقال آخر

إِنَّ الْغَرِيبَ ذَلِيلٌ أَيْنَمَا سَلَكَ
إِذَا تَفَنَّى سَحَابُ الْأَيْكِ فِي غُصْنٍ

وقال آخر :

سَلِ اللَّهَ الْإِيَابَ مِنَ الْمَغِيبِ
وَسَلِ الْحُزْنَ مِنْكَ بِحُسْنِ ظَنٍّ

وقال آخر :

تَصَبَّرْ وَلَا تَعْجَلْ وَفِتْ مِنَ الرَّدَى
فَقُلْتُ وَفِي قَلْبِي جَوَى لِفِرَاقِهَا

وقال آخر :

أَعَادِلْ حُبِّي لِلْغَرِيبِ سَجِيَّةً
لَنْ قُلْتُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ إِنْ مَضَوْا
يَلِي غُفَرَاتِ الشُّوقِ أَضْرَمْتُ الْحَشَا

وقال آخر :

إِذَا اغْتَرَبَ الْكَرِيمُ رَأَى أُمُورًا
مُجَلَّلَةً يُشِيبُ لَهَا الْوَلِيدُ

وقال آخر :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَكُونُ
نَ كَذَا تَفَرُّقُنَا سَرِيعًا

بَحَلَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ أَنْ نَبَقِيَ كَمَا كُنَّا جَمِيعًا
فَأَحَلَّنِي فِي بَلَدَةٍ وَأَحَلَّكَ الْبَلَدَ الشَّيْخَا
قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْوَصَا لَ فَصِرْتُ أَنْتَظِرُ الرُّجُوعَا
وقال آخر :

نَسِيمُ الْخَزَامِي وَالرِّيَّاحُ الَّتِي جَرَتْ بَنَجِدُ عَلَى نَجْدٍ تُذَكِّرُنِي نَجْدًا
أَتَانِي نَسِيمُ السَّدْرِ طَيْبًا إِلَى الْحَمَى فَذَكَّرَنِي نَجْدًا فَقَطَّعَنِي وَجْدًا

وفي معناه [الدعاء للمسافر] بأمن طالع وأسر طائر ولا كبابك
مركب ، ولا اشت بك مذهب ، ولا تعذر عليك مطلب . سهل الله لك السير
وانا لك القصد وطوي لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر . على الطائر
الميمون والكوكب السعدالي حيث تتقاصر أيدي الحوادث عنك وتتقاس
نوائب الايام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب . كان الله لك في سفرك
خفيرا وفي حضرك ظهيرا بسعي نجيح وأوب سريح . بصرك الله محلك وهداك
رحلك وسر بأوبتك اهلك ولا ذات آمنة مقبلا وظاعنا بأسعد جد وأنجح
مطلب وأسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة . اشخص مصحوبا بالسلامة
والكلاءة آتيا بالنجح والغبطة محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقة في ودائع
الله وكنفه وجواره وستره وامانه وحفظه وذيامه . وقال رجل للنبي صلى
الله عليه وسلم : اني اريد سفرا ، فقال : في كنف الله وستره زدك الله
التقوى ووجهك الى الخير حيثما كنت استخلف الله فيك واستخلفه
منك) ، وقال الشاعر

فِي كَنْفِ اللَّهِ وَفِي سِتْرِهِ مَنْ لَيْسَ يَخْلُدُ الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِهِ

وقال آخر :

إِرْحَلْ أَبَا بَشْرٍ بِأَيْمَنِ طَائِرٍ وَعَلَى السَّعَادَةِ وَالسَّلَامَةِ فَانْزِلِ

(ضده)

قال بعض حكماء الفلاسفة : أطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنتم عقلا كثيراً . وقال آخر : لا يألف الوطن الا ضيق العطن . وقيل لا توحشك الغربة اذا آتسك النعمة . وقيل : الفقير في الاهل مصروم والغني في الغربة مرصول . وقال : لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما . وقيل : أوحش قومك ما كان في إيجاشهم أنسك ، واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك ، وأنشد :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَا زُرُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِرَانًا بِجِيرَانِ
وقال آخر :

نَبَتْ بِكَ الدَّارُ فَيَسِرْ آمِنًا فَلِلْفَتَى حَيْثُ انْتَهَى دَارُ

وفي معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشأم ، والسانح الاعضب ، والصرد الانكد ، والسفر الابد . لا استمرت به مطيته ولا استتبت به أمنيته ، ولا تراخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر . لا قروي اذا استضاف ولا أمن اذا خاف . ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال : لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيشاً ولا سار الا ريثا ولا رافق الا ليشاً أبعد الله وأسحقه وأوقد على أثره وأحرقه لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله لا زكي له مطلب ولا رجب له مذهب ولا يسر له مراما لا فرج الله له غمه ولا

سري همه لا سقا الله ماء ولا حل عقده ولا أوري زنده جعله الله سفر
الفراق وعصى الشقاق ، وأنشد :

بأنكد طائر وبشرّ فال لأبعد غاية وأخسّ حال
بجد الشّد حيث يكون مني كما بين الجنوب إلى الشمال
غريباً تمتطي قدميك دهرًا على خوف تحن إلى العيال
وقال آخر :

إذا استقلت بك الرّكاب فحيث لا درت السحاب
وحيث لا تبتغي فلاحاً وحيث لا يُنجس إياب
وحيث ما درت فيه يوماً قابلك الذئب والغراب
وقال آخر :

فسر بالشحوس إلى بلدة تعمّر فيها ولا تُرزق
ولا تزرع الأرض من زهرة ولا ينثر الشجر المورق
تفيض البحار بها مرة ويكدي السحاب بها المغدق
وقال آخر :

أدنى خطاك الهند والصين وكلّ تحس بك مقرون
بحيث لا يانس مستوحش وحيث لا يفرح مخزون
تهوي بك الأرض إلى بلدة ليس بها ماء ولا طين

٢١ - محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال : قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن ابان الخزاعي ، فلما رأى ماتصنع سوقة المختار من الاعظام جعل يقول : يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذي بلغني عنك . قال : الباطل فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا والله لا تقدر على ذلك قال : ولم ؟ قال : اما دون ان انظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لأعرف الشجرة الساعة واعرف شاطئ ذلك النهر ، فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم : ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى إذا كان الليل بعث اليه فقال : يا اخا خزاعة أو مزاح عند القتل ؟ قال : انشدك الله ان اقتل ضياعاً قال : وما تطلب ههنا ؟ قال : اربعة آلاف درهم اقتضي بها ديني قال : ادفعوها اليه وإياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه . وعنه قال كان سراقه البارقي من ظرفاء اهل الكوفة فأسره رجل من اصحاب المختار فأتى به المختار فقال له : أسرك هذا ؟ قال سراقه : كذب والله ما أسرنى إلا رجل عليه ثياب بيض على فارس ابلق . فقال المختار : إلا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله . فلما افلت منه انشأ يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهُمًا مُصَمَّمَاتِ
أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأْيَاهُ كِلَانًا عَالِمٌ بِالثَّرَاهَاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَيَّ قِتَالَكُمْ حَتَّى أَلَمَاتِ

وعنه قال : كان الاحوص بن جعفر الخزومي يتغدى في دير اللج في يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقه البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه

الوبر والخز وعليهما الأطمار قال حمزة لسراقة : اين يذهب بنا في البرد ونحن في اطمار؟ قال : سأكفيكمه فيمنها هو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالاحوص فقال له : ما خبرك الراكب؟ قال : زعم ان خوارج خرجت بالقططانة . قال : بعيد قال : ان الخوارج تسير في ليلة ثلاثين فرسخاً واكثر . وكان الاحوص احد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا تنغدى في المنزل ، فلما حاذى منزله قال لأصحابه : ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسري فقال : خرجت خارجة بالقططانة . فنادى خالد في العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فأعلموه انه لا اصل للخبر . فقال للاحوص : من اعلمك بهذا؟ قال : سراقة قال : واين هو؟ قال : في منزلي ، فارسل اليه من اتاه به قال : انت اخبرته عن الخارجة قال : ما فعلت اصلح الله الامير ، قال له الاحوص : انكذبني بين يدي الامير . قال خالد ويحك اصدقني قال : نعم اخرجنا في هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن في اطمارنا هذه فأحببت ان ارده ، فقال له خالد : ويحك وهذا بما يتلاعب به ، وسراقة هذا هو القائل :

قالوا سُراقة عَتَيْنُ فَقُلْتُ لَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عَتَيْنٍ
فَإِنْ ظَنَنْتُمْ بِي الشَّيْءَ الَّذِي زَعَمْتُمْ فَقَرَّبُونِي مِنْ بَنَاتِ ابْنِ يَاسِينَ

وذكروا : ان شبيب بن يزيد الخارجي مر بغلام مستنقع في الفرات فقال له : يا غلام اخرج اني امالك ، فعرفه الغلام فقال له : اني اخاف اقامن انا اذا خرجت حتي البس ثيابي ، قال : نعم ، فخرج وقال : والله لا البسها اليوم ، فضحك شبيب وقال : خدعتني ورب الكعبة واكل به رجلا من اصحابه يحفظه الا يصيبه احد بمكروه قال : وكان رجل من الخوارج يقول :

فَمَنْ يَزِيدُ وَالْبَطِينُ وَقَعَبُ وَمِنَّا اميرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأتي به ،
فلما وقف بين يديه قال : انت القائل * ومنا امير المؤمنين شيب
قال لم أقل هكذا يا امير المؤمنين انما قلت * ومنا امير المؤمنين شيب *
فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بعدها ، وفطنته لازالة الاعراب
من الرفع الى النصب . وزعموا ان عمرو بن معدي كرب هجم في بعض
غاراته على سابة جميلة منفردة وأخذها ، فلما امعن بها بكى فقال : ما يبكيك
قالت : ابكي لافراقى بنات عمي هن مثلي في الجمال وأفضل مني خرجت
معهن فانقطعنا عن الحى قال : وأنت هن ؟ قالت خلف ذلك الجبل ووددت
اذ أخذتني انك أخذتهن معي فامض الى الموضع الذي وصفته ، فمضى الى
هنالك فلما شعر بشيء حتى هجم على فارس ساك في السلاح فعرض عليه
المصارعة فصارع الفارس ثم عرض عليه ضرباً من المناوشة فغلبه الفارس في
كلها . فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكناني فاستنقذ الجارية .
وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلاً ببلاد الشرك ومعه
جارية لم يريا احسن منها شاباً وجمالاً فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى
بها وهابا الاقدام عليه ، ثم عاد ليرمي فانقطعت وتره وسلم الجارية وأسند
في جبل كان قريباً منه فابتدراه وأخذوا الجارية وكان في اذنها قرط فيه درة
فانزعاه من اذنها ، فقالت : وما قدر هذه لو رأيتا درتين معه في قلنسوته
وفي القلنسوة وتوقد أعده ونسيه من الدهش . فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر
فأخذه وعقده في قوسه فوليا ليست لهما همة الا التجاء وخليا عن الجارية ،
وعن الهيثم قال : وكان الحجاج حسوداً لا يتم له صنعة حتى يفسدها فوجه
عمارة بن تميم اللخمي الى عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما
صنع ، ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافوته وكان
عاقلاً رفيقاً فجعل يرائى به ويقول : ايها الامير اشرف العرب انت من شرفته
شرف ، ومن وضعته اتضع ، وما ينكر ذلك لك مع رفيقك ويمتك مشورتك
ورأيك ، وما كان هذا كله الا بصنع الله وتديبيرك ، وليس احد اشكر

لبلائك مني ومن ابن اشعث ، وما خطره حتى عزم الحجاج على المسير الى
عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير ، فلم يزل
يلطف بالحجاج في مسيره ويعظه حتى قدموا على عبد الملك ، فلما قامت الخطباء
بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال : يا امير المؤمنين سل الحجاج
عن طاعتي ومناصحتي وبلائي ، قال الحجاج : يا المؤمنين صنع وضع ومن
بأسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أئمن الناس نقيبة واعلمهم بتدبير وسياسة
ولم يبق في الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا امير المؤمنين ،
قال نعم فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد رضيت ، قال
عمارة : فلا رضي الله عن الحجاج يا امير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو
والله السيء التدبير الذي قد افسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك
وما اتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلنك
والله امثالها ان لم تعزله ، فقال الحجاج : مه يا عمارة ، فقال : لا مه ولا
كرامة كل امرأة له طالت وكل مملوك له حو ان سارت تحت راية الحجاج
أبدأ ، قال : اني اعلم انه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي
العنبي وأرسل اليه ، فقال : ما كنت اظن ان عقلك على هذا ارجع اليه
بعد الذي كان من طعني عليه وقولي عند امير المؤمنين ما قلت فيه : لا
ولا كرامة .

(ضده)

قيل في المثل : هو أحق من عجل ، وهو عجل بن لجيم ، وذلك أنه
قيل له : ما سميت فرسك ؟ فقأ عينه وقال : سميت الأعور ، فقال
الشاعر فيه :

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بَدَأَ أَيْبَهُمْ وَأَيُّ أَمْرِي فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجَلٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ فِي الْجَهْلِ

وقيل : هو أحمق من هبنقة ، وبلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو له ، فقيل له : ولم تنشده ؟ قال وأين حلاوة الظفر والوجدان ؟ . واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا : قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا : انظروا بالله من طلع علينا ؟ فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة : الحكم في هذا بين ، اذهبوا به الى نهر البصرة فألقوه فيه ، فان كان راسيما راسب ، وان كان طفاوياً طفا . فقال الرجل : لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان ، وقيل : هو أحمق من دقة وهي مارية بنت مغنج تزوجت في بني العنبر وهي صغيرة ، فلما ضربها الخاض ظنت أنها تريد الخلاه فخرجت تبرز ، فصاح الولد ، فجاءت منصرفة ، فصاحت : يا أماه هل يفتح الجعرافه ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ، فسبت بنو العنبر بذلك ، فقيل : بنو الجعراء ، وقيل : هو أحمق من باقل ، وكان اشترى عنزا بأحد عشر درهماً فسئل بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهماً فعيروه بذلك ، قال الشاعر :

يلومون في مُحَمِّهِ بِاقِلًا كَأَنَّ الْحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقْ
فَلَا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِي عِيِّهِ فَلَلَصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْأَمْوَقِ
مُخْرُوجُ اللِّسَانِ وَفَتْحِ الْبَنَانِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمَنْطِقِ
وبما قيل فيه أيضاً من الشعر :

يَأْتَابُ الْعَقْلَ كَمَا يَنْتَ ذَا حَقِّ الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرْبِ
فَإِنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً الرِّزْقُ أَرَوَّغُنِي عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وَخَصْلَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مُقَرُّوْنَ فِي سَبَبِ

وقال آخر :

أرى زَمَنًا نَوَكَدُ أَسْعَدُ خَلْقِهِ على أَنَّهُ يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
عَلَا فَوْقَهُ وَجَلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالِي بَارِ تَفَاعِ الْأَسَافِلِ

وقال آخر :

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقْلِبِهِ مُهَذَّبِ اللَّبِّ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْخَرَفٌ
وَمِنْ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُخْتَاطٍ كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَفْتَرِفُ

٢٢ - محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ،
وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ينشد بيتاً من شعر :

إِنِّي أَمْرٌ وَحَمِيرِي حِينَ تَنْسِبُنِي لَا مِنْ رَيْعَةِ آبَائِي وَلَا مُضَرٍ

فقال له : ذلك ألام لك وأبعد عن الله ورسوله ، وقال بعضهم :

إِذَا مُضَرُ الْحَمَرَاءِ كَانَتْ أُرُومَتِي وَقَامَ بَنَصْرِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

شعيب بن إبراهيم عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب
ابن ربيعة قال : مر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بنفر من قريش
وهم يقولون أنها محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة ، فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه ، فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال :
(أيها الناس من أنا ؟ قالوا : انت رسول الله قال : أفأنا محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ،

ثم جعل الخلق الذي انا منهم فريقين فجعلني من خير الفريقين من خلقه ،
ثم جعل الخلق الذي انا منهم شعوباً فجعلني في خيرهم شعباً ، ثم جعلهم
بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداً ، واني
مباه لكم قم يا عباس فقام عن يمينه ، ثم قال : قم يا سعد فقام عن يساره
فقال : يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا (وحدثنا سنان
ابن الحسن التستري عن اسماعيل بن مهران العسكري عن ابان بن عثمان
عن عكرمة عن ابن عباس ربحهما الله تعالى عن علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه قال : لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه
على القبائل خرج وانا معه وابو بكر وكان عالماً بأنساب العرب فوقفنا على
مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة ، فقدم ابو بكر فسلم
عليهم فردوا عليه السلام فقال : ممن القوم ؟ فقالوا من ربيعة قال : من هاتما
ام لهازهما ؟ قالوا : بل من هاتما العظمى قال : واي هاتما ؟ قالوا : ذهل
قال : ذهل الاكبر ام ذهل الاصغر ؟ قالوا : بل الاكبر قال فمنكم عرف
الذي كان يقال لاجر برادي عوف قالوا : لا قال : افمنكم بسطام بن
قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء ؟ قالوا : لا قال : افمنكم جساس بن
مرة جامي الذمار ومانع الحار ؟ قالوا : لا قال : افمنكم المزدلف صاحب
العمامة ؟ قالوا : لا ، قال : انانتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال :
افانتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال : فنستم من ذهل الاكبر
اذا انتم من ذهل الاصغر فقام اليه أعرابي غلام حسن بقل وجهه فأخذ
بزمam ناقتة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقتة يسمع مخاطبته ،
فقال :

لَنَا عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبْدُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلُهُ

يا هذا انك قد سألنا أي مسألة شئت فلم نكتملك شيئاً فأخبرنا بمن
انت ؟ فقال ابو بكر : من قريش . فقال : بخ بخ أهل الشرف والرياسة

فأخبرني من أي قريش أنت؟ قال من بني تميم بن مرة، قال: أفمنكم قصي
ابن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان يقال له جميع؟ قال أبو بكر:
لا، قال: أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر:

عَمِرُوا الْعُلَى هَاشِمَ التَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْبِتُونَ عِجَافَ

قال أبو بكر: لا، قال: أفمنكم شعبة الحمد الذي كان وجهه يضيء
في الليلة الداجية مطعم الطير؟ قال: لا، قال: أفمن المضيقين بالناس أنت؟
قال: لا، قال: أفمن أهل الرقادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السقاية
أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أما والله
لو شئت لأخبرتك، لست من أشراف قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته
منه كهيفة المغضب، فقال الاعرابي:

صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَذْفَعُهُ فِي هَضْبَةٍ زَرْقَةً وَتَضَعُهُ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال علي كرم الله وجهه،
فقلت: يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقة، قال: أجل! يا أبا حسن
ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق. قال: وأني
الحسن ابن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس
رحمه الله فأمر معاوية بانزاله، فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان
بن الحكم وزباد المدعى الى أبي سفيان يتعاورون في قديمهم ومجدهم إذ قال
معاوية: قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس
لقصروا من أعتنكم، فقال زياد: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما
يقومان لمروان ابن الحكم في غرب منطقهم ولا لنا في بواذخنا فابعت اليها
حتى نسع كلامهما، فقال معاوية لعمرو: ما تقول في هذا الليل فابعت
اليها في غد، فبعت معاوية بابنه يزيد اليها فأثيا فدخلوا عليه وبدأ معاوية
فقال: اني أجلكما وأرفع قدركما عن المسامر بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد

فأنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له
فلما استويا في مجلسها علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال : والله لا بد أن
أنكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال :
يا حسن انا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أمية أصبر على القاء وأمضى
في الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيلاً وأمنع لمسا وراء ظهورهم من بني عبد
المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد
قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فلكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ،
ثم تكلم زياد فقال : ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويحسدوا
الخير في مظانه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً
وحديثاً ، فتكلم الحسن بن علي رضي الله عنه فقال : ليس من الحزم أن
يصمت الرجل عند إيذاء الحجة ولكن من الافك أن ينطق الرجل بالخنا
ويصور الكذب في صورة الحق يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك
ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبدياً مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى ،
وأعلام الهدى ، وفرسان الطراد ، وحشوف الاقران ، وابناء الطعان ،
وربيع الضيفان ، ومعدن العلم ، ومهبط النبوة ؟ وزعمت انكم احبى لما
وراء ظهوركم ، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال ،
وتساورت الاقران ، واقتحمت الليوث ، واعتوكت المنية وقامت رحاها
على قطبها ، وفرت عن نابها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ومن
النبي صلى الله عليه وسلم على ذرايكم ، وكنتم لعربي في هذا اليوم غير
مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ، ثم قال : وأما أنت
يا مروان فما أنت والاكتار في قریش وأنت ابن طليق وأبوك طريد
تتقلب في خزاية الى سوءة ، وقد أتى بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل ،
فلما رأيت الضرغام قد دميت برائته ، واستبكت أنيابه كنت كما قال
الاول .

بَصِيصَنَ ثُمَّ وَمَنِ بِالْأَنْبَارِ

فلما من عليك بالعفو وأرخی خفافك بعد ما ضاق عليك وغصت
 بريقك لا تقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ، ونحن من
 لا يدركنا عار ولا يلحقتنا خزاية ، ثم التفت الى زياد وقال : وما أنت
 يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً . ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً
 ثابتاً ولا منبتاً كريماً ، كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار
 العرب ، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدأ فادعاك هذا - يعني معاوية -
 فما لك والافتخار !!! تكفيك سمية ويكفيها رسول الله ﷺ وأبي سيد المؤمنين
 الذي لم يرتد على عقبه وعماي حمزة سيد الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة
 وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال : انما
 هي بغاث الطير انقض عليها البازي ، فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه
 معاوية أن يكف فكف ، ثم خرجا ، فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام
 اولا لولا ان حجته دحضت ، وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ، ثم التفت
 الى زياد فقال : ما دعاك الى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كف العقاب
 فتال عمرو : أفلا رميت من ورائنا ؟ قال معاوية : إذا كنت شريككم في
 الجبل أفأفاخر رجلا رسول الله ﷺ جده وهو سيد من مضى ومن بقي
 وامه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم : والله لئن سمع أهل الشام ذلك
 أنه للسوء السوء فقال عمرو : لقد أبقي عليك ولكنه طعن مروان وزباداً
 طعن الرحي بثقالها ووطئها وطىء البازل القراد بمنسه ، فقال زياد : والله
 لقد فعل ولكنك يا معاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدت
 مجلسا يكونان فيه إلا كنت معها على من فاخرهما ، فخلا ابن عباس بالحسن
 رضي الله عنه فقبل بين عينيه وقال : أفديك يا بن عمي والله ما زال بحرك
 يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من اولاد البغايا . ثم ان الحسن رضي الله
 عنه غاب ايما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير ،
 فقال معاوية : يا ابا محمد إني اظنك تعباً نصباً فأت المنزل فأرح نفسك ،
 فقام الحسن رضي الله عنه ، فخرج ، فقال معاوية لعبد الله بن الزبير : لو

افتخرت على الحسن فأنت ابن حوازي رسول الله ﷺ وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير : أنا له ثم جعل ليلته يطلب الحجاج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه فحياه معارفة وسأله عن ميمته فقال : خير مبيت وأكرم مستغاض فلما استوى في مجلسه قال له ابن الزبير : لولا انك خوار في الحروب غير مقدم ما سلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهول وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه ، وكنت حريصاً أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علي في بأسه ونجدته ، فما أدري ما الذي حملك على ذلك ؟ أضعف حال أم وهي نخزة ؟ ما اظن لك مخرجاً من هذين الحالين اما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت انني ابن الزبير واني لا انكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبدالمطلب وأبي الزبير حواري رسول الله ﷺ وأشد الناس بأساً ، وأكرمهم حسباً في الجاهلية ، واطوعهم لرسول الله ﷺ ؟ فالتفت الحسن اليه وقال : أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً بك ولكن سأبين ذلك لتعلم أنني لست بالكليل ألبابي تعير وعلي تفخخر ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة ان لا تزوجه عمتي صفية بنت عبدالمطلب فبدخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها ، فكيف تفاخر من في القلادة واسطتها وفي الاشراف سادتها ؟ نحن أكرم أهل الأرض زندا لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنني سلمت الامر لمعاوية ، فكيف يكون ؟ ويحك كذلك ! وأنا ابن اشجع العرب ولداني فاطمة سيده النساء وخيرة الامهات لم أفعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقاً ولكنه بايعني مثلك وهو يطلب بتره ويداجيني المودة فلم أثق بنصرته لانكم بيت غدر وأهل إحن ووتر فكيف لا تكون كما أقول ؟ وقد بايع أمير المؤمنين أبوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله ﷺ ليضل بها الناس ، فلما دأف نحو الاعة ورأى بريق الاسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأني بك أسيراً ، وقد وطنتك الكهامة بأظلافها والحيل بسنابكها ،

واعتلاك الأشر فقصص بريقك وأقفيت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته
 اللبث ، فنحن وبحك نور البلاد وأملاكها وبنا تفتخر الأمة وإلينا
 تلقى مقاليد الأزمة ، نصول وأنت تحتدع النساء ثم تفتخر على بني
 الأنبياء لم تول الأفاويل منا مقبولة وعليك وعلى ابيك مردودة دخل
 الناس في دين جدي طائعين وكارهين ، ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله
 عليه فسار الى ابيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقتلا عند نكثها بيعته وأنى بك أسيرا تبصص بذنبك
 فنادته الرحم ان لا يقتلك فعفا عنك ، فأنت عاقبة أبي وأنا سيدك
 وابي سيد ابيك فذق وبال امرك ، فقال ابن الزبير : اعذرنا يا أبا محمد
 فانما حملني على معاورتك هذا واشتبهى الاغراء بيننا فهلا إذ جهلت امسكت
 عني فانكم اهل بيت سجينكم الحلم ، قال الحسن : يا معاوية انظر أأكرم
 عن معاورة احد ويحك ؟ اتدري من أي شجرة أنا والى من انتمى ؟ انه
 قبل ان اسمك بسمة يتحدث بها الركبان في آفاق البلدان ، قال ابن الزبير :
 هو لذلك اهل ، فقال : معاوية اما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمى
 مقتلك فبقيت في يده كالجلجل في كف البازي يتلاعب بك كيف شاء ،
 فلا اراك تفتخر على احد بعد هذا . وذكروا ان الحسن بن علي صلوات
 الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام جرى من معاوية في ذلك :

فيم الكلام وقد سبقتُ مُسَبَّرًا سَبَقَ الْجَوَادِ مِنَ الْمَدَى وَالْمَقُوسِ

فقال معاوية : إياي تعني ؟ والله لآتينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره
 جلساؤك انا ابن بطحاء مكة انا ابن اجودها جودا واکرمها ابوة وجودود
 وأوفاه عهودا انا ابن من ساد قريشا ناشئا فقال الحسن : أجل ! إياك ،
 اعني افعلي تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من
 ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من
 رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك اب كأبي او قديم

كقديمي ، فان قل : لا تغلب ، وان قل : نعم تكذب ، فقال : أقول : لا تصديقاً لقولك ، فقال الحسن رضي الله عنه :

الْحَقُّ أَبْلَجٌ لَا تَرِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

قال : وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم اخبروني بأكرم الناس اباً واما وعماً وعمّة وخالا وخالة وجداً وجدّة ، فقام مالك بن عجلان وأومأ الى الحسن بن علي صلوات الله عليه فقال : هو ذا ابوه علي بن ابي طالب ، وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمه جعفر الطيار ، وعمته ام هانئ بنت ابي طالب ، وخاله القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدته خديجة بنت خويلد فسكت القوم ونهض الحسن ، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال : احب بني هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ما قلت إلا حقاً وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط امنيته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته ، بنو هاشم انضركم عوداً واوراكم زنداً كذلك هو معاوية ؟ قال : اللهم نعم . قال : واستأذن الحسن ابن علي رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له ، فلما اقبل قال عمرو : قد جاءكم الفقه العيي الذي كان بين حسيه عقله ، فقال عبد الله بن جعفر : مه والله لقد رمت صخرة مملّمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فايالك والحسن اياك ، فانك لا تزال راتعاً في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما اوردى زندك ، فسمع الحسن الكلام ، فلما اخذ مجلسه قال : يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في حوم الناس اما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتخرج منه الصدور ، ثم انشأ يقول :

أَتَأْمُرُ يَا مُعَاوِيَةَ عَبْدَ سَهْمٍ بِشَتْمِي وَالْمَلَائِكَةَ مَا شِئْتُ
إِذَا أَخَذْتُ مَجَالِسَهَا قُرَيْشٍ فَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ مَا تُرِيدُ
أَأَنْتَ تَظَلُّ تَشْتُمُنِي سِفَاهًا لَصَفْنِي مَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ
فَهَلْ لَكَ مِنْ أَبِي كَابِي تُسَامِي بِهِ مَنْ قَدْ تُسَامِي أَوْ تَكِيدُ
وَلَا جَدُّ كَجَدِّي يَابْنَ حَرْبٍ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ ذِكْرَ الْجُدُودِ
وَلَا أُمٌّ كَأُمِّي مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا حُصِّلَ الْحَسَبُ التَّلِيدُ
فَمَا مِثْلِي تُهْكُمُ يَابْنَ حَرْبٍ وَلَا مِثْلِي يُنْهَنَّهُ الْوَعِيدُ
فَمَهْلًا لَا تَهْجُ مِنْ أُمُورًا يَشِيبُ لَهَوَاهَا الطِّفْلُ الْوَلِيدُ

وَذَرَوْا أَنْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ : ابْعَثْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
فَأَمْرُهُ أَنْ يَخْطُبَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَلَعَلَّهُ يَحْصُرُ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ مَانِعِيرُهُ بِهِ ، فَبَعَثَ
إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ فَأَمْرُهُ أَنْ يَخْطُبَ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرِ وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَحَمِدَ اللَّهُ
وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا
الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ أَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ السَّراجِ
الْمَنْبَرِ أَنَا ابْنُ مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَنَا ابْنُ مَنْ بَعَثَ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
أَنَا ابْنُ مَنْسْتَجَابِ الدَّعْوَةِ أَنَا ابْنُ الشَّافِعِ الْمَطَاعِ أَنَا ابْنُ أَوَّلِ مَنْ يَنْفُضُ
رَأْسَهُ مِنَ التُّرَابِ أَنَا ابْنُ أَوَّلِ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ أَنَا ابْنُ مَنْ قَاتَلَتْ مَعَهُ
الْمَلَائِكَةُ وَنَصَرَ بِالرَّعْبِ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَأَمَعْنِي فِي هَذَا الْبَابِ وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى
أَظَلَمَتِ الْأَرْضُ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : يَا حَسَنُ قَدْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَكُونَ
خَلِيفَةً وَلَسْتُ هُنَاكَ ، قَالَ الْحَسَنُ : أَنَا الْخَلِيفَةُ مَنْ سَارَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ ، وَإِنِّي الْخَلِيفَةُ مَنْ دَانَ بِالْجَوْرِ وَعَطِلَ
السِّنَّ وَاتَّخَذَ الدُّنْيَا أَبًا وَأُمًّا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ مَلِكٌ أَصَابَ مَلِكًا يَتَّبَعُ بِهِ قَلِيلًا

ويعذب بعده طويلاً ، وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة ؟ فكان كما قال الله تعالى « وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » ثم انصرف ، فقال معاوية لعمره : ما أردت إلا هتكبي ما كان أهل الشام يرون أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا . قال : وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام . فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه ، فعصده مروان وقد كان معاوية قال لهم : لا تحاوروا هذين الرجلين : فقد قلداكم العار عند أهل الشام - يعني الحسن ابن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس - فقال مروان : يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناء له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وانت لهذا مستحق بقودك الجماهير إلينا ، فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة لك بفارسان أهل الشام وصناديد بني أمية ادعنت بالطاعة ، واحتجرت بالبيعة ، وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ، ولعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى ، فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفا عنك بجله ثم صنع بك ما ترى ، فنظر إليه الحسن وقال : ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخازلة عند مخالطتها هبلك امك لنا الحبيج البوالغ ، ولنا عليكم إن شكرتم النعم السوابغ ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار ، فشتان ما بين المنزلتين : تقتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل أولئك البهائيل السادة ، والحماة الذادة ، والكرام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ، ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة ، فعندها وليت هارباً وأخذت أسيراً ، فقلدت قومك العار ، لأنك في الحروب خوار أنهرق دمي ؟ فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الحمل

وأنت تشغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والشبور كالمراة الوكعاء ، ما دافعت عنه بسهم ، ولا منعت دونه بحرب ، قد ارتعدت فرائصك ، وغشي بصرك ، واستغشت كما يستغيت العبد بربه ، فأنجيئك من القتل ، ثم جعلت نبحت عن دمي وتحض على قتلي ؛ ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ، ابن عفان ، وأنت معه أقصر يداً ، وأضيق باعاً ، وأجن قلباً من أن تجسر على ذلك ، ثم تزعم أنني ابتليت بحلم معاوية ، أما والله لو أعرف بشأنه وأشكر لنا اذ وليناه هذا الأمر ، فمتى بدا له فلا يفضي جفنه على القذى معك ، فوالله لأغفن أهل الشام بحيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ، ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والحرب ، ولا تنتفع بتدريجك الكلام ، فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكابر ، وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل ، انطق ان كنت صادقاً ، فقال عمرو : ينطق بالحق وتنطق بالصدق ، ثم أنشأ يقول :

قَدْ يَضْرُطُّ الْعَيْرُ وَالْمَكْوَاةُ تَأْخُذُهُ لَا يَضْرُطُّ الْعَيْرُ وَالْمَكْوَاةُ فِي النَّارِ

ذق وبال أمرك يا مروان ، فأقبل عليه معاوية فقال : قد نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى إلا انهاكاً فيما لا يعنيك ، أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ، ولا هو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ، ولكن رب باحث عن حقه بظلمه ، فقال مروان : ارم دون بيضتك ، وقم بحجة عثورتك ، ثم قال لعمرو : لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتك ومنها ثنيت أغنتك ، وقام مغضباً ، فقال معاوية : لا تجار البحار فتغمرك ، ولا الجبال فتقهرك ، واسترح من الاعتذار . قال : ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف ، فقال : يا حسن أزعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك ؟ فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتاً بعد ميته وبيناً بعد خفائه أفيرضي الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين ؟ عليك

ثياب كعرقية البيض وأنت قاتل عثمان ، والله انه لألم للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه : إن لأهل النار علامات يعرفون بها : وهي الاتحاد في دين الله والموالاتة لأعداء الله ، والانحراف عن دين الله ، والله إنك لتعلم أن علياً لم يترث في الأمر ولم يشك في الله طرفة عين ، وأيم الله لمتنهيان يا بن العاص أو لأقرعن قصتك - يعني جبينه - بقراع وكلام ، وإياك والجرأة علي فإني من عرفت لست بضعيف المعزم ولا بهش المشامة - يعني العظام - ولا بمرى المأكلة وإني لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسبي لا أدعى لغير أبي ، وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغضب عليك الأمها حسباً ، وأعظمها لعنة ، فإياك عني ! فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً . قال : واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليها وعمرو بن العاص ، فقال الحسن : قد علمت قريش بأمرها أني منها في عز أرومها لم أطبع على ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبي وأدعى لأبي ، فقال عمرو : وقد علمت قريش أنك ابن أفلها عقلاً ، وأكثرها جهلاً ، وإن فيك خصالاً لو لم يكن فيك إلا واحدة منها لشملك خزها كما شمل البياض الحائك ، وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لا كبسن لك حافة كجهد العائط إذا اعتاطت رحماً فما تحمل أرميك من خلها بأحر من وقع الاثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة ، فانك طالما ركبت المنحدر ، ونزلت في أعراض الوعر التماساً للفرقة وإرصاداً للفتنة ، ولن يزيدك الله فيها إلا فظاعة . فقال الحسن : أما والله لو كنت تسمو بحسبك ، وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حالت راية مجيد ، أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشع ، وانه طال ما تأخر شأوك واستمر داؤك ، وطمع بك الرجا إلى الغاية القصوى التي لا يورق بها غضنك ، ولا يخضر منها رعيك ، أما والله لتوشكن يا بن العاص أن تقع بين حبي خرغام ، ولا ينجيك منه

الروغان اذا التقت حلقتا البطان . ابن المنذر عن ابيه الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد صار الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق ، فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام ، فجاء ابن عباس فضرب يده على عضد ابن الزبير وقال ؟ أصبحت والله كما قال الشاعر :

يا لك من قُنْبُرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَالَكَ الْجَوْ فَمِضِي واصْبِرِي
وتَقَرِّي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي قَدْ ذَهَبَ الصِّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي
لا بُدَّ مِنْ أَخْذِكَ يَوْمًا فَاصْبِرِي

خلت الحجاز من الحسين بن علي وأقبلت تهدر في جوانبها ، فغضب ابن الزبير وقال : والله انك لتري أنك أحق بهذا من غيرك ، فقال ابن عباس : انما يرى ذلك من كان في حال شك وأنا من ذلك على يقين ، قال : وبأي شيء استحق عندك أنك بهذا الامر أحق مني ؟ فقال ابن عباس : لانا أحق بمن يدل بحقه ، وبأي شيء استحق عندك أنك أحق بها من سائر العرب إلا بنا ؟ فقال ابن الزبير : استحق عندي اني أحق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً ، فقال : أنت أشرف أم من شرفت به ؟ فقال : ان من شرفت به زادني شرفاً الى شرفي ، قال فحني الزيادة أم منك ؟ فتبسم ابن عباس ، فقال ابن الزبير : يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت ، والله يا بني هاشم لا تحبوننا أبداً ، قال ابن عباس : صدقت فحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله ، قال : يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة ؟ قال : انما يصفح عن أقر وأما من هر فلا والفضل لأهل الفضل ، قال ابن الزبير : فأين الفضل ؟ قال : عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه في غير أهله فتندم ، قال ابن الزبير أفلست من أهله ؟ قال : بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثها . وروي عن ابن عباس أنه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع

من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت قال : يا بن عباس
 من الناس ؟ فقلت : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلت : فلا أحد ، قال : فانك ترى
 أني قعدت هذا المقعد بكم ، قلت : نعم فبمن قعدت ؟ قال : بمن كان مثل حرب
 ابن أمية ، قلت : من كفا عليه اناءه وأجاره بردائه ، قال : فغضب
 وقال : أرحتني من شخصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك ،
 فلما خرج ابن عباس قال لخاصته : ألا تسألوني ما الذي اغضب معاوية ؟
 قالوا : بلى فقل بفضلك ، قال : إن أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء
 قريش في عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه ، فلقبه يوماً رجل من
 تميم في عقبة فتقدمه التميمي ، فقال حرب : أنا حرب بن أمية فلم يلتفت
 اليه وجازه ، فقال : موعذك مكة ، فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة ، فقال :
 من يجيرني من حرب بن أمية ، فقبل له : عبدالمطلب ، فقال : عبدالمطلب
 أجل قدراً من أن يجير على حرب ، فأتى ليلاً الى دار الزبير بن عبد
 المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبد : قد جاءنا رجل إما طالب قري وأما
 مستجير وقد أجنبناه الى ما يريد ، ثم خرج الزبير اليه ، فقال التميمي :

لَا قِيَتْ حَرْبًا فِي الثَّيْمَةِ مُقْبِلًا	وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ضَوْؤُهُ لِّلسَّارِي
قَدَعَا بِصَوْتٍ وَاكْتَتَى لِيَرُوعَنِي	وَسَمَا عَلِيٌّ سُمُوًّا لَيْثٍ ضَارِي
فَتَرَكَتُهُ كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ ظِلَّهُ	وَأَتَيْتُ قَرْمَ مَعَالِمٍ وَفَخَارِ
لَيْنًا هَزَبًا يُسْتَجَارُ بَعِزَّهُ	رَحْبَ الْمَبَاءَةِ مُكْرِمًا لِلْجَارِ
وَلَقَدْ حَلَقْتُ بِمَكَّةِ وَبَزَمَزَمِ	وَالْبَيْتِ ذِي الْأَحْجَارِ وَالْأَسْتَارِ
إِنَّ الزُّبَيْرَ لَمَّا نَعِي مِنْ خَوْفِهِ	مَا كَبَّرَ الْحُجَّاجُ فِي الْأَمْصَارِ

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد ، فرآه حرب فقام اليه فلطمه ،

فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال :
أجرني من الزبير ، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس ، فبقى
تحتها ساعة ثم قال له : أخرج قال : وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من
بنيك قد احتبوا بسيوفهم ؟ فالقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي
يزن له طرتان خضروان ، فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب
فغرقوا عنه . قال : وحضر مجلس معاوية عبدالله بن جعفر ، فقال عمرو
ابن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالنغي محب
للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخي
العيش أخذ بالسلف منفاق بالسرف ، فقال ابن عباس : كذبت والله
أنت وليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، ولنعمائه مشكور ، وعن
الحنازجور ، جواد كريم ، سيد حلیم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب
غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب ؛ حل من قريش في كريم النصاب
كالفزير الضرعغام الجريء المقدام في الحسب التمام ، ليس بدعي ولا دنيء
لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فأصبح الامها
حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوي منها الى القليل مدبذب بين
الحين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقهوه ،
فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال ، وبأي حسب تعتد به عند النضال
أبنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم ؟ أم بمن تسمى
اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة في قريش ؟ لا بشرف في الجاهلية
شهروا ولا بتقديم في الاسلام ذكروا ، جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق
بالزور في غير أقرانك ، والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك
معاوية منزلة البعيد السحيق ، فانه طالما سلس داؤك ، وطمح بك رجاؤك
الى الغاية التصوى التي لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك ، فقال
عبدالله بن جعفر : أقسمت عليك لما أمسكت فانك عني ناضلت ولي
فاوضت ، فقال ابن عباس : دعني والعبد فانه قد كان يهدر خاليا ولا يجد

ملاحيا وقد أتيح له ضيفهم شرس الأقران مفتوس وللأرواح مختلس : فقال
ابن العاص : دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال
بن عباس : دعه فلا يبقى المبقى الاعلى نفسه . فوالله إن قلبي لشديد ،
وان جوالي لعنيد ، واني لكما قال نابغة بني ذبيان :

وَقَدَمًا قَدْ قَرَعْتُ وَقَارَعُونِي فَمَا تَزَرُ الْكَلَامُ وَلَا شَجَانِي
يَصُدُّ الشَّاعِرُ الْعَرَافُ عَنِي صُدُودَ الْبِكْرِ عَنْ قَرْمِ هِجَانِي

قال : وبلغ عاتمة بنت عاثم (١) ثلب معاوية وعمرو بن العاص لبني
هاشم فقالت لأهل مكة : أيها الناس ان بني هاشم سادت فجادات ،
وَمَلَكَتْ وَمُلْكَتْ وَفُضِّلَتْ وَفُضِّلَتْ ، واصطفت واصطفت ، ليس
فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ،
ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بني هاشم أطول الناس باعا ،
وأجود الناس أصلا ، وأعظم الناس حملا ، وأكثر الناس علما وعطاء منا
عبد مناف المؤثر ، وفيه يقول الشاعر :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَأَلْمَحُ خَالِصَهَا لَعَبْدٍ مَنَافٍ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر :

عَمَرُوا الْعَلَا هَاشِمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتَوْنَ عِجَافُ

ومنا عبد المطلب الذي سقىنا به الغيث ، وفيه يقول أبو طالب :

وَنَحْنُ سُنِّي الْمَحَلِّ قَامَ شَفِيعُنَا بِمَكَّةَ يَدْعُو وَالْمِيَاهُ تَقُورُ

وابنه أبو طالب عظيم قريش ، وفيه يقول الشاعر :

أَتَيْتُهُ مَلِكًا فَقَامَ بِحَاجَتِي وَتَرَى الْعُلَيْجَ خَائِبًا مَذْمُومًا

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأعطاه ماله ، وفيه يقول الشاعر :

رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ تَرَ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُؤَلَّدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

أَبَا يَعْلَى بِكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كالا ليس بغدار
ولا جبان أبداله الله بكلمات يديه جناحين يطير بها في الجنة ، وفيه يقول
الشاعر :

هَاتُوا كَجَعْفَرِنَا وَمِثْلَ عَلَيْنَا كَانَا أَعَزَّ النَّاسِ عِنْدَ الْخَالِقِ

ومنا أبو الحسن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بني هاشم ،
وأكرم من احتبى وانتعل ، وفيه يقول الشاعر :

عَلِيٌّ أَفَّ الْفُرْقَانِ صُحْبًا وَوَالِي الْمُسْطَفَى طِفْلًا صَبِيًّا

ومنا الحسن بن علي عليه السلام سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب
أهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

يَا أَجَلَ الْأَنَامِ يَا بِنَ الْوَصِيِّ أَنْتَ سَبْطُ النَّبِيِّ وَابْنُ عَلِيٍّ

ومنا الحسين بن علي حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك
فخرًا ، وفيه يقول الشاعر :

حُبُّ الْحُسَيْنِ ذَخِيرَةٌ لِمُحِبِّهِ يَا رَبِّ فَاحْشُرْنِي غَدًا فِي حِزْبِهِ

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمر المؤمنين علي ولا هو كما يزعم هو والله شأني رسول الله ﷺ واني آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنيته ، فكتب عامل معاوية اليه بذلك ، فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه وماليكه ، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عائث فقال لها يزيد : ان أبا عبد الرحمن يأمر بك أن تنتقلي الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت : من أنت كلاك الله ؟ قال : أبا يزيد بن معاوية ، قالت : فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد ، فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال : هي أسن قريش وأعظمهم حلما قال يزيد : كم تعد لها ؟ قال : كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام ، فلما كان من الغد أنها معاوية فسلم عليها فقالت : على المؤمنين السلام ، وعلى الكافرين الهوان والملام ، ثم قالت : أفيكم عمرو بن العاص ! قال عمرو : هاأنذا ، قالت : أنت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو افي والله عارفة بك وبعبوبك وعبوب أمك وإني أذكر ذلك : ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللثام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها في يوم واحد اربعون رجلاً ، وأما أنت فقد رأيتك غاوباً غير مرشد ومفسداً غير مصلح ، والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة فما لك ولبيني هاشم نساؤك كنسائهم أم أعطى أمة في الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم ؟ وكفى فخراً برسول الله ﷺ ، فقال معاوية : آيتها الكبيرة أنا كاف عن بني هاشم ، قالت : فاني اكتب عليك كتاباً فقد كان رسول الله ﷺ دعا ربه ان يستجيب لي خمس دعوات أفأجعل

تلك الدعوات كلها فيك؟ فخاف معاوية فحلف لا يسب بني هاشم أبداً ،
فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة . قال : وكان علي
ابن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام
بني أمية ، فبينما هو على ذلك نادى المنادي بالآذان فقال : أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقال علي :

هَذِي الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ أَبْنِ شَيْبَا بَاءَ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

فقال عبد الملك : الحق في هذا أين من أن يكابر . علي بن محمد التميمي
قال : دخلت على المتوكل وعنده الرضي فقال : يا علي من أشعر الناس في
زماننا ؟ قلت : البحتري ، قال : وبعده ، قلت : مروان بن أبي حفصة
عبدك ، فالتفت الى الرضي فقال : يا بن عم من أشعر الناس . قال : علي
ابن محمد العلوي ، قال وما تحفظ من شعره ؟ قال قوله :

لَقَدْ فَآخَرْتَنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَصَابَةً بِحِطِّ خُدُودٍ وَامْتِدَادِ أَصَابِعِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْقَضَاءَ قَضَى لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَوَى نِدَاءَ الصَّوَامِعِ

فقال المتوكل : ما معنى قوله ؟ - نداء الصوامع - قال : الشهادة قال :
وأبيك انه اشعر الناس . وبما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ بِأَنْسَابِنَا	وَلَوْ لَا السَّمَاءُ جُزْنَا السَّمَاءَ
فَحَسْبُكَ مِنْ سُودَدٍ أَفْنَا	بِحُسْنِ الْبَلَاءِ كَشَفْنَا الْبَلَاءَ
إِذَا ذُكِرَ النَّاسُ كُنَّا مُلُوكًا	وَكَانُوا عَمِيدًا وَكَانُوا إِمَاءَ
يَطِيبُ الثَّنَاءُ لَابَائِنَا	وَذِكْرُ عَلِيٍّ يُطِيبُ الثَّنَاءَ
هَجَانِي رِجَالٌ وَلَمْ أَهْجُهمْ	أَبَى اللَّهُ لِي أَنْ أَقُولَ الْهَجَاءَ

وقال آخر :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ كُدْجِي اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَائِبُهُ
نُجُومُ السَّمَاءِ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

وقال آخر :

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ فَاثْلُثُكُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَقَاوِلُ لُسُنٍ
لَا يَفْطُنُونَ لَعِبٍ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحْفَظِ جَوَارِهِمْ مُفْطَنُ

(ضده)

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتخروا بأبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدرج الجعفل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية) . قال وكان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم لم تفتخر وإنما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بافذار . وقال بعضهم لرجل : اتفتخر ؟ ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار ؟ وروى عن ابن عباس أنه قال : الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهبة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين واتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملاً وأرفعهم درجة . وقيل في ذلك :

يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُوراً عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
وَسَيِّئُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَبَاؤُهُ وَمَنَاسِبُهُ

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول في الانسان ، قال : وما أقول فيمن

إن جاع خرع وان شبع بغى وطفى . وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كانت لأحد منهم على الآخر فضل . لان نسبهما واحد ، ولكن ذلك من قبل الافعال ، لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر :

أَبُوكَ أَبِي وَالْجُدُّ لَا شَكَّ وَاحِدٌ وَلَكِنَّا عَوْدَانِ آسٍ وَخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني قال : ليس السؤدد بالشرف ، وقد ساد الاحنف ابن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أراميل قومه ، وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الحُصائل . وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه أعرابي فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أكرم الناس حسناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً وأفضلهم تقوى ، فانصرف الاعرابي ، فقال : ردوه ثم قال يا أعرابي ، لعلك أردت اكرم الناس نسباً ؛ قال : نعم يا رسول الله ، قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فإين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم أحد ابداً ، وقال الشاعر في ذلك :

وَلَمْ أَرَ كَالْأَسْبَاطِ أَبْنَاءَ وَالِدٍ وَلَا كَأَيِّهِمْ وَالِدَاحِينَ يُنْسَبُ

قال : ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال : انا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم (أنت إذا يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله) وقال صلى الله عليه وسلم (خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال) قال : وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتا

ولفظاً بالباب فقال لبعض من دنده : اخرج فانظر من كان من المهاجرين
الأولين فأدخله ، فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيباً وسلماناً فأدخلهم وكان أبو سفيان
ابن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال :
يا معشر قريش ، انتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشي
وفارسي ورومي ، فقال سهيل : يا ابا سفيان انفسكم فلو موا ولا تدموا امير
المؤمنين دعى القوم فأجابوا ودعيتهم فأبيتهم وهم يوم القيامة اعظم درجات
واكثر تفضيلاً ، فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً
(فأما صناعات الأشراف) فانه روى ان أبا طالب كان يعالج العطر والبز
واما ابو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين ، وكان
سعد بن أبي وقاص يعذق النخل ، وكان أخوه عتبة نجاراً ، وكان العاص بن
هشام اخو أبي جهل بن هشام جزاراً ، وكان الوليد بن المغيرة حدادا ،
وكان عتبة بن أبي معيط خماراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت
خياطاً ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والادام ، وكان امية بن
خلف يبيع البروم ، وكان عبد الله بن جدعان نخباً ، وكان العاص بن وائل
يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس
ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين ، وكان
المسيب أبو سعيد زياتاً ، وكان ميمون بن مهران بزازاً ، وكان مالك بن
دينار وراقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزازاً ، وكان مجمع الزاهد
حائكاً ، قيل : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان ، فلما ولي قتيبة
ابن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستاناً وقد اتخذته
لابلك ، فقال قتيبة : ابي كان اشتربان وكان ابو يزيد بستانان فمنها
صار ذلك كذلك . قال وذكروا ان المأمون ذكر اصحاب الصناعات فقال :
السوقة سفلة والصناع اندال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس
أربعة : اصحاب الحرف وهي اماره وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم
صار عيالا عليهم .

٢٣ - محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل : خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته . وقال الوليد بن عبد الملك : لأشفعن للحجاج بن يوسف وقرة ابن شريك عند ربي وقال الحجاج : يقولون مات الحجاج ما أرجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لأهون خلقه عليه اليس ابليس اذ قال « رب أنظرني الى يوم يبعثون قال فانك ممن المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » . وقال أبو جعفر المنصور : الحمد لله الذي أجارني بخلافته وأنقذني من النار بها . وحدثني ابراهيم بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نجه فاذا عجوز عند راسه فالتفت اليها بعض القوم فقال : استسلمي لامر الله واحتسبي قالت : أمت ابني ؟ قال : نعم ؛ قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم ، فمدت يدها الى السماء وقالت : اللهم انك تعلم أني أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثني عند كل شدة فلا تخلفني هذه المصيبة اليوم ، فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه .

(ضده)

قال عيسى بن مريم صلوات الله ، تعالى عليه : يا معشر الخواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل : هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سييء الظن يخاف خذلان الله اياه ، فأما المنزل الأولى فانه خلق في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره

إليه اكراهاً ويوجر إيجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه ، فإذا ارتفع
عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان
عليه من حلال وحرام ، فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه
وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فإذا وقع في المنزلة الرابعة
واشتد واستوى وكان رجلاً خشي أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون
أماناتهم ويسرق امتعتهم ويفضهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه .

٢٤ - محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى « يا بن آدم أحدث لي سفراً
أحدث لك رزقاً » ، وفي بعض الحديث (سافروا تغنموا) ، وقال
الكميت بن زيد الأسدي :

وَلَنْ يُزِيحَ هُمُومَ النَّفْسِ إِنْ حَضَرَتْ
حَاجَاتُ مِثْلِكَ إِلَّا الرَّحْلُ وَالْجَمَلُ

وقال أبو تمام الطائي :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدَيْبِاجَتِهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بَسْرَمِدِ

وقال بعض الحكماء : لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان ،
فإن الكريم محتال ، والدنيء عيال ، وأنشد :

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمِسِ الْغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتَعُذِرَا
وَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلَا تَنْمَ
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا

وتقول العامة : كلب جوال خير من أسد رابض ، وتقول : من
غلى دماغه صائفاً غلت قدره شائياً : ووقع عبد الله بن طاهر من سعى
رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام ، هذا المعنى سرقه من توقيعات
أنوشروان فإنه يقول : هرك روك جرد هرك خسبد خواب ببند ، وأنشد :

كَفَى حَزَنًا أَنْ التَّوَى قَذَفَتْ بِنَا بَعِيدًا وَأَنَّ الرِّزْقَ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ
وَلَوْ أَنَّنَا إِذْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا غِنَى وَاحِدٍ مِنَّا تَمَوَّلَ صَاحِبُهُ
وَلَكِنَّمَا مِنْ دَهْرِنَا فِي مَوُوتَةٍ يُكَالِبُنَا طَوْرًا وَطَوْرًا نُكَالِبُهُ

وقال آخر :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

وقال آخر :

وَلَيْسَ الرِّزْقُ عَنْ طَلَبٍ حَنِثٍ وَلَكِنْ أَدَلْ دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ
تَحِثُّكَ بِمَائِهَا حِينًا وَطَوْرًا تَجِيءُ بِحِمَاةٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ

(ضده)

قيل : وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من ججارة مكتوب

عليه : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإن موسى عليه السلام
خرج ليقبس ناراً ، فنودي بالنبوة . وبلغنا عن ابن السهاك أنه قال : لا
تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض ، وكن اليوم مشغولاً بما أنت
مستول عنه غداً وإياك والفضل فإن حسابها يطول ،

قال الشاعر :

إِنِّي عَلِمْتُ وَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِيَنِي
أَسْمَى لَهُ فِيمَنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِيَنِي

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّمَطُّلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعُهُ
إِذَا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَاغْتَنِمْ كَذَّةَ الدَّعَاةِ

وقال آخر :

سَهِّلْ عَلَيْكَ فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْدُورٌ وَكُلُّ مُسْتَأْنَفٍ فِي اللُّوْحِ مَسْطُورٌ
أَنَّى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ مُلْدَأُهُ وَكُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَمَحْظُورٌ
لَا تَكْذِبَنَّ فَخِيرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ إِنَّ الْحَرِصَ عَلَى الدُّنْيَا لَمَغْرُورٌ

وقال آخر :

لَا تَعْتَبَنَّ عَلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا يَا أَيْكَ رِزْقُكَ حِينَ يُوْذَنُ فِيهِ

وقال آخر :

هي المقاديرُ تجري في أعنتها
يوماً تَرِشُ خُسيسَ القومِ ترفهه
فأصبرَ فليس لها صبرٌ على حال
دون السماء ويوماً تخفِضُ العالي

وقال آخر :

أصبرَ على زَمَنِ جَمِّ نوائبه
تلقاه بالأنس في غمياه مُظلمة
فليس من شدةٍ إلا لها فرجٌ
ويُصبح اليوم قد لاحت له الشرج

وقال آخر :

الأربَّ راجٍ حاجةً لا ينالها
يجولُ لها هذا وتُقضَى لغيره
وآخرَ قد تُقضَى له وهو آيسُ
فتأتي الذي تقضى له وهو جالسُ

وقال آخر :

فلما أنْ عُنيَتْ بما ألقى
دعوتُ الله لا أزجو سواه
وأعيتني المسائلُ بالقُروضِ
وربُّ العرشِ ذو فرَجٍ عريضِ

وقال آخر :

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُفرِّجٌ
اليأسُ يَقْطَعُ أحياناً بصاحبه
أبشِرْ بخيرِ كأنْ قد فرَّجَ الله
لا تيأسَنَّ فإنَّ الصانعَ الله
إذا ابتليتَ فتق باللهِ وارض به
إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوى هو الله

وقال آخر :

وَإِذَا تُصِيبُكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ فَكُلُّ بَلِيَّةٍ تَتَكَشَّفُ

٢٥ - محاسن المواعظ

قال الاصمعي : حبيب فنزلت ضربة ، فاذا أعراي قد كور عمامته على رأسه وقد تنكب قوساً ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنما الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر ، فيخذلوا من ممركم للمقرم ، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم أسراركم اما بعد فانه لن يستقبل احد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله ، فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه ، وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوى أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه ، وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبه « وانما يوفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » وقال بعض الأعراب : ان الموت ليقتحم على بني آدم كافتحام الشيب على الشباب ، ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغثم من الموت ، ومن عطف عليه الليل والنهار أروياه ، ومن وكل به الموت أفناه . وقال أعراي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات ؟ لقد عجبت من المرء يفر من الموت وهو حيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت . وقيل وجد في كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها : ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه . وقال كسرى : لم يكن من حق علمه أن يقتل واني

لنادم على ذلك (١) . قال : وحضرت الوفاة بجلا من حكماء فارس
ف قيل له : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً
بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حيلة ويسكن قبرا موحشاً بغير
أنيس ؟

(ضمه)

قيل : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعاً
شديداً فقال ذات يوم لمن حضره : هل من منشد شعراً يعزيني به أو
واعظ يخفف عني فأتسلى به ؟ فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين
كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو يذهب إلى مكان ، فتبسم عمر بن
عبد العزيز وقال : مصيبي فيك زادني إلى مصيبي مصيبة . وأصيب
الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : ليت
إني وجدت إنساناً يخفف عني مصيبي ، فقال له الرسول : أقول ، قال :
قل ، قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه
من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو
يكون شيء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال : مصيبي في أمير المؤمنين
أعظم حين وجه مثلك رسولاً .

٢٦ - محاسن فضل الدنيا

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ،
ودار عافية لمن لهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مسجد أنبياء الله ،
ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ، ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ،

ويرجون فيها الجنة فمن ذابدها ؟ وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت
نفسها وشوقت بسرورها إلى السرور وببلائها إلى البلاء تخويفاً وتحذيراً وتغيباً
وتوهيباً ، فيأبها الدام للدينيا والمفتن بغرورها متى غرتك أبصارع آباءك من
البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم عالت بكفيك وكم مرضت بيديك
تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء ؟ لم تنفعهم
بطلبك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفعهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا
مصروع ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يعني عنك أحباؤك ، ثم التفت
إلى قبور هناك فقال : يا أهل النراء والعز ، الأزواج قد نكحت والاموال
قد قسمت والدور قد سكنت هذا خير ما عندنا ، فما خير ما عندكم ، ثم
قال لمن حضر والله لو أذن لهم لأجابوا بأن خير الزاد التقوى وأنشد :

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإدبار إقبالها

قال أبو حازم : الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى
يخرجه منها ، وطالب الآخرة يطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه . وقال الحسن
البصري : بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بعجوز متعبدة فقلت : من أنت ؟
فقلت ؟ من بنات ملوك غسان ، قلت : فمن أين طعامك ؟ قالت : إذا
كان آخر النهار جاءني امرأة متزينة فتضع بين يدي كوزاً من ماء
ورغيفين ، قلت لها : أتعرفينها ؟ قالت : اللهم لا قلت : هي الدنيا
خدمت ربك جل ذكره فبعث إليك الدنيا فخدمتك .

(ضده)

زعموا أن زياد بن أبيه مر بالحيرة فنظر إلى دير هناك فقال لحامده :
لن هذا ؟ قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال : ميلوا بنا إليه

نسمع كلامها ، فجات إلى وراء الباب فكلما الخادم فقال لها : كلمي
الامير ، فقالت أأوجز أم أطيل ؟ قال : بل أوجزي قالت : كنا أهل
بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك
الشمس حتى رحمتنا عدونا قال : فامر لها باوساق من شعير فقالت : أطعمتك
يد شعباء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبع ، فسر زياد بكلامها ، فقال
لشاعر معه : قيد هذا الكلام ليدرس فقال :

سَلِ الْخَيْرَ أَهْلَ الْخَيْرِ قَدْماً وَلَا تَسَلِ
فَتَى ذَاقَ طَعْمَ الْخَيْرِ مِنْهُ قَرِيبُ

ويقال : إن فروة بن إلياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان
فألغاهما وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : ما من دار امتلأت
سروراً إلا امتلأت بعد ذلك تبوراً ثم قالت :

فِينَا نَسُورُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنا
إِذَا فَخُنْ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
فَأُنْ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ

قال : وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص : لاجعل الله
لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة ، وعقد لك المن في
اعناق الكرام ، ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك إلا جعلك
سببا لردّها عليه . قال : وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي :
أي الزمان أدركت افضل وأي ملوكه أكل ؟ قال : أما الملوك فلم أر
إلا ذاما وحامداً ، وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم يذم
زمانه لانه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم ، وكل ما فيه منقطع إلا الامل

قال : فاخبرني عن فهم قال : هم كما قال الشاعر :

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى فَا
وَحَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضَحَتْ قَفَاراً
مِنْ بَنِي عَمْرِو فَاَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ
بَعْدَ عِزٍّ وَتُرُوءَةٍ وَنَعِيمِ
وَكَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّاسِ
وَتَبْقَى دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِ

قال : فمن يقول منكم :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُوقُوا وَكَانُوا
وَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ أَقْلَ خَيْرًا
يُحِبُّونَ الْغَنِيَّ مِنَ الرِّجَالِ
بِخِيَلٍ بِالْقَلِيلِ مِنَ النَّوَالِ
فَلَا أَذْرِي عَلامَ وَفِيمَ هَذَا
أَلَلَدُنْيَا فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا
وَمَاذَا مَزَّجُونَ مِنَ الْمُحَالِ
وَلَا يُجِئُ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي

قال : انا وقد كنتها . قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن
فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره قول الاسود بن يعفر :

مَاذَا يَوْمٌ بَعْدَ آلٍ مُحَرَّقٍ
أَهْلُ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقِ
تَرَكَوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
نَزَلُوا بِأَتَقَرَةٍ بِسَيْلٍ عَلَيْهِمْ
كَبُّ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطَيْبِ نَسِيمِهَا
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
جَرَتْ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ

فَإِذَا النِّعَمُ وَكُلُّ مَا يُنْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادٍ

وقال علي صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك قول الله تعالى « كم تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَهَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » .

وقال عبد الله بن المعتز : أهل الدنيا كركب يسارهم وهم نيام . وقال غيره : طلاق الدنيا مهر الجنة . وذكروا أن أعراباً ذكر لدنيا فقال : هي حمة المصاب رنقة المشارب . وقال آخر الدنيا لا تمتك بصاحب . قال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها . وقال : إذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارتة محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه وقال الشاعر :

أَيَا دُنْيَا حَسَرْتُ لَنَا قِنَاعًا وَكَانَ جَمَالَ وَجْهِكَ فِي النَّبَابِ
دِيَارٌ طَالَمَا حُجِبَتْ وَعَزَّتْ فَاصْبَحَ إِذْنُهَا سَيْلَ الْحِجَابِ
وَقَدْ كَانَتْ لَنَا الْأَيَّامُ ذَلَّتْ فَقَدْ قُرِنَتْ بِأَيَّامِ صِعَابِ
كَأَنَّ الْعَيْشَ فِيهَا كَانَ ظِلًّا يُقَلِّبُهُ الزَّمَانُ إِلَى ذَهَابِ

قال الأصمعي : وجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قبتة مكتوباً :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا إِشْيَءٌ يَسْرُهُ
فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَرِيبٍ يَلُومُهَا

إِذَا أَدْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً
وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيراً هُمُومُهَا

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد :

رَفَعُ دُنْيَانَا بَتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

وقال أبو العناهيم :

يَا مَنْ رَفَعَ بِالْدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَيْسَ التَّرَفُّعُ رَفَعَ الطِّينِ بِالطِّينِ
إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ فَأَنْظِرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينِ
ذَاكَ الَّذِي عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هِمَّتُهُ
وَذَاكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ

وقال آخر :

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

وقال محمود الوراق :

هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَغْرُزُكَ مِنْهَا مَخَائِلُ تَسْتَفِرُّ ذَوِي الْعُقُولِ
أَقْلُ قَلِيلِهَا يَكْفِيكَ مِنْهَا وَلَكِنْ لَسْتَ تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ
تُسَيِّدُ وَتَبْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَنْتَ عَلَى التَّجَوُّزِ لِلرَّحِيلِ
وَمِنْ هَذَا عَلَى الْأَيَّامِ تَبْقَى مَضَارِبُهُ بِمَدْرَجَةِ الشُّيُولِ

وقال آخر :

دُنْيَا تَدَاوَلَهَا الْعِبَادُ ذَمِيمَةٌ شَبِيتَ بِأَكْرَهَةٍ مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ
وَتَبَاتُ دُنْيَا مَا تَزَالُ مُلِمَّةٌ مِنْهَا فَجَائِعُ مِثْلُ وَقَعِ الْجَنْدَلِ

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ مُشْتَغِلٌ وَعَامِلُ اللَّهِ بِالرَّحْمَنِ مَشْغُولٌ

وقال أبو نواس الحسن بن هاني :

دَعِ الْحَرَصَ عَلَى الدُّنْيَا وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعِ
وَلَا تَجْمَعْ لَكَ الْمَالَ فَمَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعِ
وَلَا تَدْرِي أَفِي أَرْضٍ لَكَ أَمْ فِي غَيْرِهَا تُضْرَعِ

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وهو يقول : بينا أنا أدور
في بعض البراري إذا أنا بصوت :

وَإِنَّ أَمْرًا دُنْيَاهُ أَكْثَرُ هَمِّهِ لَمْ تُسْتَسْكَمْ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورِ

فقلت : أنسي أم جني ؟ فلم يجبي أحد فنقشته على خاتمي . قال
وسمع يحيى بن خالد بيت العدوي في وصفه الدنيا :

حُتِفُوهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ وَشُرْبُهَا رَنْقٌ وَمُلْكُهَا دُولٌ

فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا . قال وسمع المأمون بيت
أبي نواس :

إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبي نواس .
وقيل للحسن البصري : ما تقول في الدنيا ، قال : ما أقول في دار :
حلالها حساب وحرامها عقاب ف قيل ما سمعنا كلاماً أوجز من هذا قال
بلي كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدي بن أرطاة وهي علي حصص
قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها ، فكتب اليه : حصتها بالعدل
ونق طرفها من الظلم والسلام .

٢٧ - محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيفاً قال : كنت معه
في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة
الحرق فبكى ضيغاً فقلت : لو دعوت الله ان يطر علينا كان أخف علي
هذه الابل ، قال : فنظر الى السماء وقال : ان شاء الله فعل قال :
فوالله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فطلت . وعن عطاء بن
يسار أن أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشتري لأهله دقيقاً ،
فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي ،
فأتى التجارين فلأ مزوده من نشارة الحطب وأتى منزله فألقاه وخرج
هارباً من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حواري لم تو مثله
فبعجته وخبرته ، فلما جاء قال : أين لك هذا ؟ قالت : الدقيق الذي
جئت به . وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال : دخلت بئر
زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن ، فلما شرب أرسل الدلو
فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لم أر أطيب منه ، فلما كانت القابلة
في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم
أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالمثل لم أر شيئاً قط
أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتي ، فلما كان

في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد
أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فصلته
فاذا هو أطيب من الاول ، فقلت : يا هذا أسألك برب هذه البنية من
أنت ؟ قال : تكتم علي حتى أموت ؟ قلت : نعم ، قال لي : أنا سفيان
الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا
عطشا . وقال الاصمعي رأيت أعرابيا يكدح جبهته في الارض يريد ان
تجعل سجادة فقلت ماتصنع ؟ قال : اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح .
وقال الشاعر :

كَيْفَ يَبْكَى لِمَحْبَسٍ فِي طُلُولٍ مَنْ سَيَقْضِي لِيَوْمٍ حَبَسَ طَوِيلٍ
إِنَّ فِي الْبَعَثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمٍ رُبْعٍ مُحِيلٍ

وقال آخر :

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
يَا رَبَّ أَسْرَفْتُ فِي ذَنْبِي وَمَغْصِيَّتِي وَقَدْ عَايَنْتُ يَقِينًا سَوْءَ آثَارِي
فَاغْفِرْ ذُنُوبًا إِلَهِي قَدْ أَحْطْتُ بِهَا رَبَّ الْعِبَادِ وَزَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ

وقال ذو الرمة :

مَعْصَى الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بِدِيعِ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنْ الْمَحِبِّ لَمْ يَحِبُّ مُطِيعِ

وقال أبو نواس :

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْهَدُ الْجَاهِدُ

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ خَرِيكَةٍ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ
يَسْوَقُهُمْ مِنْ قَرَارٍ
يُؤَوِّزُ خَلْقًا فَخَلَقًا
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُهُ
قَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ
إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ
فِي الْحُجُبِ دُونَ الْعُيُونِ
مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونٍ

وَقَالَ آخِر :

أَخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى
الْأَيَّانَ الَّذِينَ مَضَوْا وَبَادُوا
وَمَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ زَادُ
إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهِ وَاتٍ تَرْفَى
كَأَنَّكَ مَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لَتَبْقَى

وَقَالَ آخِر :

يَا قَلْبُ مَهْلًا وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ
مَالِكَ بِالْتَرَاهَاتِ مُشْتَغَلًا
فَقَدْ لَعَنَرِي أَمْرْتُ بِالْحَذَرِ
أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ

وَقَالَ آخِر :

إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ
فَلِمَقْدٍ هَلَكْتَ وَإِنْ جَحَدَ
وَأَجْتَرَأْتَ عَلَى الْخَطِيئَةِ
تَ فِذَاكَ أَعْظَمُ لِلْبَلِيَّةِ

وقال آخر

وَأَفْنِيَّةُ الْمُلُوكِ مُحَجَّباتٌ وَبَابُ اللَّهِ مَبْدُولُ الْفَنَاءِ
فَمَا أَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ضُرِّي وَلَا أَفْزَعُ إِلَى غَيْرِ الدُّعَاءِ
وَلَا أَذْعُو إِلَى الْأَلْوَامِ كَهَقَا سِوَى مَنْ لَا يَصَمُّ عَنِ الدُّعَاءِ

(ضمد)

قيل : كان جندي بقزوين يصلي في بعض المساجد فاقتطعه المؤذن أياماً
فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن : أبو من ؟ قال :
أبو الجحيم ، قال : بش يا هذا رد الباب . قال : وقيل للقيني ما أسير
ذنبك ؟ قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدير
نصرانية فأكلت عندها طفشياً بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها
وسرقت كساءها وخرجت (١) . قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية
فنزّلوا على باب خان فقام أحدهم يصلي والباقيون جلوس فموت بهم نبطية
فقالوا : دلينا على قعبة قالت نعم كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعة ، فأومى
الذي يصلي بيده سبعان الله أنا الخامس .

وقال الشاعر :

وإِثْنِي فِي الصَّلَاةِ أَحْضَرُهَا صَخَكَةُ أَهْلِ الصَّلَاةِ إِنْ شَهِدُوا

(١) - ذكر ابن قتيبة في كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لابي الطمسان القيني .
وقد نسبت هذه الجزئية أيضاً للفرزدق وفيها يقول له جرير ،

وكننت اذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عاراً

أَقْمِدْ فِي سَجْدَةٍ إِذَا رَكَعُوا وَأَرْفَعُ الرَّأْسَ إِنْ هُمْ سَجَدُوا
 أَسْجُدْ وَالْمَقُومُ رَاكِعُونَ مَعًا وَأُسْرِعِ الْوُتْبَ إِنْ هُمْ قَعَدُوا
 فَلَسْتُ أَدْرِي إِذَا هُمْ فَرَغُوا كَمْ كَانَ تِلْكَ الصَّلَاةُ وَالْعَدَدُ

وقال آخر :

وَأَصْلِي فَأَغْلَطُ الدَّهْرَ فِيمَا بَيْنَ سَبْعٍ وَأَرْبَعٍ وَثَمَانٍ
 وَمَوَاقِيتُ حِينِهَا لَسْتُ أَدْرِي مَا أَذَانٌ مُوَقَّتٌ مِنْ أَذَانٍ

وقال آخر :

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
 عَدَاكَ مَشَافِرُهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْنُهُ الْخَدَّادُ
 فَأَيُّضٌ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهَهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ

وقال آخر :

إِنْ قَرَأَ الْعَادِيَاتُ فِي رَجَبٍ لَمْ يَعُدْ مِنْهَا إِلَّا إِلَى رَجَبٍ
 بَلْ نَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ فِي سَنَةٍ نَخْتِمُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

٢٦ - محاسن النساء العاديات

قيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الحنساء في

صخر أخبها .

لَا بُدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرَهُ وَالذَّهْرُ مِنْ شَأْنِهِ حَوْلٌ وَإِضْرَارُ
وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وقيل للخنساء : صفي لنا صخرًا ؟ فقالت : كان مطر السنة الغبراء وذعاف
الكتيبة الحمراء ، قيل فمعاوية ؟ قالت : حياء الجذبة اذا نزل ، وقرى
الضيف اذا حل ، قيل : فايها كان عليك أحنى ؟ قالت أما صخر فسقام
الجسد ، وأما معاوية فجمرة الكبد وأنشدت :

أَسْدَانِ مُحَمَّرًا الْمَخَالِبِ نَجْدَةً غَيْثَانِ فِي الزَّمَنِ الْغُضُوبِ الْأَعْسِرِ
قَعْرَانِ فِي النَّادِي رَفِيعًا مُحْتَدٍ فِي الْمَجْدِ فَرْعًا سَوْدَدٍ مُتَخَيِّرِ

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر ،
فقالت لها عائشة : أتتخذين الصدر وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه ؟
فقالت : يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلاً متلافاً منقفاً فقال لي : لو أتيت
معاوية فاستعنتيه ، فخرجت وقد لقيني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث
مرات ، فقالت له امرأته : لو أعطيتها من شرارها - تعني الابل - فقال :

نَالَهُ لَا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا وَهِيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَّتِي عَارَهَا
وَإِنْ هَلَكْتُ مَزَّقْتُ خِمَارَهَا وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدر ونذرت أن لا أنزعه حتى أموت
قال ثور بن معن السلمي : حدثني أبي قال : دخلت على الخنساء في الجاهلية
وعليها صدر من شعر وهي تجهز ابنتها فكلمتها في طرح الصدر فقالت :
يا حمقاء والله لأنا أحسن منك عرساً ، وأطيب منك درساً ، وأرق منك نعلاً

وأكرم منك بعلا . قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء : ما أفرح ما في عينيك ؟ قالت : بكائي على السادات من مضر ، قال : يا خنساء انهم في النار قالت : ذلك أطول لعويلي . وما اخترنا من أشعارها قولها :

تَفَرَّقَنِي الدَّهْرُ قَرَعًا وَغَمَزًا	وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ نَهْشًا وَوَحْزًا
وَأَفْتَى رَجَائِي فَبَادُوا مَعًا	فَأَصْبَحَ قَلْبِي لَهُمْ مُسْتَفْزًا
كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا حِمِّي يَتَّقِي	إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزًا
وَكَانُوا سَرَاةَ بَنِي مَالِكٍ	وَزَيْنَ الْعَشِيرَةِ مَجْدًا وَعِزًّا
وَهُمْ فِي الْقَدِيمِ صَحَاحُ الْأَدِي	مِ وَالْكَاثِنُونَ مِنَ النَّاسِ حِرْزًا
بِسُمْرِ الرِّمَاحِ وَبِإِضِّ الصَّفَاحِ	فَبِالْبَيْضِ ضَرْبًا وَبِالشُّمْرِ وَخِزًا
حَزَنًا نَوَاصِي فُرْسَانِكُمْ	وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ لَا تُحْزَنًا
وَمَنْ ظَنَّ مَتْنٌ يُلَاقِي الْحُرُوبِ	بَانَ لَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا
نَعْفٌ وَتَعْرِفُ حَقَّ الْقِرَى	وَنَتَّخِذُ الْحَمْدَ دُخْرًا وَكَتْرًا
وَنَلْبَسُ فِي الْحَرْبِ نَسِجَ الْحَدِيدِ	وَفِي السَّلَامِ نَلْبَسُ خِزَا وَقَزَا

وروي خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا أنها أقبلت حاجة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها ، فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا : هذه خنساء فلو وعظمتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام ، فقام عمر وأتاها وقال : يا خنساء قال : فرفعت رأسها فقالت : ما تشاء وما الذي تريد ؟ فقال : ما الذي أفرح ما في عينيك ؟ قالت : البكاء على سادات مضر . قال : انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء الاله وحشو جهنم ، قالت : فذاك أبي وامي فذلك

الذي زادني وجعا ، قال : فأنشدني ما قلت ، قالت : أما أني لا أنشدك ما قلت
قبل اليوم ولكني أنشدك ماقلته الساعة ، فقالت :

سَقَى جَدَثًا غَرَأُ غَمْرَةَ دُونَهُ وَبَيْشَةً دِيمَاتُ الرَّيْعِ وَوَابِلُهُ
وَكُنْتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى
فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ شَاغِلُهُ
وَأَرْغَبُهُمْ سَمْعِي إِذَا ذَكَرُوا الْأُسَى

وفي الصَّدرِ مِنْسِي زَفْرَةٌ لَا تُزَايِلُهُ
فقال عمر : دعوها فانها لا تزال حزينه أبداً . ليلي الأخيلية هجاها رجل
من قومها فقال :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى وَقَوْلًا لَهَا هَلَا فَقَدْ رَكِبْتُ إِدْرَاً أَعْرَ مُحَجَّلًا
فأجابته :

تُعِيرُنِي دَاءٌ بِأُمِّكَ مِثْلُهُ وَأَيُّ جَوَادٍ لَا يُقَالُ لَهُ هَلَا

ذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا ليلي هل بقي
في قلبك من حب توبة فتي القتيان شيء ؟ قالت : وكيف أنساه ؟ وهو الذي
يقول يا أمير المؤمنين :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي ذَرَى مُتَمَنِّعٍ بِنَجْرَانَ لَا لَتَفَّتْ عَلَيَّ قُصُورُهَا
حَمَامَةٌ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْنَمِي
سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا

أُبَيِّنِي كَنَالَا زَالَ رِيْشُكَ إِنَّا عِمَا (١)
وَيَبْضُكَ فِي خَضْرَاءِ غُصْنٍ نَضِيرُهَا
نَقُولُ رِجَالٌ لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا
بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا
أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أَزُرْ
كَوَاعِبَ فِي هَمْدَانٍ يَبْضُ نُجُورُهَا
قال : عمرك الله أن تذكره . ولتوبة في ليلي الاخيلية :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا
إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي السَّمَاءِ لَا صَعَدَتْ
يَطْرُقُنِي إِلَى لَيْلَى الْغَمِيُونُ اللَّوَامِحُ

فلما مات توبة مر زوج ليلي بليلي على قبره فقال لها : سلامي على توبة
فانه زعم في شعره أنه يسلم عليك تسليم البشاشة ، فقالت : ما تريد الى من
بليت عظامه ، فقال : والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير : سلام عليك
ياتوبة فتى القميان ، وكانت قطاة مستظلة في ثقب من ثقب القبر ، فلما سمعت
الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلي فهات فتدفنت الى جنب

قبر توبة . قال وسأل الحجاج ليلي هل كان بينك وبين توبة ربية قط ؟
 قالت : لا والذي أسأله صلاحك ألا أنه مرة قال لي قولاً ظننت أنه خنع
 لبعض الأمر فقلت له :

وذي حاجة فُلنا له لا تبُح بها فليس إليها ما حيتُ سبيلُ
 لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغٌ وخليلُ

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرق بيني وبينه الموت ، قال الحجاج .
 فما كان بعد ذلك ؟ قالت : لم يلبث أن قال لصاحب له : إذا أتيت الحاضر
 من بني عباد فقل بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أيتنَّ ليملةً من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت :

وعنه عفا ربي وأحسن حاله تعرُّ علينا حاجةٌ لا ينالها

قال : ودخلت ليلي على الحجاج فأنشدته قولها فيه :

إذا نزل الحجاج أرضاً سقيمةً كتبتُ أقصى دائها فشفاهها
 شفاها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هزَّ القناة ثناها
 أحجاجٌ لا تُعطي العصاة منهاهم ولا الله يُعطي للعصاة منهاها

فوصلها الحجاج بألف دينار ، وقال : لو قلت : بدل غلام همام لكان
 أحسن . هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قيل : لما قتل شيبة
 وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند فقالت :

إني رأيتُ فساداً بعد إصلاح في عبدِ شمسٍ فقلبي غيرُ مرتاح

هَاجَتْ لَهُمْ أَدْمَعٌ تَقْرَى وَمَنْبَعُهَا

مِنْ رَأْسٍ مَحْرُوبَةٍ مَا إِنَّ كَلِمًا لَا حِي
كَمَا تَنَادَتْ بَنُو فِهْرٍ عَلَى حَنْقٍ وَالْمَوْتُ بَيْنَهُمْ سَاعٍ لِأَرْوَاحٍ
كَأَنَّمَا النَّسِجُ فِي قَتْلِ مُصْرَعَةٍ سُرُجُ أَضَاءَتْ عَلَى جُذْرِ وَأَلْوَا حِ
يَا آلَ هَاشِمٍ إِنَّا لَا نُصَالِحُكُمْ

حَتَّى نَرَى الْخَيْلَ تَرْدِي كُلَّ كَفَّاحٍ
إِنْ يُمَكِّنَ اللَّهُ يَوْمًا مِنْ هَزِيمَتِكُمْ
يُورِثُ نِسَاءَكُمْ دَاءً بِتَقْرَاحٍ

فأجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصاري :

يَا هِنْدُ مَهْلًا لَقَدْ لَاقَيْتِ مُهْبِلَةً يَوْمَ الْأَعْنَةِ وَالْأَرْوَاحِ فِي الرِّاحِ
أَسَدٌ غَطَارِفَةٌ غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ أَبْنَاءُ مُحْصِنَةٍ بِيضٌ لَجَجَجَاحِ
هُنَالِكَ الْفَوْزُ وَالرِّضْوَانُ إِنْ صَبَرُوا

مَعَ الرَّسُولِ فَمَا آوَا بِتَقْبَاحِ
اللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَالْأَوْسُ شَاهِدَةٌ وَالْخَزَرَجُ الْغُرُفِيُّهُمْ كُلُّ مُجْتَاحِ
لَا تَبْعَدَنَّ فَإِنِّي غَيْرُ صَارِخَةٍ
وَكَيْفَ تَصْرُخُ ذَاتُ السَّيْمَلِ يَا صَاحِ

٢٩ - النساء الماجنات

قال سليمان بن عبد الملك : أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء في بعض طرقاته إذ أخذته السماء ، فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه ، فلما رأته حذفته بجعر فرفع رأسه وقال :

لَوْ بِتُّ فَاحِيَةً رَمَيْتِ رَجُونًا وَمِنَ الرَّمْيِ بِالْخِصَاءِ جَفَاءُ
فأجابته :

مَا جَهِلْنَا الَّذِي ذَكَرْتَ مِنَ الشُّكْرِ وَلَا بِالَّذِي نَرَاهُ خَفَاءُ
وداية معها فقالت :

قَدْ بَدَأْتِيهِ مَا ذَكَرْتَ وَجَدِّي لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لِهَذَا وَفَاءُ
وسائلة في الباب فقالت :

قَدْ لَعَنَ عَرِي دَعْوَتَهَا فَأَجَابَتْ هِيَ دَاءُ وَأَنْتَ مِنْهُ شِفَاءُ

قال سليمان قاتلها الله هي والله أشعرهم :
(عنان جارية الناطفي) قال السلوي : دخلت يوماً على عنان وعندها رجل اعراقي ، فقالت أبا عم لقد أتى الله بك ، قلت : وما ذاك ؟ قالت : هذا الاعراقي دخل علي فقال : بلغني أنك تقولين الشعر فقولي بيتاً ، فقلت لها : قولي ، فقالت : قد رتج علي ، فقل أنت ، فقلت :

لَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ وَعِيلَ صَبْرِي عَشِيَّةَ عَيْرُهُمْ لِلْبَيْنِ زُمْتُ

فقال الاعرابي :

نَظَرْتُ إِلَى أَوَاخِرِهَا ضَحِيًّا وَقَدْ بَانَتْ وَأَرْضَ الشَّامِ أَمْتُ

فقال عنان :

كَتَمْتُ هَوَاكُمُ فِي الصَّدْرِ مِنِّي عَلَى أَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى نَمَتِ

فقال الاعرابي : انت والله اشعرنا ، ولولا انك بجرمة رجل لقبلتك ، ولكنني اقبل البساط . وقال بعضهم : دخلت علي عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغة وقد تناولها مولاهم بضرب شديد وهي تبكي فقلت :

إِنَّ عِنَانًا أَرْسَاتُ دَمْعَهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَنْسَلُّ مِنْ سَمَطِهِ

فقلت وشارت الى مولاهم :

فَلَمَّيْتُ مَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا تَجِفُّ يُمْنَاهُ عَلَى سَوَاطِيهِ

فقال مولاهم : هي حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما او غير ظالم ، قال : واجتمع ابو نواس والفضل الرقاشي والحسين الخليلع وعمرو الوراق ومحكم ابن رزين والحسين الخطاط في منزل عنان فتناسلوا الى وقت العصر ، فلما ارادوا الانصراف قالوا : اين نحن الليلة : فكس قال : عندي ؟ فقلت عنان : بالله قولوا شعرا وارضوا بحكمي ، فقال الرقاشي :

عَذْرَاءُ ذَاتُ أَحْمَرَارٍ إِنِّي بِهَا لَا أَحَاشِي

قَوْمُوا نَدَامَايَ رَوُّوا مُشَاشِكُمْ مِنْ مُشَاشِي

وَنَاطِحُونِي كَتُوسًا نِطَاحَ صُلْبِ الْكِبَاشِ

وَإِنْ نَكَلْتُ فِحْلٌ لَكُمْ دَمِي وَرِيَاشِي

فقال أبو نواس :

لا بل إليّ ثِقَاتِي	قوموا بنا بِجِيَاتِي
قوموا نَلْذُ جميعاً	بقولِ هَاكِ وَهَاتِ
فإِن أردتم فتاةً	أَتَيْتُكُمْ بفتاتي
وإن أردتم غلاماً	صَادَقْتُمُونِي مُؤَاتِي
فبادرُوهُ مُجُوناً	في وَقتِ كُلِّ صَلَاةٍ

وقال الحسين الخليع :

أنا الخليعُ فقوموا	إلى شَرَابِ الخليعِ
إلى شَرَابِ لَذِيذِ	وأكلِ جَدْيِ رَضِيعِ
ونيكِ أَحْوَى رَخِيمِ	بِالْخَنْدَرِيسِ صَرِيعِ
قوموا تَنَالُوا وَشِيكَاً	مِنَالِ مَلِكِ رَفِيعِ

وقال الوراق :

قوموا إلى بيتِ عَمْرٍو	إلى سِمَاعِ وَخَمْرِ
وساقياتِ عَلِينَا	تُطَاعُ في كُلِّ أَمْرِ
وَيَنْسَرِي رَخِيمِ	يَزْهُو بِجِيدِ وَنَحْرِ
فَذَاكَ بَرٌّ وَإِنْ شِئْتُمْ	أَتَيْنَا بِبَحْرِ
هَذَا وَيَنْسَ عَلَيْكُمْ	أُولَى وَلَا وَقتِ عَصْرِ

وقال محكم بن رزين :

قوموا إلى دارِ ألهو	وظلّ بيتِ دفينِ
فيه من الوردِ والمرِّ	زنجوش والياسمينِ
وريح مسكٍ ذكيٍّ	وجيّدِ المرزُجَرِنِ
قوموا فصيروا جميعاً	إلى الفتى ابنِ رزينِ

فقال الحسين الخياط :

قَضَتْ عِنانُ عَلِينَا	بأنْ نُرورَ حُسَيْنَا
وَأَنْ تَقْرُوا لَدَيْهِ	بالتَقْصِفِ واللّهُوَ عَيْنَا
فَمَا رَأَيْنَا كَطَرْفِ	الحُسَيْنِ فَمَا رَأَيْنَا
قَدْ قَرَّبَ اللهُ مِنْهُ	زَيْنًا وَبَاعَدَ شَيْنَا
قوموا وقولوا أجزنا	مَا قَدْ قَضَيْتِ عَلَيْنَا

وقالت عنان :

مَهْلًا فَدَيْتُكَ مَهْلًا	عِنانُ أُخْرَى وَأُولَى
بأنْ تَمَالُوا لَدَيْهَا	أُسْنَى النَّعِيمِ وَأَحْلَى
فإنْ عِنْدِي حَرَامًا	مِنَ الشَّرَابِ وَحِلَامًا
لَا تَطْمَعُوا فِي سَوَائِي	مِنَ الْبَرِّيَّةِ كَلَامًا
يا سَادَتِي خَبِّرُونِي	أَجَازَ حُكْمِي أَمْ لَا

فقالوا جميعاً : قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها . قال : وكتبت
عنان الى الفضل بن الربيع :

كُنْ لِي هُدًى إِلَى الْخَلِيفَةِ سُلَماً بُورِكَتْ يَا بَنَ وَزِيرِهِ مِنْ سُلُومٍ
حُثَّ الْإِمَامَ عَلَى شِرَايَ وَقُلْ لَهُ رَحِمَانَهُ ذُخْرَتْ لَأَنْتِكَ فَاشْمَمِ
وكانت عنان تتوقى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه ، وفيها يقول :

عِنَانُ يَا مَنْ تُشَبِّهُ الْعَيْنَا أَنْتُمْ عَلَى الْحُبِّ تَلُومُونَا
حُسْنُكَ حُسْنٌ لَا يُدْرِي مِثْلُهُ قَدْ تَرَكَ النَّاسَ مَجَانِينَا
فتهمأت لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض
وجوه أهل بغداد فأحب أن ينجسها ، فقال لها :

مَا تَأْمُرِينَ لَصَبٍ يَكْفِيهِ مِنْكَ قَطِيرَةٌ

فقالت :

إِنِّي تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَأَجْلِدْ عُمَيْرَةَ

فقال :

إِنِّي أَخَافُ وَرَدِّي عَلَى يَدَيَّ مِنْ عُمَيْرَةٍ

فقالت :

عَلَيْكَ أُمُّكَ فَكُفَّا فَإِنَّهَا كُنْدَبِيرَةٌ

فأخجلته ، وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطقي
فحملت اليه فقال لها : يا عنان ، قالت : ليك يا سيدي ، فقال : ما

تأمرين لصب ؟ قالت : قد مضى الجواب في هذا يا أمير المؤمنين ، قال :
بحياتي كيف قلت ؟ قالت : قلت :

إِيَّايَ تَغْنِي بِهَذَا عَلَيَّكَ فَاجْلِدْ عُمَيْرَةَ

فضحك الرشيد وطلبها من مولاهما فاستام فيها مالا جزيلا فردها
(عريب جارية المأمون)

وَأَنْتُمْ أَنَاسٌ فَيَكُمُ الْغَدْرُ شِيمَةٌ لَكُمْ أَوْجُهُ شَتَّى وَالسِّنَّةُ عَشْرُ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ يَضْبُو إِلَيْكُمْ عَلَى عَظَمِ مَا يَلْقَى وَلَيْسَ لَهُ صَبْرُ

(فضل الشاعرة) حدثنا القاسم بن عبد الله الجرائي قال : كنت عند
سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد ، فأنته هدايا فضل الشاعرة
ألف جدي ، وألف دجاجة ، وألف طبق رياحين ، وطيب وغنبر ، وغير
غير ذلك ، فلما وصل ذلك كتب إليها : ان هذا اليوم لا يتم سروره
الا بك وبحضورك ، وكانت من احسن الناس ضربا بالعود ، وأملحهم صونا ،
وأجودهم شعراً ، فأنته فضرب بينه وبينها حجاب ، وأحضر قوماً ندماءه ،
ووضعت المائدة وجيء بالشراب ، فلما شربنا أقداحنا اخذت عودها فغنت
بهذا الشعر والصوت لها والشعر والأبيات هذه :

يَا مَنْ أَطَلْتُ تَفَرُّسِي فِي وَجْهِهِ وَتَنَفُّسِي
أَقْدِيكَ مِنْ مُتَدَلِّلٍ يَزْهُو بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ
هَبْنِي أَسْأْتُ وَمَا أَسْأُ تُبَلِي أَقُولُ أَنَا الْمُسِي
أُحْلَفْتَنِي أَنْ لَا أَسَا رِقْ نَظْرَةً فِي مَجْلِسِي
فَنَظَرْتُ نَظْرَةَ عَاشِقٍ أَتَبَعْتُهَا بِتَنَفُّسِي

وَنَسِيتُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ فَمَا يُقَالُ لِمَنْ نَسِيَ
وضربت أيضاً وغنت :

عَادَ الْحَبِيبُ إِلَى الرِّضَا فَصَفَحَتْ عَمَّا قَدْ مَضَى
مِنْ بَعْدِ مَا لَصُدُودِهِ شَمِتَ الْخَسُودُ فَعَرَضَا
تَعَسَّ الْبَغْفِيزُ فَلَمْ يَزَلْ لَصُدُودِنَا مُتَعَرِّضَا
هَبْنِي أَسْأَتُ وَمَا أَسْأُ تَفُؤْنِ اسْأَتُكَ الرِّضَا

قال فما أتى علي يوم أسر من ذلك اليوم :

(صاحبة الفرزدق) ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فإذا هو
بجارية مع مولاها فقال لأصحابه : هل أخجل لكم هذه ؟ قالوا : نعم فقال :

إِنَّ لِي أَمْرًا خَبِيثًا لَوْ نُهُ يَحْكِي الْكَمِيتَا
لَوَيَّرَى فِي السَّقْفِ صَدْعًا لَتَحَوَّلَ عَنْكَ بَوْتَا
أَوَيَّرَى فِي الْأَرْضِ شَقًّا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا

فقلت الجارية :

زَوَّجُوا هَذَا بِأَلْفٍ وَأَرَى ذَلِكَ مُقُوتَا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ فَلَا يَأْتِي وَيُوتَى

فخجل الفرزدق وانصرف : (١)

(١) في هامش الاصل . قيل ان هذه الردافة جرت بين ابي نواس وعنان
جارية الناطفي والايات تروى على غير هذا .

(صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي) قالت :

عَزَمْتُ عَلَى قَلْبِي أَنْ أَكْتُمَ الْهَوَىٰ فَضَجَّ وَنَادَىٰ إِنِّي غَيْرُ عَاقِلٍ
فَإِنْ حَانَ مَوْتِي لَمْ أَدْعَكَ بَعْصَتِي وَأَقَرَّرْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَتُكَ قَاتِلِي

(جارية البارقي) ذكروا انها أنشدت في مجلس عمرو بن مسعدة :

يَا أَحْسَنَ الْعَالَمِ حَتَّى مَتَى يَرْتَفِعُ الْحُبُّ وَانْحَطُّ
وَكَيْفَ مَنجَايَ وَبَحْرُ الْهَوَىٰ مُذْ حَفَّ بِي لَيْسَ لَهُ سَطُّ

فأجبت :

يُذِرُكَ الْوَصْلُ فَتَنْجُو بِهِ أَوْ يَقَعُ الْبَحْرُ فَتَنْحَطُّ

(المغنية المليحة) قال علي بن الجهم : كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فأقبلت جارية كأنها البدر ليلة التهام بلون كأنه الدر في البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت ، فقال لي محمد : يا أبا الحسن هذه اللجنة التي كنتم توعدون . فقالت :

وَمَا الْوَعْدُ يَا سُؤْلِي وَغَايَةَ مُنْبِتِي فَإِنْ فُؤَادِي مِنْ مَقَالِكَ طَائِرُ

فقال لها محمد :

أَمَّا وَإِلَى الْعَرْشِ مَا قُلْتُ سَيِّئًا وَمَا كَانَ إِلَّا أَنِّي لَكَ شَاكِرُ

فقال ابن الجهم :

أَمْسِكْ فِدْيَتَكَ عَنْ عِتَابِ مُحَمَّدٍ فَهُوَ الْمَصُونُ لَوُدِّهِ الْمُتَحَاذِرُ

فأقبلت تحدثنا ، فإذا عقل كامل ، وجمال فاضل ، وحسن قاتل ، وردف
أائل فقلت : لقد أقر الله عيننا تراك فقالت : أقر الله أعينكم ، وزادكم
سرورا وغبطة ، ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع أحسن منها :

أَرْوَحُ بِهِمْ مِنْ هَوَاكَ مُبَرَّحٍ أَنَا جِي بِهِ قَلْبًا كَثِيرَ التَّفَكُّرِ
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ

فما زلنا يومنا ذلك معها في الفردوس الاعلى ، وما ذكرتها بعد ذلك
إلا اشتقت لها وأسفت عليها . محمد بن حماد قال : كنا يوما عند اسحاق
ابن نجيع وعنده جارية يقال لها : شادن موصوفة بجودة ضرب العود ، وشجو
صوت ، وحسن خلق ، وظرف مجلس ، وحلاوة وجه ، وأخذت العود وغنت :

ظِيٌّ تَكَامَلَ فِي نِهَآيَةِ حُسْنِهِ فَزَهَا بِبَهْجَتِهِ وَتَاهَ بِصَدِّهِ
فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ فِرْدَوْسِ جَبِينِهِ وَالْبَدْرُ يَغْرَقُ فِي شَقَائِقِ خَدِّهِ
مَلِكَ الْجَمَالِ بِأَنْسَرِهِ فَكَأَنَّمَا حُسْنُ الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا مِنْ عِنْدِهِ
يَا رَبِّ هَبْ لِي وَصْلَهُ وَبَقَاءَهُ أَبَدًا فَلَسْتُ بِعَائِشٍ مِنْ بَعْدِهِ

فطارت عقولنا ، وذهلت البائنا من حسن غنائها وظرفها فقلت :
يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك ؟ فقالت :

فَإِنْ مُجِتُّ نَالَتَنِي عُمُونَ كَثِيرَةٌ وَأَضْعَفُ عَنْ كِتْمَانِهِ حِينَ أَكْتُمُ

٣٠ - الأعرابيات

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق
كنت عديله فلما صرنا بقرسرين قطعت بنو سليم على التجار فأهوى ذلك

اليه ، فوجه قائدا من وجوه قواده اليهم فحاصروهم ، فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَا إِلَيْنَا سُمُو الْبَدْرِ مَالٌ بِهِ الْغَرِيفُ
فَإِنْ نَسَلِمَ فَعَفُوَ اللَّهُ نَرْجُو وَإِنْ نُقْتَلْ فَقَاتِلْنَا شَرِيفُ

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتاح ، قلت : العفو والصلة : فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مري الى قومك وقولي لهم : لا تردوا المال على التجار فاني اعوضهم عنه . الاصمعي قال : خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي احسن الناس وجها ، وأعدلهم قامة ، وافصحهم لسانا فحارفيها بصري واعترتني خجلة فقالت ، ما وقوفك ؟ فقلت :

هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ خَيْضِ الْيَوْمِ نَشْرُبُهُ
أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى تَقْبِيلِ عَيْنَيْكَ
فَلَسْتُ أَبْغِي سِوَى عَيْنَيْكَ مَنَزَلَةً

أَمْ هَلْ تَجُودِي لَنَا عَضًّا بِخَدِّكَ
أَوْ تَأْذَنِينَ بِرِيقِ مِنْكَ أَرْضُفُهُ
رُدِّي الْجَوَابَ عَلَى مَنْ زَادَهُ كَلْفًا تَكْرِيدُهُ الطَّرْفَ فِي أَجْدَالِ مَا قَيْكَ

فرفعت رأسها إلي وقالت : يا شيخ ألا تستحي ارجع الى أهلِكَ وارغب في مثلك . وقال بعضهم : رأيت أعرابية بالنجاح فقلت لها : أنتشدين ؟ قالت نعم في مثلك ورب الكعبة ، قلت : فأنشديني ، فأنشأت تقول :

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ كَانَ مُخْبِرُنِي أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا مَا شَاءَ يَنْصَرِفُ
وَجَدُ الْمُحِبَّ إِذَا مَا بَانَ صَاحِبُهُ وَجَدُ الصَّبِيَّ بِشَدَّيْ أُمِّهِ الْكَلِفُ

قال : قلت لها انشدني من قواك فقالت :

بَنَفْسِي مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَائِي وَطُولِ الدَّهْرِ مُؤْتَنَقٌ جَدِيدُ
وَمَنْ هُوَ فِي الصَّلَاةِ حَدِيثُ نَفْسِي وَعَدْلُ الرُّوحِ عِنْدِي بَلْ يَزِيدُ

فقلت لها : ان هذا كلام من قد عشق . فقالت : وهل يعرى من
من ذلك من له سمع وقلب ؟ ثم أنشدتني :

أَلَا أَبَايَ وَاللَّهِ مَنْ لَيْسَ نَافِعِي بِشَيْءٍ وَلَا قَلْبِي عَلَى الْوَجْدِ نَاكِرُهُ
وَمَنْ كَبِدِي تَهْفُو إِذَا ذَكَرَ اسْمُهُ بِشَيْءٍ وَمَنْ قَلْبِي عَلَى النَّأْيِ ذَاكِرُهُ
لَهُ خَفَقَانٌ يَرْفَعُ الْجَيْبَ بِالشَّجَى وَيَقْطَعُ أَزْرَارَ الْجُرْبَانِ ثَائِرُهُ

قال : وكتب عمر بن ابي ربيعة الى امرأة بالمدينة :

بَرَزَ الْبَدْرُ فِي جَوَارِ تَهَادَى مُخْطَفَاتِ الْخُصُورِ مُعْتَجِرَاتِ
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ لِبَكْرِ عَجَلْتُ فِي الْحَيَاةِ لِي حَيَاتِ
هَلْ سَبِيلٌ إِلَى الَّتِي لَا أَبَالِي بَعْدَهَا أَنْ أَمُوتَ قَبْلَ وَفَاتِ

فاجابته :

قَدْ أَنَا الرِّسُولُ بِالْأَنْبِيَا فِي كِتَابٍ قَدْ خُطَّ بِالتُّرَاهِ
حَائِرُ الطَّرْفِ إِنْ نَظَرْتُ وَمَاطَرُ فُكِّ عِنْدِي بِصَادِقِ النَّظَرَاتِ

عُرِّيَ غَيْرِي فَقَدْ عَرَفْتُ لَغَيْرِي عَهْدَكَ الْخَائِنَ الْقَلِيلَ الثَّباتِ

٣١ - محاسن المتكلمات

حدث عمر بن يزيد الاسدي قال : مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة
فقلت لها : هل حببت قط ؟ قالت : أما علمت أي منسك من مناسك
الحج ما منعك أن تسلم علي أما سمعت قول عمك ذي الرمة :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةِ اللَّثَامِ

فقلت لها : لقد أثر فيك الدهر ، قالت أما سمعت قول العجيف العقيلي
حيث يقول ؟ :

وَخَرْقَاءُ لَا تَرْدَادُ إِلَّا مَلَا حَةً وَلَوْ عُمِّرَتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ

قال : ورأيته وإن فيها لمباشرة ، وأن ديباجة وجهها لطرية كأنها فتاة ،
وأنها لتزيد يومئذ على المائة ، ولقد حدثت أنه شئب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين
سنة . وحدث رجل من بني أسد قال : أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل
أعور قال : ورأيته في نسوة من قومها فقلت : أهذه مي ؟ وأومات إليها ، فقلنا :
فقلت ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان
يصف ؟ فتنفست الصعداء وقالت : انه كان ينظر بعينين وأنت تنظر الي
بعين واحدة . وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال : قدمت
المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها : ما فعل
أبوك ؟ قالت : وفد الى بعض الاخوان ، قلت : فانحري لنا ناقة فانا
أضيافك ، قالت : يا عماء والذي خلقك ما عندنا شيء ، قلت : فباطل
ما قال أبوك ؟ قالت : فما قال قلت قال :

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَّاتُ مَنَحَرَهَا لِمُسْتَهْلٍ الشُّبُوبِ أَوْ جَمَلٍ

قالت : يا عمه فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شيء :
قال : وأتى زياد الأفطع باب الفرزدق وكان له صديقاً ، فخرجت اليه
ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأما حبشية ، فقال لها : ما اسمك ؟
قالت : مكية قال : ابنة من ؟ قالت : ابنة الفرزدق قال : فأملك
قال : حبشية فأمسك عنها فقالت : ما بال يدك مقطوعة ؟ قال : قطعها
الحرورية قالت بل قطعت في اللوصية قال : عليك وعلى أبيك لعنة الله ،
وجاء الفرزدق فأخبر بالخبر فقال : اشهد أنها بنتي ، وأنشأ يقول :

حَامٍ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا حَمِيٍّ بَدَارُمِيَّ بَنَتْهُ صَبِيَّهِ
صَمَحَمَحٍ مِثْلَ أَبِي مَكِيٍّ

وحدث سليمان ابن عباس السعدي قال : كان كثير يلقي حاج أهـل
المدينة بقديد على ست مراحل ، ففعل عاماً من الاعوام غير يومهم الذي
نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملاً في يوم صائف ووافى قديداً
وقد كل بعيره وتعب ، فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتى من قریش فقال
الفتى لكثير : اجلس قال : فيجلس كثير الى جنبي ولم يسلم علي ،
فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت
كثيراً فقالت : أنت كثير ؟ قال : نعم ، قالت : أنت ابن أبي جمعة ؟
قال نعم قالت : أنت الذي تقول :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلَانِ جَلَسِي وَأَضْمَرَنْ مَنِي هَيْبَةً لَا تَجْهَشُ

قال : نعم ، قالت : فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذباً فعليك
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال : فضجر كثير وقال : ومن
أنت ؟ فسكنت ولم تجبه بشيء ، فسأل الموالي التي في الخيام عنها فلم

يخبرنه ، فضجر واختلط عقله ، فلما سكن قالت : أنت الذي تقول :

مَتَى تَنْشُرَا عَنِّي الْعِمَامَةَ تُبْصِرَا جَمِيلَ الْحَيَاةِ أَغْفَلْتُهُ الدَّوَاهِنُ

أهذا الوجه جميل ؟ ان كان كاذباً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت ، فلما ، سكن قلت له : أنت الذي تقول :

يُرْوَقُ الْعَيُونُ النَّظَرَاتِ كَمَا نَهْ هِرَقْلِي وَزَنِ أَحْمَرُ التَّبْرِ رَاجِحُ

أهذا الوجه الذي يروق النظرات ؟ ان كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال : فازداد ضجراً واختلط وقال : لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ، ثم قام فاتبعت طريقي حتى تواري عني ، ثم نظرت الى المرأة فاذا هي قد غابت عني فقلت : لمولاة من بنات قديد لك الله على أن أخبرني من هذه المرأة أن أطوي لك ثوبي هذين اذا قضيت حاجي ثم أعطيكهما فقالت : والله لو أعطيتني زنتها ذهباً ما أخبرتك من هي ؟ هذا كثير مولاي لم أخبره ، قال القرشي : فرحت وبني أسد بما بكثير . قيل : وقدم كثير الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فقال : دلوني على منزل قطام ، قيل له : وما تريد منها ؟ قال : أريد أن أوجهها في قتل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقيل له : عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء ، قال : لا والله لا أنتهي حتى انظر اليها وأكلمها ، فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له ، فرأى امرأة برزة قد تحددت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت : من الرجل ؟ قال : كثير بن الرحمن ، قالت : التيمي الخزاعي ؟ قال : التيمي الخزاعي ، ثم قال لها : أنت قطام ؟ قالت : نعم ، قال : أنت صاحبة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قالت : بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم ، قال : أليس هو قتل علياً ؟ قالت : بل مات

بأجله ، قال : والله اني كنت احب أن أراك فلما رأيته نبت عيني عنك ،
وما ومقك قلبي ، ولا احلوليت في صدري قالت : انت والله قصير القامة
صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل : لأن تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه ، فأنشأ كثير يقول :

رَأَتْ رَجُلًا أَوْ دَى السَّفَارِ بِجِسْمِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْطِقٌ وَجَنَاحُ

قالت لله درك ما عرفت إلا بعزة تقصيراً بك ، قال : والله لقد
سار لها شعري ، وطار بها ذكرى ، وقرب من الخلفاء مجلسي ، وإني
لكما قلت فيها :

وَإِنْ خَفِيتْ كَانَتْ أَعْيُنُكَ قُرَّةً وَإِنْ تَبَدُّيَوْمًا لَمْ يَمُكَّ عَارُهَا
مَنْ أَخْفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرِ شَقْوَةً وَفِي الْحَسَبِ الْحُضَّ الرَّفِيعِ نَجَارُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا
بَاطِبٌ مَنْ فِيهَا إِذَا جُنَّتْ طَارِقًا

وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ نَارُهَا

قالت : والله ما سمعت شعراً أضعف من شعرك هذا ، والله لو فعل
هذا بزنحية طاب ريحها ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جُنْتُ طَارِقًا وَجَدْتُهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ

قال فله در بلادك وخرج وهو يقول :

أَلْحَقْ أَتْلُجْ لَا تَزِيغْ سَبِيلَهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

قال : وقال المسيب رواية كثير : انطلق كثير مرة فقال لي : هل

لك في عكرمة بن عبد الرحمن بن هشام ؟ وهو يومئذ علي حنظلة بن عمرو ابن تميم ، فقلت : نعم قال : فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت : أتروي لكثير شيئاً ؟ قلت : نعم قالت أنشدني ، فأنشدتها من شعره : فقالت : أين هو ؟ قلت هو ذاك الذي تزين على غير الطريق فقالت بعد ان دنت منه : قاتل الله زوج عزة حيث يقول :

لَعَمْرُكَ مَا رَبُّ الرَّبَابِ كَثِيرٌ يَفْجَلِ وَلَا أَبَاؤُهُ بِفَحُولِ

فغضب كثير وسار وتركها ، ثم نزل منزلاً فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير ان يأتيها فقلت : ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى أتاها قال : فسفرت عن وجهها ، فاذا هي اجمل الناس واكملهم ظرفاً وعقلاً ، واذا هي غاضرة ام ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بوزالة فهالت بنا الطريق فقالت له : هل لك أن تأتي الكوفة فأضمن لك على بشر الصلة والجائزة ؟ فأبى وامرت له بخمسة آلاف درهم ولي بالفين فلما اخذنا الخمسة الآلاف قال : ما اصنع بعكرمة ، وقد اصب ما تري فذلك قوله حيث يقول :

شَجَا أَظْعَانُ غَاضِرَةَ الْغَوَادِي بِغَيْرِ مَشُورَةٍ عِوَضًا فُؤَادِي
أَغَاضِرَ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ بَنْتِمْ حُنُوءَ الْعَائِدَاتِ عَلَى وِسَادِي
رَثَيْتِ لِعَاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ جَوَانِحُهُ قَلْدَعُ بِالزَّنَادِ

— الشكيمة — العطيه و — الزناد — جمع زند وهو عود يقدر منه النار ، قال الحكم بن صخر الثقفي : حبجت فرايت بأقرة امرأتين لم أر كجهلها وظرفها وثياهما ، فلما حبجت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسألت سؤال منكر فقلت : فلانة ؟ قالت : فذاك

أبي وأمي رأيتك عاماً أول شابا سوقة والعام شيخا ملكا وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها ، فقلت : ما فعلت أخذك ؟ فتنفست الصعداء وقالت : قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول :

إِذَا مَا قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْقَفُولُ إِلَى نَجْدٍ

فقلت : أما اني لو أدركتها لتزوجتها ، قالت : فذاك أبي وأمي ، فما يمنعك من شريكها في حسنها ، وشقيقها في حسنها ، قلت : قول كثير :

إِذَا وَصَلَتْنَا خُذَّةً كَيُّ تُزِيلُنَا أَيْبُنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ

قالت : وكثير بيني وبينك أليس هو الذي يقول :

هَلْ وَصَلُ عَزَّةً إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةٍ فِي وَصَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصَلِهَا خَافُ

قال : فتركت جوابها ولم يمنعني منه الا العي .

٣٢ — محاسن النساء

قيل : أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة . وقالت العرب : المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن ، صبيحة عرسها ، وأيام نفاسها ، وفي البطن الثاني من حملها . وقيل لاعرابي أحسن صفة النساء ؟ قال : نعم اذا عذب ثنابها ، وسهل خذاها ، ونهد ثديها ، وفعم ساعداها ، والنف فخذاها ، وعرض وركلاها ، وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها . ووصف أعرابي امرأة فقال : كان وجهها السقم لمن رآها ، والبرء لمن ناجاها ، وذكر أعرابي امرأة فقال : أرسل الحسن الى خديها صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ، ولقد

تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها . وذكر أعرابي امرأة فقال :
هي شمس تباهي بها شمس سمائها ، وليس لي شفيع إليها غيرها في اقتضاها ،
ولكني كتموم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر أعرابي امرأة فقال :
ما أحسن من حبها ناعسا ولا أنظر إليها الا اختلاسا ، وكل أمرى منها
يرى ما أحب . وذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من أولو رطب مع
رائحة المسك الاذفر في كل عضو منها شمس طالعة (ومما جاء في الحسن
من الشعر) قال عبدالله بن المعتز : أنشدني أبو سهل أسعيل بن علي لأبي
الصواعق :

ومريض طرفٍ ليسَ يَطرِفُ طرفَهُ
نحوَ المَدَى إِلَّا رَمَاهُ بِحَتْفِهِ
ظَنِي لَهُ نَظْرٌ ضَعِيفٌ كَلَمَّا
قَصَدَ الْقَوِيَّ أُنَى عَيْنِهِ بِضَعْفِهِ
قَدِ قُلْتُ لَمَّا مَرَّ بِخَطَرٍ مَائِسًا
وَالرَّدْفُ يُجْذِبُ خَضْرُهُ مِنْ خَلْفِهِ
يَا مَنْ يُسَلِّمُ خَضْرُهُ مِنْ رَدْفِهِ
سَلِّمُ فُؤَادَ مُحِبِّهِ مِنْ طَرَفِهِ

فقلت في هذا المعنى وعلى هذا الوزن :

وَحَيَاةٍ مِنْ جَرَحِ الْفُؤَادِ بِطَرَفِهِ
قَمَرٌ بِهِ قَمَرُ السَّمَاءِ مُتَمِيمٌ
إِنِّي عَجَبْتُ لَخَضْرِهِ مِنْ ضَعْفِهِ
هَذَا وَمَا أَذْرِي بِأَيَّةِ فِتْنَةٍ
أَمْ بِالذَّلَالِ أَمْ بِالْجَهَالِ أَمْ الضَّيَا
لَا حَبْرَنَّ قِصَائِدِي فِي وَصْفِهِ
كَالْعُصْنِ يَعْجَبُ نِصْفُهُ مِنْ نِصْفِهِ
مَاذَا تَحْمَلُ مِنْ ثِقَالَةٍ رَدْفِهِ
جَرَحَ الْفُؤَادِ بِطَرَفِهِ أَمْ طَرَفِهِ
مِنْ وَجْهِهِ أَمْ بِالْقَفَا مِنْ خَلْفِهِ

وأنشد أبو الحسين بن فهم لأبي نواس :

كَفَاكَ مَا مَرَّ عَلَى رَاسِي	مِنْ شَادِنٍ قَطَعَ أَنْفَاسِي
أَكْثَرَ مَا أَبْلُغُ فِي وَصْفِهِ	تَحْيِيرِي مِنْ قَلْبِهِ الْقَاسِي
أَغَارُ أَنْ أَنْتَ مِنْهُ الَّذِي	يَنْعَتُهُ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ
وَلَمْ أَرِ الْعُشَّاقَ قَبْلِي رَأَوَا	بَوَاصِفٍ مِنْ يَهُوُونَ مِنْ بَاسِ
كُلُّ أَحَادِيثِي نَعَتْ لَهُ	مُنْكَشِفٌ مِنِّْي جَلَّاسِي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن :

لَوْ عُسِّرُ مَا مَرَّ عَلَى رَاسِي	مَرَّ بِصَلْدٍ حَجَرٍ قَاسِي
لَانْصَدَعَتْ فِيهِ صُدُوعٌ كَمَا	صَدَّعَ قَلْبِي طَوْلُ وَسْوَاسِي
يَا غُصْنَ آسٍ وَمُحَالٍّ إِذَا	قَصَّصْتُ تَشْبِيهَكَ بِالْآسِ
مَاذَا عَلَى طَرَفِكَ لَوْ أَنَّهُ	أَعَارَ لَحْظًا مِنْهُ قِرْطَاسِي
لَيْتَكَ عَلَّتْ بِمَظِلٍّ وَلَمْ	تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ بِالْيَاسِ

وقال آخر :

وَزَائِرَةٌ يَحْتَشِبُهَا الشَّوْقُ طَارِقَهُ أَتَتْنَامِينَ الْفَرْدَوْسِ لَا شَكَّ آتِقَهُ
 إِذَا مَا نَنَنْتُ قَالَ لِلرَّيْحِ قَدْ هَا كَذَا حَرَّ كِي الْأَغْصَانِ إِنْ كُنْتَ صَادِقَهُ

وقال آخر :

قد أقبلَ البدرُ في قراطقه يسلبُ بالدلِّ قلبَ عاشقه
يسطو عليه بسيفِ مقلته لا بالذي شدَّ في مناطقه

وقال آخر :

قلْ للملاحِ الخدق وللحسانِ الخلق
هل في فؤادي للقوى أو جسدي شيءٌ بقي
إن لم تُروُوا عطشي بخلاً فبلُّوا رمقي
يا مُقلّةً أجفائها محشوّّةً بالأرق
بقيت في رقِّ الهوى شقيّةً فيمن شقي

وقال آخر :

يا ملاحَ الدلالِ والاعتجاجِ ما أرى القلبَ من هواك ناجي
أنتَ زرفنتَ فوقَ خديكِ صدغاً

من عبيرٍ على صفائحِ عاجِ
أشرقتَ وجنتاكِ بالنورِ حتّى
أغنتما الخلقَ عن ضياءِ السراجِ
فعلتَ مقلتكِ بالقلبِ مني
فعلةَ القرّ مطيُّ بالحجاجِ
يا هلالاً أنستَ منه بضوءِ
جُنتِكِ ليلٍ من الظلامِ الدّاجي

وقال آخر :

نَشَرْتُ غَدَائِرَ فَرَعِهَا لِتُظَلِّلَنِي حَذَرَ الْعُيُونِ مِنَ الْعُيُونِ الرَّمَقِ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّني صُبْحَانِ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

وقال آخر :

يَا غَزَالًا وَهَلَالًا وَقَضِييَا وَكَنِيَا
كَمْ وَكَمْ أَضِيرُ وَجَدًا بِكَ مَكْتُومًا عَجِيَا
كَيْفَ يُرْجَى بُرْهُ مَنْ قَدْ كَثَمَ الدَّاءَ الطَّيِّبَا

وقال آخر :

شَمْسٌ مُمَثَّلَةٌ فِي خَلْقٍ جَارِيَةٍ كَأَنَّمَا بَطْنُهَا طَيُّ الطَّوَامِيرِ
فَالْجِسْمُ مِنْ جَوْهَرٍ وَالشَّعْرُ مِنْ سَبَبِجٍ
وَالنَّعْرُ مِنْ لَوْلُوٍّ وَالْوَجْهُ مِنْ عَاجٍ

وقال آخر :

تَتَبَّعُ دَلَالٍ حَارٍ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ فَفَكَّرَتْهُ قَبْرٌ وَمَنْطِقُهُ لُطْفُ
بَدِيعُ جَمَالٍ زَانَهُ الْعَقْلُ وَالظَّرْفُ سَمَاوِيٌّ لَوْنٌ لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفُ
لَهُ رَيْقَةٌ عُلَّتْ بِمَاءِ قَرْنَفِلٍ يُمَازِجُهَا التَّفَاحُ وَالْخَمْرَةُ الصَّرْفُ
تَجَسَّمُ فِي جِسْمٍ مِنَ النُّورِ سَاطِعٍ تَمَكَّنَ فِي دِعْصٍ يَنْوُهِ بِهِ رِدْفُ

عَلَى صَخْنٍ خَدَّيْهِ بَهَارٌ مُنَوَّرٌ وَوَرْدٌ جَنِيٌّ لَا يَلِيقُ بِهِ الْقَطْفُ
تَكَامَلَ فِيهِ الْحُسْنُ وَالنُّورُ وَالبَهَا

كَبَدَرِ الدُّجَى إِذْ تَمَّ مِنْ شَهْرِ النِّصْفِ
بَرَاهُ إِلَهِي لِي عَذَابًا وَفِتْنَةً فَا عِنْدَهُ عَدْلٌ وَلَا عِنْدَهُ عَطْفٌ

وقال آخر :

لَكَ مِنْ قَلْبِي الْمَكَانُ الْمَصُونُ كُلُّ لَوْمٍ عَلَيَّ فَيْكَ يَهُونُ
قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ أَكُونَ شَقِيًّا بِكَ وَالصَّبْرُ عَنْكَ مَا لَا يَكُونُ
يَا غَزَالًا بِلَحْظِهِ يَفْتِنُ النَّاسَ سَ وَفِي طَرَفِهِ الرَّدَى وَالْمَنُونُ
لَكَ صَبْرٌ وَلَيْسَ لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَنَا الْيَوْمَ هَائِمٌ مُحْزُونُ
قَدْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ فَيْكَ حَبِيبِي مَا أَبَالِي بِمَا رَمَتْنِي الظُّنُونُ

وقال آخر :

يَا نَظْرَةً جَاءَتْ عَلَى يَاسٍ مِنْ سَاحِرِ الْمُقْلَةِ مَيَّاسٍ
أَطْرَافُهُ تُعْقَدُ مِنْ لَيْنِهَا وَقَلْبُهُ كَالْحَجَرِ الْقَاسِي
يَلُومُنِي النَّاسُ عَلَى حُبِّهِ أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى النَّاسِ

وقال آخر :

يَا وَنِجَ جِسْمٍ يَذُوبُ مِنْ قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ مَنْ لَمْ أَقِفْ عَلَى خُلُقِهِ
مِنْ حُبِّ ظَنِّي مُهَفِّفٍ لَبِيقٍ يَهْتَزُّ مِثْلَ الْقَضِيبِ فِي وَرَقِهِ

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَنْ تَرَى أَبَدًا أَحْسَنَ مِنْ نَحْرِهِ وَمِنْ عُنُقِهِ
كَأَنَّمَا الْمِسْكُ حِينَ تَسْحَقُهُ بِمَاءٍ وَرَدٍ يَفُوحُ مِنْ عَرَقِهِ
أَوْ خَمْرَةٍ فِي الزُّجَاجِ صَاقِيَةٌ شِيِبَتْ بِمَاءِ السَّحَابِ فِي نَسَقِهِ
وقال آخر :

أَرْبَعَةٌ قَرَحَتْ فَوَادِي فَطَالَ وَجْدِي وَعِيلَ صَبْرِي
مُقْلَةٌ خَشَفَ وَقَدْ غُصِنَ وَطِيبُ وَرْدٍ وَحُسْنُ بَدْرِي
نَفْسِي وَمَالِي فِدَاهُ ظَلِي أَذَابَ جِسْمِي وَلَيْسَ يَذْرِي
فَمَنْ لَصَبِّ أَسِيرِ شَوْقِي قَتِيلُ صَبِّ بَسِيفِ هَجْرِي
وقال آخر :

وَمَارِيحُ رِيحَانٍ بِمِسْكِ وَعَنْبَرٍ يُعَلُّ بِكَافُورٍ وَدُھْنَةِ بَانٍ
بِأَطِيبٍ مِنْ رِيَا حَبِيبِي لَوْ أَنَّني وَجَدْتُ حَبِيبِي خَالِيًا بِمَكَانٍ

٣٣ - محاسن التزويج !

روي أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله
اني أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقني زوجة سالمة ، فقال : (لو دعا
جبريل وميكائيل وأنا معها ما تزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه
ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة) . وقال صلى
الله عليه وسلم (عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما) . وقال
عمر رضي الله عنه : عليكم بالابكار واستعينوا بالله من شرار النساء وكونوا

من خيارهن على حذر قال الشاعر :

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزًا إِنْ دُعِيتَ لَهَا وَإِنْ حُبِيتَ عَلَى تَرْوِيجِهَا الذَّهْبَا
فَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ فَإِنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا
وقال آخر :

عَلَيْكَ إِذَا مَا كُنْتَ لَا مُبَدَّ نَاكِحًا ذَوَاتِ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ
وَكُلَّ هَضِيمِ الْكَشْحِ خَفَاقَةَ الْحَشَا قَطُوفَ أَخْطَا بِلَهَاءِ وَافِرَةِ الْعَقْلِ

وقال الحارث بن كلدة : لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتى ، ولا من الفاكهة إلا النضيج . وقال مغيرة بن شعبه : حصنت تسعاً وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنني أحفظها لمنصبها وولدها ، فكنت أسترضيهن بالبلاء شاباً ، فلما أن شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية . وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها ، وغيرها على قدر لذتها ، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (إنما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن) . وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى صداقها . وقال الحجاج بن يوسف : من تزوج قصيرة فلم يجد لها على ما يريد فعلى صداقها . وروي عن علي صلوات الله عليه أن رجلاً أتاه فقال : اني تزوجت امرأة مجنونة ، فقالت المرأة : يا امير المؤمنين انه يأخذني عند الجماع غشية ، فقال للرجل : ما أنت لها بأهل . وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إياكم وخضراء الدمن) وهي المرأة الحسناء في المنبت (السوء -) ، وقال بعضهم : لا تتزوجن حنانة ولا ائانة ولا منانة ولا عشة الدار ولا كية القفا - فأما الحنانة - فالتى قد تزوجها رجل من قبل فهي تحن اليه - والائانة - التى تئن من غير علة - والمنانة - التى لها مال تمتن - وعشة الدار - الحسناء فى أصل السوء - وكية القفا - التى اذا قام

زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا . وقال محمد بن علي رضي الله عنهما : اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت ، وتطيعني اذا أمرت ، وتحفظني إذا غبت . وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر اليها وإن كانت لا تعلم ، وقال بعض الشعراء في تزويج الشبه :

إِذَا أَرَدْتَ مُحَرَّةً تَبْغِيهَا كَرِيمَةً فَانْظُرْ إِلَى أَخِيهَا

يُنْبِيكَ عَنْهَا وَإِلَى أَبِيهَا فَإِنَّ أَشْبَاهَ أَبِيهَا فِيهَا

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادًا لِنَفْسِكَ أَيَّمَا لِنَجْلِكَ فَانْظُرْ مَنْ أَبُوهَا وَخَالُهَا

فَإِنَّهَا مِنْهَا كَمَا هِيَ مِنْهُمَا كَمَا النَّعْلُ إِنْ قِيسَتْ بِنَعْلٍ مِنْهَا

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ عَنْ عَيْنِ الصَّبِيَّةِ بَاحِنًا فَأَبْصِرْ تَرَى عَيْنَ الصَّبِيِّ فَذَلِكَ

قال خالد بن صفوان لدلال : أطلب لي امرأة بكرة أو كبر حسانا عند جارها ماجة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر ، لا ضرة صغيرة ، ولا عجوزاً كبيرة ، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة ، لها عقل وافر ، وخلق طاهر ، وجمال ظاهر ، صلة الجبين ، سهلة العينين ، سوداء المقلتين ، خدجة الساقين ، لقاء الفخين ، نبيلة المقعد ، كريمة المختد ، رخيصة المنطق ، لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ، ويجهأ أرج ، ووجهها بهج ، لينة الاطراف ، ثقيلة الارداق ، لونها كالرق ، وثديها كالخق ، أعلاها عسيب ، وأسفلها كتيب ، لها بطن مخطف ، وخصر مرهف ، وجيد ألتع ، ولب مشبع ، تتثنى ثنني الخيزران ، وقيل ميل السكران ، حسنة المآق ، في حسن البراق ،

لا الطول أزرى بها ولا القصر قال الدلال : استفتح ابواب الجنان ، فانك سوف تراها .
وقال أيضاً : لا تتزوج واحدة فتحيض اذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود
اذا عادت وتقرض اذا مرضت ، ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين ،
ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين اثني ، ولا تتزوج اربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك ،
فقال له رجل : حرمت ما احل الله ، فقال : طمران وكوزان ورغيفان وعبادة
الرحمن . وعن صالح بن حسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء
وهي التي علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والغريلة والرهز ،
وكانت لها سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن في المدينة
اهل بيت إلا وتأخذ صبيانهم وتقصهم نديها أو ثدي إحدى بناتها فكان
أهل المدينة يسمونها حواء . ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في
مجلس في سقيفتها الا واصل اليها في السنة ثلاثين وسقيا وأكثر
من طعام وتقر مع الدنانير والدرهم والخدم والكساء ، فجاءها
ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن
ابن ابي بكر فقالوا لها : يا خالة قد خطبنا نساء من قريش ولنا نتفع
الا بنظر اليهن فارشدنا بفضل علمك فيهن ، فقالت لمصعب : يا بن ابي
عبدالله ومن خطبت ؟ قال : عائشة بنت طلحة ؛ قالت : فأنت يا بن الصديق
قال : أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة ، قالت : فأنت يا بن أبي أحمحة
قال : زينب بنت عمرو بن عثمان . فقالت : يا جارية علي بمقلي - تعني
خفيها - فأنتها بها فخرجت ومعها خادم لها فأنت عائشة بنت طلحة فقالت :
مرحبا بك يا خالة فقالت : يا بني انا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة
لها جمال الا ذكرت وذكر جمالك ، فلم أدركيف أصفك فجبردي لانظرك
فألفت درعها ثم مشيت فارتج كل شيء منها ، ثم أقبلت على مثل ذلك
فقالت : فذاك أبي وأمي خذي ثوبيك وأنتهن جميعاً على مثل ذلك ، ثم رجعت

الى السقيفة فقالت : يا بن ابي عبد الله ما رأيت مثل بنت طلحة عائشة
قط بمثلثة الترائب زجاء العينين هدبة الأشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيذة
لفاء الفخذين مسرولة الساقين ، واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا انني
رايت خلتين هما اعيب ما رايت فيها : اما احدهما فيواربها الخف وهي
عظم القدم ، والأخرى يواربها الحمار وهي عظم الاذن ، واما انت يا بن
احمجة فما رايت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط الا ان في الوجه ردة
ولكنني مشيرة عليك بأمر تستأنس اليه وهي ملاحاة تعقر بها واما انت يا بن
الصديق فوالله ما رايت مثل ام القاسم ما شبهتها إلا بخوط بانة تتشنى او خشف
يتقلب على رمل ولم أرها إلا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم
تحسن لا والله الا من يملأ المنكبين فتزوجوهن . وقال أعرابي في أخت
له تزوجت بغير كفؤ :

وَلَوْ رَكِبْتَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَقْبَحَ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا أَسْتَحَلَّتْ

قال : وكان بالمدينة رجل قد اعطي جودة الرأي ولم يكن فيها من يريد
إبرام امر الا شاوره ، فأراد رجل من قريش ان يتزوج فأتاه فقال : انا
اريد ان اضم الي اهلا فأشر علي ، قال : افعل نحصن دينك وتضمن مؤونتك
وإياك والجمال البارع قال : ولم نهيتني وانها هو نهاية ما يطلب الناس ؟
قال : لانه مافاق الجمال الا لحقه قول اما سمعت قول الشاعر ؟ :

وَلَنْ تُصَادِفَ مَرَعَى مَوْثِقًا أَبَدًا إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَا كُولِ

قيل : وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها
نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه ؟ قالت : وما فيه من الخير ؟
قلن : وهل لذة العيش الا في التزويج ؟ قالت فلتصف كل واحدة منكن
ما عندها فيه من الخير حتى اسمع ؟ فقالت احدها من : زوجي عوني في الشدائد
وهو عاندي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف قالت :

نعم الشيء هذا ، قالت الاخرى : زوجي لما عناني كاف ولما اسقمني شاف عرقه المسبك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد ، قالت : هذا خير منه ، قالت الاخرى : زوجي الشمار حين ابرد وانيسي حين افرد ، فتزوجت فقلن لها : يا فلانة كيف رأيت ؟ قالت : انعم النعيم وسرورا لا يوصف ولذة ليس منها خلف .

٣٤ - أمثال في التزويج

قيل : ان اول من قال لاهنك انقيت ولا ماءك ابقيت : الضب بن اروي الكلاعي ، وذلك انه خرج من ارضه فلما سار اياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتحلف عن اصحابه وبقي فردا يعسف فيها ثلاثة ايام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم ، فنزل عليهم وحدثهم وكان جملا وان امرأة من افاضل اولئك هويته ، فأرسلت اليه ان اخطبني فخطبها ، وكانوا لا يزوجون الا شاعرا او رجلا يزجر الطير او يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجه ، فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم مالبث ، ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فتطيروا بضب وأخرجوه وامراته وهي طامت فانطلقا ، واحتمل بضب شيئا من ماء ومشيا يوماً وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابها عطش شديد فقالت له : ادفع الي السقاء حتى اغتسل به فانا ننتهي الى الماء ونستقي فاعتسلت بها في السقاء ولم يقع منها موقعا ، وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال بضب : لاهنك انقيت ولا ماءك ابقيت ، فذهبت مثلاً ثم استظلا تحت شجرة كبيرة فأنشأ بضب يقول :

تَاللَّهِ مَا ظِلَّةٌ أَصَابَ بِهَا سَوَادَ قَلْبِي قَارِعُ الْعَطْبِ
قَلَّ كَيْبَ الْفَوَادِ مُضْطَرِبًا وَتَكَتْسِي مِنْ غَدَائِرِ قُلُبِ

أَنْ يَعْرِفَ الْمَاءَ تَحْتَ صُمِّ صَفَا أَوْ يُخْبِرَ النَّاسَ مَنْطِقَ الْخُطْبِ
أَخْرَجَنِي قَوْمُهَا بِأَنْ رَحَا دَارَتْ بِشُؤْمٍ لَهُمْ عَلَى قُطْبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت : قم فارجع الى قومي فانك شاعر
فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم صب :
اسمعوا شعري ثم ان بدا لكم ان تقتلوني بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم
عزيزاً . وقيل ان اول من قال :

* في الصيف ضيغت اللبن * فتول بنت عبد وكانت تحت رجل من
قومها فظلمتها وأنها رغبت في أن يراجعها فأبى عليها ، فلما يئست خطبها
رجل يقال له : عامر بن شاذب فتزوجها فلما بني بها بدا للزوج الأول
مراجعتها وهوى بها هوى شديداً فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت
به فقالت :

أَتَرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا عُلِّقْتُ أَيْضَ كَالشَّطْنِ
أَنْشَأَتْ تَطْلُبُ وَصَلْنَا فِي الصَّيْفِ ضَيَّغَتِ اللَّبْنِ

فذهبت مثلاً ، فقال لها زوجها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء ؟
قالت : نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فصلته تزوجتك فوضي
بذلك ، ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت : أما اذا ضننت بمالك
فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم افعد
كانك لا تشعر به وفل :

لَحَا اللَّهُ بِنْتَ الْعَبْدِ إِنْ وَصَّاهَا وَصَالٌ مَلُولٌ لَا تَدُومُ عَلَى بَعْلِ
تَحَدُّثِي أَنْ سَوْفَ تَقْتُلُ عَامِراً لِأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَالِهِ عَامِرٌ مِثْلِي
فِيهِ هَاتِ تَزْوِيجُ الَّتِي تَقْتُلُ الْفَتَى إِذَا مَا أَبَتْ يَوْمَآ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَجْلِي

فَتَقَتُّنِي يَوْمًا إِذَا هَوَيْتَ فَتًى سِوَايَ وَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْ وَصْلِهَا مُجَلِي

فانطلق الأشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله ، وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الأشق . وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة ، وكان فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماماً وأشرفت فرآها شاب يقال له عروة ، فوقع في قلبه فجعل يطالها ولا يقدر على أكثر من ذلك ، فاشتد وجده بها ، فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحلي فقال : يا ابنة الكرام هل لك في يد تتخذين بها عندي شكراً ؟ قالت : ما أحوجني الى ذلك ، قال : تنطلقين الى خيمة فلانة كأنك تقبسين ناراً فاذا أنت جلست فقولي حيث تسمع زينب :

أَلَا هَلْ لَنَا قَبْلَ التَّفَرُّقِ لَيْلَةٌ وَيَوْمٌ فَتَقْضِي كُلَّ نَفْسٍ مِنْهَا

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك ، فلما سمعت زينب قولها وكانت تقي رأس زوجها وكان عنده أخ له . فقالت بحمية لها :

لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَ الْمَقَامَةُ هَاهُنَا لَوْ أَنَّ لِحَبِّ حَاجَةً لَقَضَاهَا

فسمع آخر الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال :

أَلَا يَعْلَمُ الزَّوْجُ الْمُفْلَى بِأَنَّهَا رِسَالَةٌ مَشْغُوفِ الْفُؤَادِ رَجَاهَا

فانقبه الزوج لأمرهم وعرف ما أرادت فقال :

لَحَى اللَّهُ مَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِوَدِّهِ وَمَنْ يَمْنَحُ النَّفْسَ الطَّرُوبَ هَوَاهَا

انطلق يازينب فأت طالق ، فخرجت من عنده وبعثت الى عروة

فأعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته .

٣٥ - في الناشرة

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً ، فطلقها وتزوج بطلقه رجل من بني تغلب ، وكانت بالتغلب معجبة فبينما هي ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الاخطل ما بها فذكر امرأته الاولى وأنشأ يقول :

كَلَانَا عَلَى وَجْدٍ يَبِيتُ كَأَنَّمَا بِجَنَبِيهِ مِنْ مَسِّ الْفِرَاشِ قُرُوحُ
عَلَى زَوْجِهَا الْمَاضِي تَنُوحُ وَزَوْجُهَا عَلَى الطَّلَّةِ الْأُولَى كَذَاكَ يُنُوحُ

قيل : وخاصت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه ، فقال الزوج : أصلح الله الأمير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها وبذا لسانها وساء خلقها ، والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله ، قال : صدقت وحكم له بها ، وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلق فقال : ما بال هذه المرأة تشكوك ؟ قال : أصلح الله الأمير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري ؟ قالت من طعامك أفتمن علي بطعام أطعمتني والكلاب تأكل ؟ قال : سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري ؟ قالت : من مالك أفتمن علي بثوب كسوتيه ، قال : وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري ؟ قالت منك ووددت أنه في بطني من كلب ، قال الرجل : أصلح الله الأمير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسي وتنكح ، قال : صدقت فخذ بيدها . قال : خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة

يقال لها هند من أجل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية
اسمها جمانة ، وكان له فرس يسميه الورد ف وقعت الجارية منه موقعاً
فأنشأ يقول :

ألا أباي اليوم ما فعلت هندُ إذا بقيت عندي الجمانة والوردُ
شديدُ مناطِ القصرين إذا جرى ويضاء مثل الرُّثم زينها العقدُ
فهذا لأيام الهياج وهذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجندُ
فبلغ ذلك هنداً فكتبت إليه :

ألا أقره مني السلام وقل له عني غطافة مُردٍ
فهذا أمير المؤمنين أميرهم سبانا وأغناكم أراذلة الجندِ
إذا شاء منهم ناشئ مدَّ كفه إلى كبدٍ ملساء أو كفلٍ نهْدِ

فلما قرأ كتابها أتى به الى فتية فأعطاه إياه فقال له : أبعدك الله
هكذا يفعل بالحرّة وأذن له في الانصراف . قال وسع عمر بن الخطاب
امراً تنشد وتقول :

فمنهن من تُسقى بعذبٍ مُبرّدٍ تُقاخٍ فتلكم عند ذلك قرّت
ومنهن من تُسقى بأخضر آجنٍ أجاجٍ فلولا خشيةُ الله فرّت

فأمر باحضر زوجها فوجده متغير القم فخيرته جارية من المغنم او
خمسائة درهم على طلاقها فاخترت الخمسائة فدفعته اليه وخلق سبيلها . وحكي
عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه الفرج الرنجهي ، وكان الفضل
صبيحاً ظريفاً والفرج دميماً قبيحاً ، فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض
طراف مكة وقعدا يتغديان ، فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليها

امرأة جميلة بهيمة حسنة شكلية وعليها برقع فرفعته عن وجهها فاذا وجهه كالدينار وذراع كالجمار ، فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معها قال الفضل : فأعجبني ما رأيت من جمالها وهبتها فقلت : هل لك من بعل ؟ قالت : لا ، قلت : فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخلق والخلق ؟ قالت : وأين هو ؟ فأشار الى فرج فقالت : جوابك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل : تقرأ شيئاً من كتاب الله ؟ قال : نعم ، قالت : أفتؤمن به ؟ قال : نعم ، قالت : فان الله يقول « ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً » فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها ، فلما نظر اليها أعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعراية جميلة قال : فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ؟ فقالت من غير توقف :

يَكِي الْحَسْبُ الزَّكِي بَعِيْنٍ غَزِيْرَةٍ مِنْ الْحَسْبِ الْمُنْقُوصُ أَنْ يُجْتَمَعَ مَعَا

وانصرفت . قال العتيبي : كنت كثير التزوج فدرت بامرأة فأعجبني فأرسلت اليها ألك زوج ؟ قالت : لا ، فصرت اليها فوصفت لها نفسي وعرفتني موضعي فقالت : حسبك قد عرفناك ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : نعم ولكن ها هنا شيء تحمله ، قلت : وما هو ؟ قالت : بياض في مفرق رأسي ، قال : فانصرفت فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فأسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت : انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا وأنشدت :

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي بِمَوْضِعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ

وعن عطاء بن مصعب قال : جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين لا أنا ولا زوجي ، فقال لها : وما لك من زوجك ؟ قالت : مر باحضاره فأحضر ، فاذا رجل قدر الثياب قد

طال شعر جسده وأنفه ورأسه ، فأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل ذلك ، ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت : الآن ، فقال لها عمر : اتقي الله وأطيعي زوجك ، قالت : أفعل يا أمير المؤمنين ، فلما ولت قال عمر : تصنعوا للنساء فانهن يحبين منكم ما تحبون منهن . ويقال : ان المرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوماً واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها ، والرجل يبغض اربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان احب يوماً واحداً شهدت جوارحه .

٣٦ - نساء الخلفاء

علي بن محمد بن سليمان قال : أبي يقول : كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتاباً أكدته وأشهدت عليه بذلك ، فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يقنيه واحد منهم في التزويج وابتياح السراي فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وارسلت اليه بما اذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يقته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأنته وفاتها وهو بجلوان ، فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور ، فهي وقف عليها الى هذا الوقت . حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضي مكة قال : كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاهما الثقفني اني رأيت رؤيا ، قال وما هي ؟ قالت : رأيت كأن القمر خرج من قبلي وكأن الشمس خرجت من دبري ، قال لها : لست من جوارى مثلي أنت تلدين خليفتين : فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاستريت وعرضت على المنصور فقال : من أين أنت ؟ قالت : المولد مكة

والمنشأ بجرش قال : فلك أحد ؟ قالت : مالي أحد إلا الله وما ولدت أمي
غيري ، قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له : تصلح للولد ، فأتى بها
المهدي فوَقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت : ان لي أهل
بيت بجرش ، قال : ومن لك ؟ قالت : لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي
أم واخوان ، فكتب فأتي بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه
زبيدة واسمها سكيئة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكرًا فقال المهدي للخيزران
قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما احب ان تبقي امة واحب ان اعتقك
وتخرجين الى مكة وتقدمين فأزوجك ، قالت : الصواب رأيت ، فأعتقها
وخرجت إلى مكة فتزوج المهدي اختها أسماء ومهرها الف الف درهم ، فلما
احس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خبر اسماء وكم وهبت لهما ؟
قال : من أسماء ؟ قالت : امرأتك ، قال : إن كانت اسماء امرأتي فهي طالق ،
فقالت له : طلقتها حين علمت بقدومي ، قال : أما اذا علمت فقد مهرتها الف
الف درهم وهبت لها الف الف درهم ثم تزوج الخيزران . قال : كانت نخلة
جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه
فولدت للحسين ابنا فلما ولي المتوكل الخلافة طرده ليلا فقال له الحسين :
زرتنا جعلت فداك ، قال استهيت أن اسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة
الشعر فقال : يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً ؟ قال : بلى ، قال فأنا احب
ان تعتقها ، قال : فانها حرة ، قال : فاشهد اني قد تزوجتها قومي يا نخلة ،
فاشند ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر الف دينار وحول اليه نخلة .
قيل ووصف للمتوكل ابنة سليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي
وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهما وصرف
البواقي ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها وبين قبيصة في المنزلة ، وكانت
جارية لها لباقة وملاحة ووصفت له ريطة بنت العباس بن علي فحملت اليه
فتزوجها ثم سألها أن تطم شعرها وتنشبه بالممالك فأبت عليه فأعلمها ان لم
تفعل فارقتها فاختارت الفرقة فطلقها ، ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج

الرخيحي فوجه في جوف الليل والسماء تطل الى عمر أن احمل الى عائشة
فأله ان يصفح عنها فانها القيمة بأمره فأبى فانصرف عمر وهو يقول : اللهم
قني شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال :
وكان الهادي يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب
والعزيزي وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كأنه جل
هائج منتفخ الأوداج منتقع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزيزي
أجرأهم عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا
وبغض الدنيا البنا فان رأى امير المؤمنين ان يخبرنا بالسبب فان كان عندنا
حيلة أعلنه بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان امكن احتمال الغم عنه
وقيناه بأنفسنا وحملنا الغم عنه ، قال : فاطرق طويلا والعيزي قائم فقال
له : اجلس يا عزيزي فاني لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم
نائبه ولا أنقص عيشا قال العزيزي : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لبابة
بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني واثرتها عندي كلمتي بادلال
فأغلظت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها
وضربتها ضربا موجعا ، قال وسكت فقال ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك
والله لم تأت منكرا ولا بديعا قد كان أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم ويضربونهن هذا الزبير بن العوام حوارى
رسول الله ﷺ وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت أبي بكر وهي
فضل نساء أهل زمانها فضربها في شيء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى
كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها ، وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله
فجاء يخلصها من أبيه فقال : هي طالق ان حلت بيني وبينها ففعل وبانت
منه ، وهذا كعب بن مالك الانصاري عتب على امرأته وكانت من المهاجرات
فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال :

فلولا بنوها حوّلها لخبطتها كخبطة فروج ولم أتلغم

قال : فسرى عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتلهفت وتعجبت عن انقطاعي عن الحديثين وهما في بالي وأنا اعلم بهما منه .

٣٧ - المطلقات

قيل : كانت أم الحجاج بن يوسف الفارغة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة بن شعبة فراها يوماً تتخلل بكرة فقال : أنت طالق والله لئن كان هذا من غذاء يومك لقد شرهت ، وإن كان من عشاء امسك لقد انتنت فقالت : لا يبعد الله غيرك والله ما هو إلا من السواك فخلف عليها بعده يوسف أبو الحجاج فأولدها الحجاج ، وفيها أشعار : منها

أَهَاجَتِكَ الظَّمَانُ يَوْمَ بَانُوا	بَذَى الزِّيَّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ
ظَّمَانُ أُسْلِكَتْ نَقَبَ الْمُتَقَى	تَحْتُ إِذَا وَتَ أَيَّ أَحْتِمَاتِ
كَأَنَّ عَلَى الْحَدَائِجِ يَوْمَ بَانُوا	نَعَاجًا تَزْعِي بَقْلَ الْبِرَاتِ
تَوَمَّلْ أَنَّ تُلَاقِي أَهْلَ بَصْرَى	فِيَالِكَ مِنْ لِقَاءِ مُسْتَرَاتِ
تَهَيَّجْنَا الْحَمَامُ إِذَا تَدَاعَى	كَمَا سَجَعَ النَّوَاسِحُ بِالْمَرَاتِ

وفي زينب أخت الحجاج يقول النميري :

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبِ رَأْيْتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتِ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

تَضَوَّعَ مَسْكَابُنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ

بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ
مَرَزْنَ بَفَخٍ ثُمَّ رُحْنِ عَشِيَّةٍ
يُلْبَسِينَ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتٍ
دَعَتْ نِسْوَةَ شَمِّ الْعَرَانِينَ بُدْنًا
نَوَاعِمَ لَا سُعْنًا وَلَا غَبِرَاتٍ
فَأَذْنِينَ لَمَّا قَعْنَ يَحْجُبْنَ دُونَهَا
حِجَابًا مِنَ الْقَسِيِّ وَالْجِبَرَاتِ
أَجَلَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ
أَوَانِسَ بِالْبَطْحَاءِ مُعْتَجِرَاتٍ
يُغَيِّبِينَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ النَّقْيِ
وَيَخْرِجْنَ بِالْأَسْحَارِ مُعْتِمِرَاتٍ

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال : خرج الحارث بن سليل الأسدي زائراً أعلقمة بن حفصة الطائي فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها : الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لأبيها : أبتك زائراً وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب ، فقال : انت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم نظرك في أمرك ، ثم انكفأ إلى أهله فقال : ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتاً فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته فأريدي ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت : يابنية أي الرجال أحب إليك الكهل الجحجاج الفاضل المناح أم الفتى الواضح ، قالت : الزمور الطلاح قالت : يابنية ان الشيخ يبرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير الظن ، قالت : يا امام اخشى الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي أتوابي وييلي شبابي ، قال : فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابنتي بها ثم رحل بها الى قومه ، فبينما هو جالس ذات يوم وهي الى جانبه إذ أقبل فتية من بني أسد نشاوى يتبخثرون ، فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء وبكت فقال : ما شأنك ؟

قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفرخ قال : ثكلتك امك تجوع الحرة
ولا تأكل بشديها فذهبت مثلاً أما وأبيك لرب غارة شهدتها . وخيل وزعتها .
وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها إلحقي بأهلك فأنت طالق وقال :

نَهَزَاتُ أَنْ رَأَيْتُنِي لَا بَسًا كَبْرًا وَغَايَةُ النَّاسِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْكِبَرِ
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ عَلَا رَأْسِي وَغَيْرُهُ صَرَفُ الزَّمَانِ وَتَغْيِيرُهُ مِنَ الشَّعْرِ
فَقَدْ أَرُوْحُ لِلذَّاتِ الْفَتَى جَذَلًا وَقَدْ أُصِيدُ بِهَا عَيْنًا مِنَ الْبَقَرِ
عَنِّي إِلَيْكَ فَإِنِّي لَا تُوَافِقُنِي

عُورُ الْكَلَامِ وَلَا تُشْرَبُ عَلَى الْكَدَرِ

قال : وقال الحجاج لأبن القرية : ما تقول في التزويج ؟ قال : وجدت
أسعد الناس في الدنيا ، وأفرهم عيناً وأطيبهم عيشاً ، وأبقاهم سروراً
وأرخاهم بالاً وأسبهم شباباً من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة
لطيفة نظيفة مطيعة ان اتمنتها زوجها وجدها أمينة ، وان قتر عليها وجدها
قائمة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبداً ناعماً وجارها سالماً
ومملوكها آمناً ، وصبيها طاهراً قد ستر حملها جهلها ، وزين دينها عقلها ،
فتلك كالريحانة والنخلة لمن يحتنهما وكالؤلؤة التي لم تثقب والمسكة التي لم تفتق
قوامه صوامه ضاحكة بسامة ان أيسرت شكرت ، وان أعسرت صبرت
فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه ، وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على
الشيخ الضعيف يحجره في الأرض جرأ فبعلها مشغول وجارها متبول وصليها
مرذول وقطها مهزول ، قال : يابن القرية قم الآن فاخطب لي هنداً بنت
أسماء ولا ترد على ثلاث كلمات : فأتاهم فقال جئت من عند من تعلمون
والامير يعطيكم ما تسألون أفشكعون أم تدعون ؟ قالوا أنكحنا وغنمنا
فرجع الى الحجاج فقال : أصلح الله الامير صلاح من رضي عمله ، ومد في

الخيرات أجله وبلغ به الله جمع الله شملك ، وأدام طولك ، وأقر عينك ،
ووقاك حينك ، وأعلى كعبك ، وذلل صعبك ، وحسن حالك على الرفاء
والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الحدود ، وجعلها الله
ودوداً ولوداً ، وجمع بينهما على الخير والبركة ، فتزوجها الحجاج ثم انه
دخل ذات يوم عليها وهي تقول :

وما هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ
فَإِنْ تُتَجَّتْ مُهْرًا كَرِيماً فَالْحَرَى وَإِنْ يَكُ أَقْرَافٌ فَمَا نَجِبَ الْفَحْلُ

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة الف درهم وقال
ادخل على هند وطلقها عني ولا تزدد على كلمتين وادفع اليها المال ، فحمل
ابن القرية المال ودخل عليها فقال : ان الامير يقول كنت فبنت وهذه
المائة ألف صداقك ، فقالت يابن القرية ما سررت به اذ كان ولا جزعت
عليه إذ بان ، وهذا المال بشارة لك لما جئنا به . فكان القول أشد على
الحجاج من فراقها . وذكروا أن عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن نقيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه
بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال :

فَلَمْ أَرِ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلِّقُ
لَهَا خُلُقٌ سَهْلٌ وَحُسْنٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ مَا يُعَابُ وَمَنْطِقُ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْسَ إِلَيْكَ بِمَا تُخْفِي الْقُلُوبُ مُعَلَّقُ
أَعَاتِكَ مَا أُنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقُ

فسمع أبو بكر ذلك ففرق له وأمره بمراجعتها . وعن علي بن دعبل
قال : حدثني ابي قال خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له

بطيانا من امصار دجلة متنزهين فأكلنا وشربنا ، فقال الاعرابي : قل بيت
شعر فقلت :

نَلْنَا لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي بَطْيَانَا

فقال الاعرابي :

لَمَّا حَتْنَا أَقْدَحًا ثَلَاثَا

فقال النبطي :

وَأَمْرَاتِي طَالِقٌ ثَلَاثَا

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال ذهبت امرأتي
بقافية . قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي كنت أنا والحسين بن الضحاك يوماً
عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدنيين : كيف
ترونها ؟ فقال أحدهم : امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر : امرأته
طالق ان لم ... وسكت فقال المعتصم : ان لم ... ، قال : لا شيء ، فضحك
وقال له : ويحك ما دعاك الى طلاق أهلك بلا سبب ، فقال : يا أمير المؤمنين
كلنا قد طلق امرأته بلا سبب . وما قيل في ذلك من الشعر :

رَحَلَتْ أُمِّيَّةٌ بِالطَّلَاقِ وَنَجَوْتُ مِنْ رِقِّ الْوَثَاقِ
بَانَتْ فَلَمْ يَجْزَعْ لَهَا قَلْبِي وَلَمْ تَدْمَعْ مَا قِي
لَوْ لَمْ أَرْحُ بِفِرَاقِهَا لِأَرْحْتُ نَفْسِي بِالْأَبَاقِ
وَحَصِيْتُ نَفْسِي لَا أَرِيدُ حَلِيلَةً حَتَّى التَّلَاقِ

وقال آخر :

رَأَيْتَ أَثَانَهَا فَطَمِعْتَ فِيهَا وَقَدْ نَصَبْتَ لِعِيرِكَ بِالْأَثَانِ

فَطَلَقَهَا وَعَدَّ النَّفْسَ عَنْهَا سَرِيعاً إِنَّ نَفْسَكَ فِي التَّوَاتِ
وإِلا فالسَّلامُ عَلَيْكَ إِنِّي سَأَخْذُ مِنْ غَدٍ لَكَ فِي الْمَرَاثِ

٣٨ - محاسن وفاء النساء

قال الكسروي : كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند بخط ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائباً ، فتجشم وسار اليه في خيله ورجله ، فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال : انه عار على الملوك أن يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بأنفسهم ، فبرز اليه ملك الهند فاختلف بينهما ضربتان : فمنعت بلاشاً حصانة درعه وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى ثنودته فخر ميتاً وانهمزت خيله ، فافتتح بلاش مدينته وأمر ثقافته فأحرقوا بقصر ابنة الملك ، فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه ، فقالت للرسول وهي تبكي : قل للملك المزين بالحلم المحجب في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك ، فان رأيت ان تطيب نفساً عن النظر الي حتى ترجع الى دار بملكنتك فافعل ، فانصرف الرسول الى بلاش فأخبره فأجابها الى ما سألت ، وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فهياً لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فأنزّلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجواهر واسقاط من الذهب والصلاة والجوائز والأثاث ما لم يأمر لغيرها من نسائه ، واستأذن في الدخول عليها فأذنت له ، فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها لا يحير اليها جواباً ولا يخف عن صدر مجلسها ، فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة

جلسه عليها ولبثت أشهراً لا يدخل عليها فقالت يوماً لحاضنتها . ما أعجب أمر الملك بذل دمه في طلبي حتى اذا ظفر سلا عني انطلقني حتى تسألي عن عدة نسائه وأين أكرم عليه وأتيني بعلم ذلك ، فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت : اني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحره وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه أعجبت به فتزوج بها ، فقالت : انطلقني اليها واقربها مني السلام واعلمها اني أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فأبلغتها رسالة مولاتها ، فقالت لها : اقربها مني السلام واعلمها اني قد أحبتها وأجبتها الى ما سألت فتصير الي ، فانصرفت فأخبرتها بما قالت ، فتهيات بأحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت عليها ، فرفعت مجلسها وأقبلت عليها ، فذكرت حبها لها ورغبتها في مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها بذلك ، ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الأنس ، فلما أنست بها قالت لها : انك قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الأمر الذي فضلتينا به لنزداد سروراً بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك ، قالت : اني لما عرفت ضعف نسبي وقلة جمالي علمت أنه لا يرجع الملك مني الى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة في الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة وامتميل قلبه باللطف وفضل الخدمة ، فلما رأي على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الاكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك ، وعلمت اني ان أخذت ما أخذته مع خمول نسبي وقلة جمالي ودقة خطري لا يليق بي مثل الذي يليق بهن ، ففضلني على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت أن قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة في الباه عند المشغلة ، فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك ، فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جوارها : اذهبي الى فلانة - تعني ابنة السائس - فان رأيت الملك عندها فاعلمها اني علمية من وجع عرض لي ، فانطلقت الجارية فاذا الملك

عندها ، فأخبرتها بذلك ، فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أباهما فقال لابنة السائس : ما ترين في اتيناها ؟ فقالت أيها الملك : إنه ليس في نسائك من لها عندي مثل منزلتها فصر إليها فانها غريبة قد فارت أهلها وهي في موضع رحمة ، فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها ، فقامت اليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة في حليها وزينتها عبقة بطيها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به . فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فاتته ولم يرد في الخلوة شيئاً الا أجابته اليه ، فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال : اين ما ذكر رسولك من وجعك ؟ قالت : يا سيدي كنت متوجعة لفراقك حتى شفا لي لقاؤك ، وقلت ذلك لما نالني من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ، ثم أخذ معها في المداعبة ، وأقام عندها سبعة أيام فيبينها هما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية : ان سيدتي - تعني ابنة السائس - تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال : الأولى الغدر بعمليتك ، والثانية فضل تطاولك ، والثالثة كفران النعمة بالمنعم واني عن قريب رادتك من الملك الى غصص الفيض . فأفحمتها وهملت عيناها ونظرت الى الملك كالستغيثة به ، فقال لها الملك : يا حبيبتي ما تنكرين من أمك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتجلى عنها غمها فقالت لرسولتها : انطلقى اليها فاعلمها أن الملك قد وهبها وما تملك لي ، وقولي لها : أرجعك فحش نفسك الى أوام حسبك وإهمال أدبك إثنيني الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية ، فلما أبلغتها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه ، فقالت لها الهندية : ما كان أعظم زهوك في رسالتك ، قالت : يا سيدتي أناذنين لي في الكلام ؟ قالت : تكلمي قالت : أيتها السيدة لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ، ولا أعطف علي من فضلك ، ولم يظلم من رفع فرقي

من هو أفضل مني ، وكل فرع يرجع الى أصله ، وكل زهر ينسب الى
 سنخه ، فقالت : صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد ملكتك على رغم
 أنفك وانا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه ، قالت ابنة
 السائس : من اعتاد معالي الأمور لم تطلب نفسه بأسافلها ، ومن صاحب
 العظماء أبت غريزته الادنياء ، وانما توقبت عطفك ورجوت حسن نظرك ،
 فأما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ، ثم
 قالت : أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد
 المخالفة عندك ، فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك ، لانها
 ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ، ولا من أهل ملكتك فتعرف
 تطواك عليها ، وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباهها وهدمت عزها ،
 فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك ، فانها متى احتالت في قتلك
 لم يكن في أيدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب
 وعظيم الطير ، فقال الملك : وما كان من حديثها ، قالت : يقال ان
 ثعلباً جاع في ليلة فرقى شجرة ليأكل منها ، فسال الوادي الذي فيه تلك
 الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ، ثم رفعها ووضعها حتى ألقى
 الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه ، فأصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل
 كثير الاشجار مشمر الاغصان ، وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا
 يحصى عدداً ، فألقى الى شجرة قصياً مقشعراً لا يعرف أرضه ولا يقدر على
 مؤلفة الدواب فر به عظيم الطير فقال له : ما أنت ؟ فقال : أنا دابة سال
 في السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريباً ، فقال له عظيم الطير : فهل
 لك حرفة ؟ قال : نعم أعرف الثار اذا بلغت حد بلوغها واضنع للطير
 اكثافاً في الأرض تكن فيها فراخها من الحر والبرد ، فقال له عظيم الطير :
 قد أدركت عندنا بغيثك فأقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك ، فأقام
 الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثار المدركة ويحفر فن بمخاليبه قبوراً
 في الارض يفرخن فيها ، وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم

أدخل يده في جحر من تلك الاجحرة فاخرج طيراً أو فراخاً فأكله ودفن ريشه وجعلت الطير تنقصد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض : ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما تدري ما دهاها فقال عظيمها : ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحت فيه من فضل الطعام وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير : أنت سيدنا وأبصر بالامور منا ، قال : وعلي أن أقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي ، فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فادخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب : لقد نصحتني الطير لو قبلت نصيحتها ، قال الثعلب : أنت هو ، قال : نعم ، قال : ما ظننت أن يبلغ من حمقك كل هذا ؟ قال ملك الطير : دعني أودك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك ، قال له الثعلب : ان أبوي أدباني أن لا أعلق انيائي بشيء وأتركه إذ ليس من جهلك ان لا تتجزأ من الثمار ومن الاكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت امري بنفسك ولم تجعل التفرير في ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه ، وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضرباً بمخالبها ومناقيرها حتى قتله ولم يصلح في عظيم خطر ملكهن الى اكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية قالت الهندية : انما تقرر عين المرأة باربعة رجال بابيها واخلها وولدها وبعلمها وافضل النساء المختارة بعلمها على جميع اهلها ، والمؤثرة له على نفسها فكيف بمن ذهب ابوها واخوها فبقي بعلمها ؟ أفتعجب ان تهلكه على أن مثلك في رداة همتك وخبت نيتك مثل الغراب والحمامة ، قال الملك : وما كان من حديثهما ؟ قالت : زعموا ان غرابا الف مطبخاً لبعض الملوك . فأخذ من اطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب اخذه لقلته وفائه ولؤم جوهره فطردوه

عن مطبخهم وقالوا : ما نرجو من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف
 وبطير منها ، فأفشي ذلك الغراب امره الى حمامة قد كان بينهما معرفة
 وفزع الى رأيها واخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له
 الحمامة : انطلق بي حتى تربني هذا المطبخ فانطلق حتى اتى سطح المطبخ
 فقالت الحمامة : اني ارى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمتقارنك
 قدر ما ادخل فان منقاري يضعف عن ذلك ، فحفر الغراب في سقف البيت
 بمتقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها
 وصفاء لونها ، فجعل لها خازن المطبخ موضعاً نأوى اليه ، فلبثت في ذلك
 البيت قريوة عين ، فناداها الغراب ما هكذا قدرت فيك فقالت الحمامة :
 لو وفيت لك حل بي غدرك وان القوم عرفوا عرفوا وفائي وحسن جوارري
 وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكت عهدك ، فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السائس
 اني لو وفيت لك ارداني غدرك وقتلني مكرك ! قالت ابنة السائس : ايتها
 السيدة ان الذي سمعت مني كان لشدة الأنفة فأردت أن أنقي عن نفسي
 الذي اردت من انكاحي خادمك فلانا ، قالت الهندية : لا بد من ذلك ،
 فقالت ابنة السائس : من اعتاد معالي الامور لم تطب نفسه بأسافلها ، الآن
 استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقدفته في فيها فخرت ميتة ووفت
 الهندية لزوجها فأفلمحا . ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيويه بن ابرويز لما
 قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه
 وابت ان تجيبه الى ذلك فغضبها ضياعها وعقارها وذخائرها واموالها وقذفها
 بكل فاحشة ورمائها بكل معضلة ، فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذها من
 أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت : ايها الرجل ان لم يكن بما
 سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد : فقال : وما
 هذه الحوائج ؟ قالت : أحدها أن تود علي ضياعي وأموالي ، والثانية أن
 تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء اهل مملكتك وتبشراً بما
 قذفني به ، والثالثة ان اباك اودعني ودعة فتأمر ان يفتح لي باب التاوس

لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فتتوته في فيها وعانقت قبر زوجها فماتت .

(ضده)

قيل : كان لكسرى أبرويز خال يقال له : بسطام ، فخالف على كسرى وجمع جمعا كثيرا وواقع أبرويز ، فلما اعيت أبرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخيه بهرام جور ويقال : ان كردياً كان غلاما له رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والفاصحين له فقال له : قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام ، وقد رأيت رأيا ان طابقتني عليه رجوت الظفر ، قال كردي : وما ذاك أيها الملك أخبرني فما شيء يزيدك الله به عزاً ويزيد أعداءك به ذلاً الا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقدك ووجوب طاعتك . قال له كسرى قد عرفت حال كردية أختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يايها اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة أنبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتال - لي في قتله ان أتزوجها وأجعلها سيدة نسائي وأبلغ في اكرامها والسو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردي : يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه في الكتاب اليها مع امرأتي أرجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب لكردية بنت بهرام جستاسب كتبه لها كسرى أبرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة أنبيائه ورسله ان انت قتلت بسطام وأراحتني منه ان أتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وأبلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد ، وأشهد الله على ذلك ، وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا ، فسارت أرجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيمة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة ، فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها : يا بنت عم اجيبي الملك الى ما سألك واغنيي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها

فأجابتها الى ذلك وانصرفت أرجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان
بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فأعلمه ، ثم ان بسطام دخل
على كردية فأنته بعشاء فتناول منه ثم أنته بشراب فسقته وجعلت تحدثه
وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل ، فنام بسطام ، فلما استنقل نوما
قامت اليه كردية بسيفها فوضعتة على نندوته ثم انكأت فأخرجته
من ظهره فمات ، وعمدت من ساعتها الى دوابها فعملت حشيشا وأثقالها
على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى
أخيها ان يجلس لها على الطريق ، فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى
ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلا ولوا هارين على
وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللا بالدروصوف
الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ، ثم دعا
كرديا أخاها فزوجه اياها ومهرها وأعطاه خاتما فسه من الكبريت الأحمر
يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج ، فلما دخل بها كسرى ونظر الى
جمالها وعقلها سر بها وأعطاه الاموال وأقطعها الضياع واكرم اخاها كرديا
وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعة اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة
قبلها ولا بعدها ، ثم ان كردية قالت لكسرى : يا سيدي اخرج بنا الى
الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت
امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو
وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت
بالسيف لعبا معجبا ثم اخذت الرمح فلعبت به فقالت : شيرين : أيها الملك
ما يؤمنك من هذه الشيطانة ، قال : هيات انها أعرف بحقنا وأشد حبا لنا
من أن نخافها على أنفسنا ، فلما نزلت قال كسرى : لنا في كل ربع من أرباع
مملكتنا قائد في اثني عشر ألف رجل وفي قصري اثني عشر ألف امرأة ،
وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت : يا سيدي ما للنساء والفروسية وانما
علينا ان نترين لك وتنطيب ونسرك بأنفسنا واردت بما كنت مني

سرورك وتسليمه همومك ، فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها أسبوعاً لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين ، فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم . فقالت له شيرين : أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال : انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد ، فقال : كيف أصنع وقد أمرت له ؟ قالت : اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة اذكر هي أم أنثى ؟ فان قال أنثى فقل : لا تقع عيني عليك حتى تأتيني بالذكر ، وان قال ذكر فقل : مثل ذلك ، فلما غدا الصياد على الملك قال له : اخبرني عن السمكة اذكر هي أم أنثى ؟ قال : بل أنثى . قال : فأنتي بذكريها . فقال عمرالله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد ، قال الملك : زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة : ان القدر ومطوعة النساء يورثان الغرم . قال : وكان الموبدان اذا دخل على كسرى قال : عشت أيها الملك بسعادة الجد ، ورزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير وجنبت طاعة النساء ، ففاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمن عقلاً فقالت لكسرى : أيها الملك ان هذا الموبدان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل ، فكلم كسرى الموبدان في ذلك ، فهش الجارية لمعرفته بجمالها وفضلها فقال : قد قبلتها أيها الملك لا يثارها إياي بأفضل جواريا ، فقالت شيرين لمسكدانة : اني اريد ان تأتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتجيدي خدمته ، فاذا هش لمضاجعتك فامتنعي عليه حتى توكفيه وتركيبه وتعلميني الوقت الذي يتها لك ذلك حتى لا يعود أن يريد في تحية الملك — ووقيت طاعة النساء — فقالت مسكدانة : افعل يا سيدتي ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده في داره التي يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له

الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له مآقيها وفخذيها فارتاح الموبدان اليها وشرح صدره لمضاجعتها فبجعت تمنع عليه فيزداد في ذلك حرصاً فلما ألح عليها قالت له : ايها القاضي ما أنا بمجيبتك الى ما سألت حتى أوكفك وأركبك فان اجبتني الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها ايما وبقيت تتزين له بزینتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : اعلمي ما أحببت ، فهيات له برذعة صغيرة وإكفا صغيراً وحزاماً وثقرا وأقامته عرباناً على أربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثغر تحت خصيته وهي قائمة وركبته وهي تقول : خرخر وأرسلت الى سيدتها شيئين تعلمها بذلك فقالت شيئين للملك : اصعد بنا الى ظهر بيت الموبدان لننظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا ونظرا فاذا هي قد ركبته فوق الاكاف ، فناداه كسرى : ويحك أي شيء هذا ؟ فرفع الموبدان ، رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال : هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء ، فضحك كسرى وقال : فبجك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا .

حديث الزباء

ومنهن الزباء وامها هند وملك الشام بعد عمها الصنور ، وكان جذية الأبرش قتل عمها فبعث اليها جذية بخطبها فاظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها ، فاستشار نصحاءه فقالوا : ايها الملك ان تزوجت بهاجمت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك ، فاستخلف ابن اخيه عمرو بن عدي وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضاً في المصير اليها بالانصراف ، فزينوا له الامام

بها وقالوا : انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جن ووهن ،
فدنا منه مولي له يقال له قصير بن سعد فقال له : أيها الملك لا تقبل
مبحورة هؤلاء وانصرف إلى مملكته حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة
موتورة ومن شأن النساء الغدر ، فلم يحفل بقوله ومضى حتى اجمع
مملكته فقال قصير - بقة صرم الامر - ثم أرسلها مثلاً ، فلما بلغ المرأة
قدومه عليها امرت جنودها فاستقبلوا الملك فقال قصير : ايها الملك اني
رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل الملوك ولست آمن عليك فاركب
العصا وانج بنفسك والعصا كانت فوساً لجذبة لا يشق غبارها - فلم يعأ
جذبة بقوله وسار حتى دخل المدينة ، وامرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا
فأنزلوا ، وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم وأذنت لجذبة فدخل عليها وهي
قصر لها ولم يكن معها في قصرها الا الجواري فأولأت اليهن بان يأخذنه
واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى أنقضه
وكتفنه ، ثم دعت بنطع فأجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذبة
فاذا لها شعرة وافية فقالت : كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ما
تري ؟ قال : أرى بطراً ناتئاً ونبثاً فاشياً ولا اعلم ما وراء ذلك ،
قالت : اما انه ليس من عدم المواسي ولا لفلة الأواسي ولكنه شيمة من
اناسي ، ثم امرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب في النطع فقالت
لا يحزنك ما ترى فانه دم هراقه أهله فأسلتها مثلاً ، واحتال قصير للعصا
حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوي به كأنها الريح وكان
المكان الذي فصد فيه جذبة مشرفاً على الطريق ، فنظر جذبة اليه وقد دفع
الفرس فقال : لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ،
ثم امرت باصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من
الحيرة فياتي طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبلغه احد خبره ،
فبينما هو ذات يوم في ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق ، فلما دنا
منه عرف الفرس وقال : يا خير ما جاءت به العصا فذهبت مثلاً فلما دنا منه

قصير قال له : ما وراءك ؟ قال : قتل خالك وجنوده جميعاً فاطلب
بشارك ، قال : وكيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو ؟ فذهبت
مشلاً ، ثم ان قصيرا امر بانف نفسه فجدع ، ثم ركب وسار نحو الزباء
فاستأذن عليها فقبل لها : ان مولى لجدية وقهرمانه واكرم الناس عليه قد
أتاك مجدوعاً فاذنت له فدخل عليها قالت : من صنع بك هذا ؟ قال : ايتها
الملكة هذا فعل عمرو بن عدي اتهمني ونجني علي الذنوب وزعم اني أشرت
على خاله بالمصير اليك حتى فعل بي ما تريد ولم آمنه أن يقتلني فخرجت
هارباً اليك وقد أتيتك لاكون معك وفي خدمتك ولي جداء وعندي غناء ،
قالت : نعم أقم فعندي لك ما تحب وولته نفقتها فخف لها ورأت منه
الرشاقة فيما أسندته اليه ، فاقام عندها حولا ثم قال لها : ايتها الملكة ان
لي بالعراق مالا كثيراً فاذا أذنت لي في الخروج لمله فافعلي فدفعت اليه مالا
كثيراً وامرته ان يشتري لها ثياباً من الحز والوشي والآلء وياقوتاً ومسكاً
وعنبراً والنجوجا فانطلق حتى اتى عمراً فاخبره فاخذ منه ضعفي ماله وانصرف
نحوها فاسترخصت ما جاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخذ في كل مرة
مثل اضعاف ماله فيشتري لها جميع ما تريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبه
فاستخلفته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم وامرته ان يشتري أثاثاً وممتعاً
وفرشاً وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ما علي وبقي ما عليك ، فقال
وما الذي تريد ؟ قال : اخرج معي في الفي فارس من خدمك وكونوا في
أجواف الجوالق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو الفي فارس من اصحابه
فخرج وخرجوا معه في الجوالق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا
امسى الليل فتح الجوالق ليخرجوا ويطعموا وبشربوا ويقضوا حوائجهم حتى
إذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها وقال :
أيتها الملكة اصعدي على القصر لتنظري ما أتيتك به فصعدت فنظرت الى
ثقل الاحمال على الجمال فقالت :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيئًا وَيَدَا
أَجْنَدًا يَحْمِلُنَ أَمَّ حَدِيدًا

أَمْ صَرَفَانَا بَارِدًا شَدِيدًا

فأجابها قصير سرّاً وقال :

بَلِ الرِّجَالِ جُتَمًا مُّعْوِداً

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت إذا كان غداً نظرننا الى ما أتيتنا به ، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر ، وكان لها سرب قد أعدته للفرار والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء ، وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو ، فبادر عمرو الى السراب فاستقبلته الزبى فولت هاربة نحو السوب ، فاستقبلها بالسيف فمصت فصرها وكان مسموماً وقالت : بيدي لا بيدك يا عمرو ولا بيدي العبد ، فقال عمرو يده ويدي سواء ، وفي كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها ، واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه في فرجها ويقول :

وَلَوْ رَأَوْنِي وَسَيَفِي يَوْمَ أُدْخِلُهُ فِي جَوْفِ زَبَاءٍ مَاتُوا كُلُّهُمْ فَرَحًا

وغثم عمرو واصحابه من مدينتها اموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة ، فكان الملك بعد خاله جذيمة ، وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي . ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبي صخر بن الجعد ، وكان جعد قد طعن في السن ، وكان يكنى أبا الصوت ، وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصوت زعم بنوك ان يقتلوني اذا انت مت قال : ولم ذاك ؟ قالت : مالي اليهم ذنب غير حبك فاعتقني ، فأعتقها فبقيت يسيراً ثم قالت : يا أبا الصوت هذا عرابة من أهل عدن يخطبني ، قال : ما كان هذا ظني بك ، قالت : انها أريد ماله لك ، فقال : اتيني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد ، وكانت تأتي الجعد ، فتمخضب

رأسه ثم قطعه فقال الجعد :

أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي عَمْرِ مُعْلَغَةً عَوْفًا وَعَمْرًا فَمَا قَوْلِي بِرُدُودِ
بَأَنَّ يَمِيتِي أَمْسَى فَوْقَ دَاهِيَةٍ سُودَاءَ قَدْ وَعَدْتَنِي شَرَّ مَوْعُودِ
تُعْطِي عُرَابَةً بِالْكَفِينِ مُخْتَضِبًا مِنْ الْخَلْقِ وَتُعْطِينِي عَلَى الْعُودِ
أَمْسَى عُرَابَةٌ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ مِنْ مَالٍ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدِ

ومنهن امرأة مروان بن الحكم ، وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام بن عتبة فأراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد : أعزني سلاحك فأعاره ، فلما رجع قال له خالد : رد علي سلاحي ، فابى عليه وكان مروان فحاشاً فقال له : يا بن الربوخ الرطبة ، فجاء خالد الى امه فقال : هذا ما صنعت بي سبني على رؤوس المأ وقال لي كيت وكيت قالت : اسكت فاني اكفيك امره ، فجاء مروان فرقد عندها فامرت جواربها فطرحن عليه الشوادكين — يعني الملاحف — ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن : وا أمير المؤمنيناه ، فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت : ان الذي يبقى عليك من العار أعظم من قتل ابيك ، قال : وما ذاك ؟ قالت : يقول الناس ان أباك قتلته امرأة ، فامسك عنها :

٣٨ — محاسن مكر النساء

ذكروا ان الجعاج بن يوسف أرق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال : أرق فحدثني حديثاً يقصر على طول ليلى ولكن من مكر النساء وفعالهن ، فقال أصلح الله الأمير ذكروا أن رجلاً يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفاً بالنسك والسخاء ، وكانت له زوجة يقال لها جميلة ، وله صديق من النساء فاستودعه عمرو ألف دينار وقال : ان حدثت

بي حادثة ورأيت أهلي محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ما عاش ثم دعي فأجاب ، فمكثت جميلة بعده حيناً ثم سأت حالها وأمرت خادمتها يوماً ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فيينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع إذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال : فلانة ؟ قالت : نعم ، قال : حاجتك ؟ فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها ، فهمات عيناه دموعاً ثم قال : ان لعمرو قبلي ألف دينار فاعلمي بذلك صاحبك ، فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول : رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل ؛ فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فأخبرتها فخرت ساجدة ، وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك ، فأقبل الناسك ومعه المال ، فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها ، فخرجت فلما نظر الى جمالها وكلها أخذت مجامع قلبه وفارقه النهي وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول :

قَدْ سَلَبْتُ الْجِسْمَ وَالْقَلْبَ مَعًا وَبَرَيْتِ الْعَظَمَ مِمَّا تَلَحِّظِينَ
فَارْدُدِي قَلْبَ عَمِيدٍ وَأَقْبَلِي صَلَاةَ الضَّعِيفِينَ مِمَّا تَرْتَجِينَ

فأطرقت جميلة لقوله طويلاً ثم قالت : ويحك ألسنت المعروف بالناسك المنسوب الى الورع ؟ قال : بلى ولكن نور وجهك سل جسدي فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي فهذا مقام اللائذ بك ! قالت : أيها المرائي الخادع أخرج عني مذموماً مدحوراً فخرج عنها وقد هام قلبه ، وأضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها ، فانت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه ، فانت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها اعجاباً شديداً وقال : ان لوجهك صورة أدفعها عن هذا ولا يحمل بمثلك الخصومة فهل لك في ضعفي مالك في ستر ورفق ؟ فقالت : سوء لامرأة حرة تميل الى ربيبة ، فانصرفت الى صاحب الشرطة فانتهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال : ان حجبتك على الناسك

لا تقبل الا بشاهدين عدلين : وانا مشتر خصومتك ان انت نزلت عند مسرتي ، فانصرف عنه الى القاضي فشكت اليه فاخذت بقلبه وكاد القاضي يحزن إعجاباً بها وقال : ياقرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في في مواصلي وغناء الدهر ؟ فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها ، فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة أبواب : كل منها مفرد ، ثم بعثت الجارية الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح ، وإلى صاحب الشرطة أن يأتيها ضحوة ، وإلى القاضي أن يأتيها اذا تعالى النهار ، وإلى الناسك أن يأتيها اذا انتصف النهار ، فأتاها الحاجب فأقبلت عليه تحذره فيما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية : صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتاً من التابوت فأقفلت عليه : ودخل صاحب الشرطة ، فأقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من ان قالت الجارية القاضي بالباب ، فقال صاحب الشرطة : اين أخيتي ؟ فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيها شئت ، فدخل فأقفلت عليه ، فلما دخل القاضي قالت : مرحبا واهلا واقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينما هي كذلك اذ قالت الجارية : الناسك بالباب ، فقال القاضي : ماذا تريد في رده ؟ فقالت : مالي الى رده سبيل قال : فكيف الحيلة ؟ قالت : اني مدخلتك هذا التابوت ومخاضته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال : نعم فدخل البيت الثالث فأقفلت عليه ، ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدا لك في زيارتنا ؟ قال : شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت : فالمال ما تقول فيه ؟ اشهد الله على نفسك برده اتبع رأيك قال : اللهم إني أشهدك أن الجميلة عندي ألف دينار ودعيمة زوجها ، فلما سمعت ذلك هتفت بجارتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانتهت ظلامتها اليه ، فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم ، ففقد لها وسألها البينة فقالت : يشهد لي تابوت

عندي فضحك الملك وقال : يحتمل ذلك لجمالك ، فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك ، فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت : أعطي الله عهداً لتنطقن بالحق ، وتشهدن بما سمعت ، أو لأضرمك نارا ، فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقوار الناسك الجميلة بالف دينار : فكبر ذلك على الملك ، فقالت جميلة : لم أجد في الملكة قوما أو في ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على غريمي ، ثم فتحت التابوت وأخرجت ثلاثة النفر وسأها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك ، فقال الحجاج : لله درها ما أحسن ما احتمالت لاستخراج حقها . قال : وكان يعقوب بن يحيى المدائني ويحيى السكاكيب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهديّة جارية سليمان بن الساهر فقال يعقوب يوما ليحيى أنا أستهي ان أرى بطن مهديّة ، فقال يحيى : ما تجعل لي ان أنا احتلت لك جميلة حتى تراه ؟ قال : ما شئت قال : برذونك هذا قال : نعم ، قال : فتوثق منه ، وأتى مهديّة فقال لها : كان لي برذون موافق فارده فنفق وانت لو شئت لملتني على برذون فارده ، قالت : انا افعل واستتريه لك بما بلغ الثمن ، قال : انت قادرة عليه بغير الثمن ، قالت : كيف ذلك ؟ فاخبرها بالقصة فقالت : قد حملك الله على البرذون واربحك النظر الى بطن حسن ، فاذا كان غداً فتعال انت ويعقوب فاجلسا ، فان سليمان يبعث بوصيفته فلانة كثيرا ، فاذا فعل ذلك وجئت انا فقل : انت يا مهديّة لو علمت ما صنع فلان لقتلته ، قال : نعم ، فلما جاءت مهديّة ، قال لها : ان امر سليمان مع وصيفته اشنع بما تقدرينه ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت : مثلك يابن الساحر يفعل هذا مرة بعد اخرى ، وشقت جيبها الى ان جاوزت اسفل البطن وهي قائمة ، فنظر الى بطنها فتأملها ساعة وهي تشم ابن الساحر ، فقام اليها يتراضا ويسكنها ويعقوب يقول

وابرذونه فآخذه منه يحيى . وعن المساور قال : كان عندنا بالاهواز رجل متأهل وكانت له ارض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة او مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها الا عم في الدار ، وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الأهوازية حاله فدست من يعرف خبره ، ثم احتالت وبعثت من اورد خطأ لعم المرأة البصرية وسألت من كتبت كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بان ابنة أخيه توفيت ويسأله القدوم لأخذ ما خلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح ، فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلي لي سفرة ، قالت : ولم ؟ قال : اريد الخروج الى البصرة ، قالت ولم هذه البصرة ؟ قد رابني امرك : وما اشك ان هنالك لك امرأة : فانكر ذلك ، فقالت : ان كنت صادقاً فأحلف بطلاق كل امرأة لك غيري ، فقال في نفسه : تلك قد ماتت ، وليس علي أن احلف بطلاقها فأرضى هذه ، فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الأهوازية ، فقالت الأهوازية : يا جارية هات السفرة فقد أغناه الله عن الخروج ، قال ، وما ذلك ؟ قالت : قد طلقت الفاسقة ، وقصت عليه القصة ، فعرف مكرها وأقام .

٣٩ - مساوي مكر النساء

وذكروا أن لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يحول في قبائل العرب فنزل بجي من العماليق ، فبينما هو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها : فلان لو حملت سقطي هذا حتى تجاوز به الثانية فان فيه من متاع النساء ما لا بد لمن منه ، ولعل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بنظر ومسمع فقال : أفعل ، فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا في صدره فشبه فاذا هو ريح بول قد جاء من السقط الذي على رأسه ففتح

السفط فاذا هو بـغلام قد خرج منه يعدو ، فلما نظر لقمان قال : يا إحدى بنات طبق - وبنات الطبق أن تأتي الحيمة السلحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبراً أو نحوه لا تضرب شيئاً الا أهلكته - فتبعه لقمان حتى لحقه ، فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا : يا لقمان احكم فيما ترى فقال : ردوا الغلام في السفط يكون له مشوى حتى يرى ويعلم أن العقاب فيما أنى وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حملت زوجها ثم شدوا عليها فان ذلك جزاء مثلها فعدوا الى الغلام فشدوه في السفط ثم شدوه في عنق المرأة ثم تركوها حتى ماتا ثم فارقه لقمان ، فاني قبيلة أخرى فنزل بهم ، فيينا هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبن ؟ قالت : الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحي فعاوضها رجل فمضيا جميعاً ولقمان ينظر ، فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة : هل لك أن آتاوت على أهلي فانما هو ثلاثة أيام أكون في رجلي ثم تجيء فتستخرجني فتستمتع فقال الرجل : انعلي ؛ وكان اسمه الخلي وزوج المرأة اسمه الشجي فقال لقمان - ويل للشجي من الخلي - فذهبت مثلاً فلم تلبث المرأة الا ايام حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور ، فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فأخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحي من ذلك المسكن وخافت المرأة أن تعرف فبحزت شعرها وتوكت لنفسها حمة ، فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات حمة ، فقالت الصغرى : أمي والله قالت الوسطى : صدقت والله قالت المرأة كذبنا ما أنا لكما بأم ، قالت الكبرى ، صدقت والله لقد دفنا أماً غير ذات حمة ما كان لأمنا الامة ، قالت الصغرى ، هبك أنكرمت اعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت به فقالت : صفراهن مرأهن فذهبت مثلاً ، واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا ، فقال لقمان : * عند جهيئة الحبر اليقين * فذهبت مثلاً وكان يلقب بجهيئة فقال لقمان للمرأة : أخبرك أم تخبريني ؟

قالت بل قل ، قال : انك قلت لهذا اني متاوتة على أهلي فاذا دفنوني في رجمي جئت فاستخرجتني وأتذكر لهم فلا يعرفونني ففتنهم ما بقينا ، فاعترفت المرأة فقيل للقيمان : احكم بيننا ، قال ارجعوها كما رجعت نفسها ، فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجعوها ، وكانت أول مرجومة في العرب ، ثم ان زوجها تعلق بالخلي فقال : يا لقيمان هذا فراق بيني وبين أهلي فقال لقيمان : لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرق بينك وبين أنثاك ، ونفرك بين ذكره وبين أنثيه فقطع ذكره فمات

٤٠ - محاسن الغيرة

روى انه إذا أغير الرجل في أهله او في بعض مناكحه او بملوكته فلم يغرب الله جل اسمه اليه طيراً يقال له : الفرقنة حتى يسقط على عارضة بابه ، ثم يمله أربعين صباحاً يهتف به : إن الله غيور يحب كل غيور ، فان هو تغير وأنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه ، فينزع الله منه روح الايمان ، وتسميه الملائكة الديوث . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذي لا دواء له) وروى ان امرأة ذات عقل ورأي حملت من فاجر فقيل لها في ذلك فقالت : قرب الوساد وطول السهاد — تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها — وقال صلى الله عليه وسلم (النساء حبائل الشيطان) ، وقال سعيد بن مسلم : لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب إلي من أن ترى حرمتي رجلاً مواجهة وقيل لعقيل بن علفة ألا تزوج بناتك ؟ فقال : أجمعهن فلا يأشرن واعرين فلا يظهرن ، فوافق إحدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الصوم وجاء السيئة) ، والأخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : استعينوا عليهن بالعري . وغاية اموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون إنما

هو مصروف الى النساء ، فلم يكن الا ما يعد لهن من الطيب والحلى والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ، ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهم والجناية عليهن لكان في ذلك المثونة العظيمة والمشقة الشديدة غير أن أولي الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن ، فليس شيء لهن أصلح من مباحثتهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجورع ، ومن حق الملوك أن لا يرفع أحد من خاصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت ، فكمن فيل وطىء هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه ؟ وكمن من شريف وعزيز قوم قد مزقه السباع ونهشه ؟ وكمن من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها وقد أكلها حيتان البحر وطير الماء ؟ وكمن من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والحدم والعلمان ، ولم يأت الشيطان أحداً قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والأعضاء هو أبلغ من مكيدته وأخرى ان يرى فيه أمنية من هذا الباب اذ كانت من أطف مكايده وأدق وساوسه وأجل تزايبه . وقيل لابنة الحس لم زنت بعبدك ولم تزن بحر ؟ قالت : طول السهاد وقرب الوساد . وقيل : لو أن أقبح الناس وجهاً ، وأنتنهم رائحة ، وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً ، وأوضعهم حسبا قال لامرأة تمكّن من كلامها ومكنته من سمها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلى ، وأرقت عيني ، وشغلتنى عن مهم أمري ، فما اعقل أهلاً ولا ولداً ولو كانت ابرع الناس جهالا ، وأكملهم كمالاً ، وأملهم ملاحة ، وان كانت عينه تدمع بذلك ، ثم كانت تكون مثل أم الدرداء ، أو معاذة العدوية ، أو رابعة القيسية لما أت اليه وأحبته . ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعري ، فان النساء يخرجن الى الأعراس ، ويقمن في المناحات ، ويظهرن في الاعياد ، ومتى كثر خروجهن لم يعد بد أن يزين من هو مشكلهن ولو كان يعلمن أنهم حسنا وأحسن وجهاً والذي رأأت أنقص حسناً ، ولكن ما لا تملكه أظرف عندها بما تملكه ، ولكن

ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذابا قال الشاعر :

وَلِّلْعَيْنِ مَلْهَىٰ بِالنِّسَاءِ وَلَمْ يُقَدْ
هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَأَقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ

وكانت الأكسرة إذا امتنعت الحاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك ، وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للامانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره ، فيأمره أن يتحول إلى منزله ، وان تفرغ اليه حجرة ، وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمه ويقول له : أريد بك الانس في ليلى ونهاري ، وكان معك بعض حرمك قطعك عني فاجعل منصرفك إلى منزلك في كل خمس ليال ، فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً . امتحن ابرويز رجلاً من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بالطف وهدايا ، وامرأه ان لا تقعد عنده في اول مرة فأنته بالطف الملك وقامت بين يديه ، ولم تلبث أن انصرفت حتى إذا كانت المرة الثانية أمرها ان تقعد هنيئة وان تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ، ولاحظها الرجل وتأملها ، وجعل الرجل يحذ النظر اليها ويسر بمحادثتها ، ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبه ، فلما أبدى ما عنده قالت : اخاف ان يعثر علينا ولكن دعني حتى أدبر في هذا ما يتم به الأمر بيننا ، ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وبكل شيء جرى بينهما ، فلما كانت المرة الثالثة أمرها ان تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة في المحادثة أجابته اليه ففعلت ، ووجه اليه أخرى من خواص جواريه وثقاتهن بالطافه وهداياها فلما جاءت قال لها : ما فعلت فلانة ؟ قالت : اعتلت فاربد لون الرجل ، ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ، ثم عاودته فقعدت

أكثر من المقدار الاول وأبدت بعض محاسنها حتى تأملها ، وعاودته في المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما في تركيب النفس من الشهوة فقالت : انا من الملك على خطأ يسيرة ومعه في دار واحدة ، ولكن الملك يمضي بعد ثلاث الى بستانه الذي بموضع كذا فيقيم هناك ، فان أرداك على الذهاب معه فأظهر أنك عليل وتعارض ، فان خيرك بين الانصراف الى نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام وأخبره أنك لا تقدر على الحركة ، فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره ، فسكن الرقيق الى قولها ، وانصرفت الجارية فأخبرت الملك بكل ما دار بينهما ، فلما كان الوقت الذي وعده أن يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول : أخبره أنني عليل ، فلما جاءه الرسول وأخبره تيسم وقال هذا أول الشر ، فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب ، فلما بصر به قال : والحفة الشر الثاني فبين العصابة فقال : والعصابة الشر الثالث ، فلما دنا من الملك سجد فقال له : متى حدث بك هذه العلة ؟ قال هذه الليلة قال : فأبي الامرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعي ؟ قال المقام ههنا أيها الملك أوفق لقلة الحركة ، فتبسم أبرويز وقال حركتك ههنا ان تركت اكثر من حركتك في منزلك ، ثم أمر له بعض الزناة التي كانت يوسم بها من زني فأيقن الرجل بالشر وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفاً حرفاً فيقرأ على الناس إذا حضروا ، وان ينفي الى اقصى مملكته ، وتجعل العصا في رأس رمح يكون معه حيث كان ليعذر من يعرفه منه ، فلما خرج الرجل من المدائن متوجهاً به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجبب بها ذكره وقال : من اطاع عضواً صغيراً من اعضائه أفسد عليه جميع اعضائه فمات من ساعته . وفيما يذكر عن أنوشروان انه اتمم رجلاً من خاصته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله ؟ لا هو وجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسلفك به دمه ، ولا قدر على

كشف ذنبه لما في ذلك من الهوان على الملك والمملكة ، ولا وجد عذراً لنفسه في قتله غيلة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثه سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة في خلوة فقال : قد حزني أمر من أسرار ملك الروم وبني حاجة الى علمها . وما أجدي اسكن الى أحد سكوني اليك اذ حلت من قلبي المحل الذي انت به ، وقد رأيت ان تحمل لي مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها ، فاذا بعث ما معك حملت بما في بلادهم من تجاراتهم واقبلت الي وفي خلال ذلك تصغي الى اخبارهم وتطلع الي ما بنا الحاجة الى معرفته من امورهم واسرارهم فقل : افعل ايها الملك وارجو ان ابلغ في ذلك محبة الملك ورضاه فأمر له بال وتجهز الرجل وخرج بتجارته ، فأقام في بلاد الروم حتى باع واشترى ، وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض اسرار ملكهم ، وانصرف الى أنوشروان بذلك فأراه الايثار به وزاد في بره ورده الى بلادهم وامره بالمقام والتربص بتجارته ، ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين ، حتى اذا كانت السنة السابعة امر الملك ان تصور صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب فيها ، وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان ، ويجعل مخاطباً لأنوشروان ومشيراً عليه واليه ، ويدفي رأسه من رأس الملك في تلك الصورة كأنه يساره ثم وهب ذلك الجلام لبعض خدمه وقال : ان المارك يرغبون في مثل هذا الجلام ، فاذا اردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له : يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك ، فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره او بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجلام وقد وضع الرجل رجله في الركاب فسأله ان يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يدا وكان الملك يعز ذلك الغلام ، وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فأجابه الى ذلك ، وامر بدفع الجلام الى صاحب خزانته وقال : احفظه ، فاذا صرت الى باب الملك فليكن بما اعرضه عليه ، فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه

الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه ، فلما وقع الجام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة أنوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل : أخبرني هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس ؟ قال : لا قال : فهل تصور في آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة ؟ قال : لا قال : فهل في دار الملك اثنان يتشابهان في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه ذاك في الصورة وكلاهما نديبا الملك ؟ قال : لا أعرفه قال له : قم قائماً فقام فوجد صورته في الجام فقال له أدبر فأدبر ، فتأمل صورته في الجام فوجدهما بحكاية واحدة ، فضحك ولم يحسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالاً له واعظاماً فقال ملك الروم : الشاة أعقل من الانسان اذ كانت تحفي مديتها وتدفيها وإنما أهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تغديت ؟ قال لا : قال قربوا له طعاماً قال : أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك : أنت عبد ما دمت عند ملك الروم مطلعاً على أموره متتبِعاً لأسراره ملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها أطعموه فأطعم وسقى الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الا في أعلى موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعاً ولا عطشاناً فأمر به فأصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك ، وأقيمت جثته من ذاك السطح ، ونصب رأسه للعاس ، فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس ان يضرب بأجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول : كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل ففي الارض يقتل الا من تعرض لحُرمة الملك فانه يقتل في السماء ، فلم يدر أحد من اهل المملكة ما أراد به حتى مات .

(ومثله من أخبار العرب) ذكروا أنه كان لطسم وجديس ملك يقال يقال له عمليق ظلوم غشوم ، وكانت لاتزف جارية الى زوجها إلا بدوه بها فافتريها وردوها الى بعلها ، ثم أن رجلاً من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها ، فلما أرادوا أن يدهوها اليه بدوها بها عمليق

فادخلوها عليه معها و القيان يتغنين ويضررن بالدفوف ويقلن :

إِبْدِي بَعْلِيْقَ وَمَعَهُ فَارَكِي وَبَادِرِي الصُّبْحَ بِأَمْرِ مُعْجِبِ
فَسَوْفَ تَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ مِنْ مَذْهَبِ
فَجَعَلْتَ تَقُولُ وَهِيَ تَرْفُ :

مَا أَحَدٌ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسٍ أَهَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ
يَرْضَى بِهَذَا يَا لِقَوْمِي حُرٌّ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْدَى وَسِيقَ الْمَهْرُ؟
لَآنَ يُلَاقِي الْمَرْءُ مَوْتَ نَفْسِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ فِعْلٍ ذَا بَعْرُسِهِ

فلما دخلت عليه افترعها ، ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها
الاسود بن غفار وهو قاعد في نادي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها
وأنشأت تقول :

أَيُصْلِحُ مَا يُؤْتِي إِلَى قَنِيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ كَثَرَتْ عِدَّةَ الرَّمْلِ
وَتَرْضُونَ هَذَا يَا لِقَوْمِي لِاخْتِكُمْ عَشِيَّةَ زُفْتٍ فِي النَّسَاءِ إِلَى الْبَعْلِ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً فِي الْمَنَازِلِ وَالْحُجْلِ
وَدُونَكُمْ طَيْبَ النَّسَاءِ وَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ جَمِيعًا لِلتَّرْزِينِ وَالْكُحْلِ
فَلَوْ أَنَّ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقِيمُ عَلَى دَحْلِ
فَقُبْحًا لِبَعْلِ لَيْسَ فِيهِ حِمِيَّةٌ وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْفَحْلِ
فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَصِيبُوا عَدُوَّكُمْ

بِدَاهِيَّةٍ تُتَوَرَّى ضَرَامًا مِنَ الْجَزْلِ

وَالْأَفْخَلُوا دَارَكُمْ وَتَرَحَّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفَرٍ خَلَاءَ مِنَ الْأَهْلِ
 وَلَا تَخْرُجُوا لِلْحَرْبِ يَأْقُومُ إِنَّهَا تَقُومُ بِأَقْوَامٍ شِدَادٍ عَلَى رَجُلٍ
 فِيهِلِكُ فِيهَا كُلُّ وَغَدٍ مُوَاكِلٍ وَيَسْلَمُ فِيهَا ذُو الطَّعَانِ وَذُو الْقَتْلِ
 فلما سمعت جديس شُغْرَهَا أَنْفَتَ أَنْفًا شَدِيدًا وَأَخَذَتْهُمْ الْحِمَّةَ فَتَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ
 وَعَزَمُوا عَلَى اغْتِيَالِ الْمَلِكِ وَجُنُودِهِ فَقَالُوا : انْ نَحْنُ بَادِهَانَهُم بِالْحَرْبِ لَمْ نَقُو
 عَلَيْهِمْ لِكثْرَةِ جَنْدِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ فَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ انْ الْأَسْوَدُ أَنَّ الْمَلِكَ
 فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ غَدَاءَكَ عِنْدِي أَنْتَ وَجُنُودُكَ ، فَقَالَ عَمَلِيْق : انْ
 عِدْدُ الْقَوْمِ كَثِيرٌ وَأَحْسَبُ أَنَّ الْبَيُوتَ لَا تَسْعَاهُمْ فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَخُذْ لِهِمُ
 الطَّعَامَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي فَقَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا اسْتَغْلَى الْقَوْمُ بِالْأَكْلِ فَسَلُّوْهَا
 سِيُوفَكُمْ وَاعْمَلُوا عَلَى انْ تَحْمِلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَاقْتُلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ،
 وَهَبَا الْأَسْوَدُ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَجَاءَ الْمَلِكُ فَلَمَّا أَكْبَدَ الْقَوْمَ عَلَى
 الْأَكْلِ بَادَرَتْ جَدِيسَ إِلَى سِيُوفِهِمْ ، ثُمَّ حَمَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَى جُنُودِهِ وَالْأَسْوَدُ
 يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

يَا صُبْحَةَ يَا صُبْحَةَ الْعَرُوسِ حَتَّى تَمَشَّتْ بِدَمٍ جَمِيسِ

يَا طَسْمُ مَا لَقِيتُ مِنْ جَدِيسِ هَلَكْتُ يَا طَسْمُ فَهَيْسِي هَيْسِي

فَقَتَلُوهُ وَجُنُودَهُ جَمِيعًا . وَمِثْلُهُ الْفَطِيُونُ مَلِكُ تِهَامَةَ وَالْحِجَازِ ، فَانْهُ سَلَكَ
 مَسْلَكَ عَمَلِيْقٍ فِي مَلِكِ طَسْمٍ وَجَدِيسٍ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ ، فَأَمَرَ انْ لَا تَزِفَ مِنْ
 الْيَهُودِ فِي مَلِكْتِهِ امْرَأَةً إِلَّا بَدَعُوهُ بِهَا فَلَبِثَ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ أَحْوَالٍ حَتَّى زَوَّجَتْ
 امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ مِنْ ابْنِ عَمِّهَا ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ رَائِعٍ ، وَكَانَتْ أُخْتُ
 مَالِكِ بْنِ عَجَلَانَ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَهْدُوَهَا إِلَى زَوْجِهَا خَرَجَتْ إِلَى
 نَادَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ رَافِعَةً ثَوْبَهَا إِلَى سِرَّتِهَا ، فَقَامَ إِلَيْهَا مَالِكُ بْنُ الْعَجَلَانَ
 فَقَالَ : وَيْحَكَ وَمَا دِهَاكَ ؟ فَقَالَتْ : وَمَا يَكُونُ مِنَ الدَّاهِيَةِ اعْظُمُ مِنْ

ان ينطلق بي الى غير بعلي بعد ساعة ، فأتف من ذلك أنفا شديداً فدعا
 بيزة امرأة فلبسها ، فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من
 نساء اللواتي ينطلقن بها متسبها بامرأة ، وقد اعد سكيناً في خفه ، فلما
 دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة في ذلك البيت فدخلها
 فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين
 فوجأه فقتله ثم قال لليهود : دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم
 فقتلوهم عن آخرهم .

[ومنه أخبار وأمثال] ذكروا أن أول من قال (العجب كل
 العجب بين جمادي ورجب) عاصم بن المقشعر الضبي ، وذلك الخنفس بن
 خشرم كان أغبر أهل زمانه وأشجعهم ، وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة
 عزيز في قومه فهو امرأة كانت تأتي الخنفس فبلغ الخنفس ذلك فتواعد
 عبيدة وركب الخنفس فرسه وأخذ رحمه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف
 على بمره فأقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول :

أَلَا إِنَّ الْخَنِيفْسَ فَأَعْلَمُوهُ كَمَا سَمَّاهُ وَالِدَهُ لِهَيْنُ
 بِهِمُ اللَّوْنِ مُحْتَقَرٌ ضَنْبِلُ لَيْمَاتٌ خَلَاتُكُهُ ضَنْبِينُ
 أَيْوَعْدُنِي الْخَنِيفْسُ مِنْ بَعِيدٍ وَمَا يَلْقَ مَا بَضُهُ الْوَتِينُ
 لَهْوَتْ بِجَارَتِيهِ وَحَادَ عَنِّي وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَفْ شَفُونُ

فعارضه الخنفس وهو يقول :

أَيَابْنَ الْمُقْشَعِرِّ لَقِيتَ لَيْثَا لَهُ فِي جَوْفِ أَيْكَتِهِ عَرِينُ
 تَقُولُ لَهُ صَدَدَتْ حِذَارُ حَيْنٍ وَأَنَّكَ نَشَوَ أَبْطَالٍ مُبِينُ
 وَأَنَّكَ قَدْ لَهْوَتْ بِجَارَتَيْنَا فَهَاكَ عُبَيْدٌ لَا فَالَكَ الْقَرِينُ

سَتَعْلَمُ أَتَيْنَا أَحْمَى ذِمَارًا إِذَا قَصُرَتْ شِمَالُكَ وَالْيَمِينُ
لَهُوَتْ بِهَا لَقْدُ أَبْدَلَتْ قَبْرًا وَبَاكِئَةً عَلَيْكَ لَهَا رَفِينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لأقتلنك فقتله ، فلما بلغ أخاه عاصماً خرج اليه ولبس أطهاراً وركب فرسه وكان في آخر يوم من جمادى ، فأقبل يبادر دخول رجب لأنهم كانوا لا يقتلون في رجب أحداً ، فانطلق حتى وقف بباب خنفس ليلاً وقال : أجب المرهوق قال : وما ذاك ؟ قال : العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، واني رجل من ضبة غصب أخ لي امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله ، فخرج الخنفس مغضباً وأخذ رحله وركب معه ، فلما نحن به عن قومه دنا منه فقتله بالسيف فأبان رأسه . ويقال ان أول من قال (سبق السيف العذل) ضمض ابن عمرو اللخمي كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضة فأنته وتأبت على ضمض ، وكان ضمض من أشد قومه بأساً فاغتاظ لذلك ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراها اذا اجتمعا ولا يريانه ، فلما نام الناس وطال هدو ضمض اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول :

أُمَامَ تَوَلَّيْنِي وَتَأْبَى بِنَفْسِهَا عَلَى ضَمَضٍ تَعْسًا وَرَغْمًا لَضَمَضٍ

وضمض يسمع فنزل وربط فرسه ومشى الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما ، فخرجت اليه فعانقها وضمض ينظر ثم واقعها ، فلما رآها مشى اليها بالسيف وهو يقول :

سَتَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أُعَشِّقُ مُبَغِضًا فَكَانَ بِنَاعِهَا وَعَنْكَ عَزَاءُ

وقتله ، فعلم القوم بضمض فأخذوه . فلما أصبح أبرز الى النادي

ليقتل ، فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال : سبق السيف العذل . ويقال ان أول من قال (خير قليل وفضحت نفسي) فائزة امرأة مرة الاسدي ، وكانت من أجل النساء في زمانها ، وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبدا له حبشيا يرعى ابلها فامرتة ان يحضر مضجعا وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم ، فبينما هو يطعم ومعه أصحابه اذ نعق غراب فأخبره ان امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة ، فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجو ان هو منعها تلك الليلة امنها فيما بقي فانتهى اليها حين قام العبد عنها وزدمت وهي تقول : خير قليل وفضحت نفسي ، فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له : ما يردك فقال يعلمها أنه قد علم : خير قليل وفضحت نفسي ، فشبهت شهقة خرت ميتة ، فقتل زوجها العبد وجعل يقول :

لَعَمْرُكَ مَا تَعْتَادُنِي مِنْكَ لَوْعَةً وَلَا أَنَا مِنْ وَجْدٍ بِذِكْرِكَ أُنْهَدُ

قيل : وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه ، وهند فيه ، فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل بمن كان يغشى ذلك البيت فوجه ، فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضرها برجله وقال : من هذا الرجل الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ولا انتهت حتى نبهتني فقال لها : الحقى بأهلك فتكلم الناس فيها فقال لها ابوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقيني ، فان كان الرجل في قوله صادقا سببت له من يقتله فنقطع عنك القالة ، وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فعلفت له بما يحلفون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه : يا هذا انك قد زميت ابنتي بأمر عظيم فعاكفني الى بعض كهان اليمن ، فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم . وأخرجوا

معه هنداً ونسوة معها ، فلما شاربوا البلاد قالوا : غدا نود على الكاهن فتغير لون هند فقال لها أبوها : اني ارى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا ابتاه ما ذلك لمكروه ، ولكن سنأتي بشراً يخطيء ويصيب فلا نأمن ان يسومني مما يكون فيه سبة على باقي عمري قال : اني سوف اختبره قبل ان ينظر في أمرك فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في إحليل فرسه وأوكل عليها بسير ، فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان مني في طريقي قال : ثمرة في كمره قال : أحتاج الى ابن من هذا قال : حبة بر في إحليل مهر قال : صدقت ، فما بال حال هؤلاء النسوة؟ فجعل يدنو من إحدها فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها وقال : انهضي غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدن ملكا يقال له معاوية ، فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت : اليك غني ! والله لأجهدن ان يكون ذلك من غيرك : فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية . قيل وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول :

أَلَا سَبِيلٌ إِلَى خَمْرِ فَأَشْرَبَهَا أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ
إِلَى فَتَى مَاجِدِ الْأَخْلَاقِ ذِي كَرَمٍ سَهْلُ الْحَيَا كَرِيمٍ غَيْرِ مِلْجَاجٍ

فقال عمر : أما ما دام عمر إماماً فلا ، فلما أصبح قال : علي ينصر بن الحجاج فأتى به فاذا هو رجل جميل ، فقال : اخرج من المدينة ، قال : ولم وما ذنبي ؟ قال : اخرج فوالله ما تساكتني ، فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر رضي الله عنه :

لَعَنِي لَنْ سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي وَلَمْ آتِ اثْمًا إِلَّا ذَا حَرَامٍ
وَمَالِي ذَنْبٌ غَيْرَ ظَنٍّ ظَنَنْتُهُ وَبَعْضُ تَصَادِيقِ الظُّنُونِ إِثَامٌ

وإِنْ غَنَّتِ الذَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ فبِعِضِّ أُمَانِيَّ النَّسَاءِ غَرَامُ
فَظَنَّ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَوْ أَتَيْتُهُ لَمَا كَانَ لِي فِي الصَّالِحِينَ مُقَامُ
وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِيطِي وَأَبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامُ
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَيَتَّهَمُهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامُ
فَهَذَا نَحَالَانَا فَهَلْ أَنْتَ مُرْجَعِي

فَقَدْ حُبَّ مَنِّي غَارِبٌ وَسَنَامُ

قال : فردده عمر بعد ذلك لما وصف من غفته . ويروى أيضاً أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف
وتقول :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَسْوَدَّ جَانِبُهُ وَأَرْقَيْتُ إِذْ لَا خَلِيلَ إِلَّا عِبُهُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ لَزُعِزَّ عَمَّنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلَكِنَّ رَبِّي وَالْحَيَاءُ يَكْفِي وَأَكْرَمُ بَعْلِي إِنْ تَوَطَّأَ مَرَاكِبُهُ

قال : فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل
ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل ؟ فسكتت واستحييت وأطرقت فقال :
أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر ؟ فرفعت طرفها تعلم أنها لا تصبر أكثر
من ستة أشهر ، فكتب الى صاحب الجيش أن يقفل من الغزو الرجال
إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم . وغزا رجل من الانصار وله جار يهودي
فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشأ يقول :

وَأَشَعَتْ غَرَّةَ الْإِسْلَامِ مَنِّي خَلَوْتُ بِعِرْسِهِ لَيْلَ النَّهَمِ

أَبَيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا وَيُضْحِي عَلَى جَرْدَاءٍ لِأَحْقَةِ الْحِزَامِ

فسمع ذلك جاز له فضربه بالسيف حتى قطعه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : أنشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام . فقام الرجل فحدثه ، فقال : أحسنت أحسنت ، وقام الايات :

كَأَنَّ مَجَامِعَ الزَّبَلَاتِ مِنْهَا فَنَامَ قَدْ جُمِعْنَ إِلَى فَنَامِ

[ومنه اخبار العرب] قيل : لما خرج امرؤ القيس بن جحدر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بني اسد لقتلهم اباة جحدر بن الحارث راسل بنت قيصر ، وأراد أن يختدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فندمهم من ذلك وأمر بقميص فغمس في السم وقال لامرئ القيس : البس هذا القميص فاني أحببت ان اوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه ففعل السم فمد جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح ، وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول :

ظَلَمْتُ لَهُ نَفْسِي بِأَنْ جِئْتُ رَاغِبًا إِلَيْهِ وَقَدْ سَيَّرْتُ فِيهِ الْقَوَافِيَا
فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَقَدْ مَاءَ ظَلَمْتُهُ وَبِالصَّاعِ يُجْزَى مِثْلَ مَا قَدْ جَزَانِيَا

قيل : وكان النابغة يشيب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الأيهم الغساني ، فنزل عليه وأقام عنده ، وكتب إلى النعمان :

حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

لَنْ كُنْتَ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَهُ لَمْ يُلْغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ

قيل . وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فآخذه أبوه فضربه ضرب التلف ، فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات وبكته وكان اسمها سمية فقال عنترة :

أَمِنْ سُمِيَّةٍ دَمَعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تَكَلَّمْنَا ظَنِّي بُعْثَفَانَ سَاجِي الْعَيْنِ مَطْرُوفُ
قَامَتْ تُجَلِّئُنِي لَمَّا هَوَى قَبْلِي كَأَنَّهَا صَنَمٌ يَعْتَادُ مَعْكُوفُ
الْمَالُ مَا لَكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَضْرُوفُ

قيل . ولما أنشد عبد الحسحاس عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته التي يقول فيها :

تَوَسَّدْتَنِي كَفًّا وَتَمَضَى بِمَقْصَمِ عَلِيٌّ وَتَنَحَو رِجْلَاهَا مِنْ وَرَائِيَا
فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَتَهَجَّ الْبُرْدُ بِأَلِيَا
وَهَبْتَ لَنَا رِيحَ الشَّمَالِ بِقُوَّةِ وَلَا بُرْدَ إِلَّا دِرْعَهَا وَرِدَائِيَا
أَمِيلُ بِهَا مِمْلَ الرَّدِيفِ وَأَتَقِي بِهَا الرِّيحَ وَالشَّفَانَ مِنْ عَن شِمَالِيَا
رَأَتْ قَتَبًا رَثًّا وَأَخْلَاقَ شَمْلَةٍ وَأَسْوَدَ مِمَّا يَلْبَسُ النَّاسُ عَارِيَا
تَجَمَّعْنَ شَتَّى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ وَوَاحِدَةٍ حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا
سُلِّمَنِي وَسَلَّمَنِي وَالرَّبَّابُ وَرَبُّهَا وَأَزْوَى وَرِيَا وَأُمْنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلَنَ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ يُعِدُّنِي إِلَّا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال :

وَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعْشَرٍ عَرَقَ عَلَى مَتْنِ الْفِرَاشِ وَطِيبُ

وجدوه شارباً مثلاً فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فأهوى إليها فقتلوه .

٤١ - مساوي شدة الغيرة والعقوبة عليها

حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسر معه قوم ، فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فبعاءت به جارية ، فبينما هي تصب الماء على يده إذ استمدها وأشار إليها مرتين أو ثلاثاً فلم تصب عليه ، فأكر ذلك ورفع رأسه فإذا هي مصفية بسمها مائلة بجسدها إلى صوت غناء من ناحية العسكر ، فأمرها فتبعت فسمع الصوت فإذا رجل يغني فانصت له حتى فهم ما غنى ، فدعا بجارية غيرها فتوضأ ، فلما أصبح أذن للناس فأجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم أنه يشتميه ؛ فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سرات الناس ، فقال : هل بقي احد يسمع منه ؟ فقال رجل من القوم : عندي رجلان من أهل الأبله محكمان قال : فاین منزلك من العسكر ؟ فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان : ابعت اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه ميمير ، فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال : محكم قال : متى عهدك به ؟ قال : البارحة قال : وفي أي النواحي كنت ؟ فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال : وما اسم صاحبك ؟ قال : سنان قال : فأقبل سليمان على القوم فقال : هدر الفعل فضعت النافقة ، ونبت التيس فشكرت الشاة ، وهذل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة ، ثم أمر به فنحى وسأل عن الغناء أين أصله ؟ قالوا : بالمدينة وهم الخنثون ، فكتب إلى

عامله أن اخص من قبلك من الخنثين . وحدث الأصمعي أن الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَقَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَهَا السَّحَرُ
تَدْنِي عَلَى الْخَدِّ مِنْهَا مَنْ مُعْصَفَرَةٌ وَالْحَلِيُّ بَادٍ عَلَى لَبَّاتِهَا خَصِرُ
فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ مَا يَذَرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرُ
لَمْ يَمْنَعِ الصَّوْتُ أَبْوَابَهُ وَلَا حَرَسَهُ فَدَمَعُهَا لِطُرُوقِ اللَّحْنِ يَنْحَدِرُ
لَوْ تَسْتَطِيعُ مَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشْيِ تَنْفَطِرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي ، فوجهه إلى سنان فاحضره ، ووجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول :

اسْتَبَقْنِي إِلَى الصَّبَاحِ أَعْتَذِرُ إِنَّ لِسَانِي بِالشَّرَابِ مُنْكَسِرُ
فَأَرْسِلِ الْمَعْرُوفَ فِي قَوْمٍ نَكُرُ

فأمر به فخصي وكان بعد ذلك يسمى الخصي . وعن علي بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذا أتاه خادم فساره بشيء فنهض سريعا فقال : لا تبرحوا ، فمضى فأبطأ ، ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى بمنديل فقام بين يده ، فأقبل يردد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ، ضع ما معك فوضع الطبق وقال : ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جارتين لم ار والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر

منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فأعظمنا ذلك فقال : أندرون ما شأنها ؟ قلنا : لا ، قال بلغني أنها تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهي الي أخبارهما فجاءني وأخبرني أنها قد اجتمعتا فبجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتها ثم قال يا غلام : ارفع ورجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئاً وحدثنا ابراهيم بن اسمعيل عن ابن القداح قال : كانت للربيع جارية يقال أمة العزيز فأهداها المهدي فلما رأى حسنها وجامها وهياتها قال : هذه لموسى أصلح فوهبها له ، فكانت أحب الخلق اليه ، وولدت له بنيه الاكابر ثم ان بعض اعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول : ما وضعت بيني وبين الارض مثل أمة العزيز ، فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناولوه كأساً فيه شراب ، فقال الربيع : فعلمت أن نفسي فيها وإني أن رددتها من يدي ضرب عنقي ، فشربتها وانصرفت ، فجمع ولده وقال : اني ميت ، فقال الفضل ابنه : ولم تقول ذلك جعلت فداك قال : إن موسى سقاني شربة فانا أجد عملها في بدني ثم أوصى بماله ومات في يومه . قيل : وطرب الرشيد الى الغناء متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحق ابن ابراهيم الموصلي ، فقال يا مسرور : اقرع الباب ، فخرج اسحق ، فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ، ثم قال : إن رأى امير المؤمنين ان يدخل منزل عبده ، فنزل الرشيد . فدخل فرأى اثر الدعوة فقال : يا اسحق اني ارى موضع الشرب من كان عندك ؟ ما كان عندي يا امير المؤمنين سوى جاريتي كنت أطارحها ، قال : فيها حاضرتان ؟ قال : نعم قال : فاحضرهما ، فدعا الجاريتين فخرحنا مع احدهما عود حتى جلسنا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغني فغنت :

بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجُودِ فَلَوْ أَنُصِفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمَّجُ

لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْهَوَى

عَاشِقٌ يُكْثِرُ تَأْلِيفَ الْحَجَجِ

فقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً هو خيرٌ من كثيرٍ قد مُزج

فقال الرشيد : يا اسحق لمن الشعر والغناء فيه ؟ قال : لاعلم لي به يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت في الارض ثم رفع رأسه ، وأخذ العود من حجر هذه فوضعه في حجر الاخرى ثم قال لها ، غني ، فغنت .

إِنْ يُنْسِ حَبْلُكَ بَعْدَ طَوْلِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَأَصْبَحَ يَبْتَكَمُ مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَيَّ بَلَى زَمَنًا بَوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا
كَنتَ الْهَوَى وَأَعَزُّ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَى

عندي و كنتُ بذاك منك جديراً

فقال يا اسحق لمن الشعر والغناء فيه ؟ قال : لاعلم لي يا سيدي ، فرد المسألة على الجارية ، فقالت : لستي ، قال : ومن سنك ؟ قالت : عليّة أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ، ثم وثب وقال لمسرور خادمه : امض بنا الى منزل عليّة ، فلما وقف بالباب ، قال : استأذن يا مسرور فخرجت جارية ، فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستمها ، فخرجت تستقبله وتغديه ، فقال : يا عليّة هل عندك ما نأكل ؟ قالت : نعم يا سيدي ، قال : وما نشرب ؟ قالت : نعم ، فدخل وجلس ، فقدمت اليه الطعام فأكل حاراً ، وبارداً ، ورطباً ، ويابساً . ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين ، فألبستهن انواع الثياب وصقنهن في الايوان وتناول الرشيد الشراب ، فأمر الجواري يغنين ، ثم سقى اخنوخ حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها ، وفترت اجفانها وكانت من أجل النساء . ففرض الرشيد الى حجر بعض الجواري في اخذ العود وقال : يا عليّة بجياقي غني :

بُني الحبُّ على الجورِ فلو

فعلت انها داهية ، فبكت ، فصاح الرشيد ، فخرج الجواري وبقي هو وهي ، فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطراباً شديداً ، ثم بردت فنجى الوسادة عنها وقد قضت نجها ، فخرج وقال للخادم : اذا كان غداً فادخل وعزني ، وركب متوجها الى قصره ، فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى ، فقال :

قبرٌ عزيزٌ علينا لو أنَّ من فيه يُفدى
أسكنتُ قُرَّةَ عيني ومُهْجَةَ النَّفْسِ لَحداً
ما إنْ أرى لي عليها من التَّوَجُّعِ بُداً

ومنه ما حكى عن البهائم قال شيخ من بني قشير : كنا في نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها ، فلما فرغ فتحنا العصاة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره بأسنانه فقطعه . ومنه في خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه : لا تكثر الغيرة على اهلك فتروى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ، ولا تكثر الضحك فيستخفك فؤاد الرجل الحليم ، وعليك بجشمة الله فانها غلبت كل شيء . وقال عبدالله بن جعفر لابنته : اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فانه أزين الزينة ، واطيب الطيب الماء . قيل : وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرزبته يقال له البارجان ، وكانت تأتيه سرا فبلغ زوجها ذلك فأمسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم ، فقال كسرى : بلغني ان لك عين ماء عذبة ، وانك قد اجتنبتها فلا تقر بها ، ففطن ، فقال له : ايها الملك بلغني ان الأسد يتناوب تلك العين ، فاجتنبها خوفاً منه ، فأعجب كسرى بمقالته وامر ان يتخذ له تاج لا قيمة له ثم

دخل كسرى دار نسائه فقا سمهن نصف حلين فاجتمع من الجوهر ما لا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ، ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال بعضهم : كنت أغار على امرأتي فاشرفت علي يوماً وأنا مع جارية لي ، فلقيت منها اذى حتى حلفت ان أبيع الجارية ، فخرجت أريد شراء حوائج لي ومعى الجارية ، أتيت دكان خلال شري الخلل فوجدته خالياً فقلت له : يا هذا تأذن لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني أريد بيعها ، قال نعم : جعلت فداك ادخل حيث شئت فأصبت من الجارية ، فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو في قميص قد أنعظ فقال : فرغت قلت : نعم ، قال : بسم الله أتأذن لي جعلت فداك ، قلت ويلك ما تريد ! قال : أقضي وطري منها ، قلت : يا بن الفاعلة حرمتي ، قال : لا يضرك شيئاً فاني اسرع . ثم وثب كأنه السبع ، فضاربه حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد . قال ودخل رجل من بني زهرة من أهل المدينة على قينة فسمع غناها عند مولاه ، فخرج مولاه في حاجة ثم رجع ، فاذا جاريته على بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : لأنك لا تقبل لاجله عذراً ، قال : يا زانية لو رأيتك على ففأك قلت : صريع مغلوب ، ولو رأيتك على وجهك لقلت : وعاء مكبوب انما رأيتك فارساً مصلوباً . وحكي عن ثامة انه قال المهدي : ان النساء شقن شقاً ، وان هشيمة نقتت نقباً ، وكانت هشيمة امرأة ثامة فسأله المهدي ان ينزل عنها ففعل ، وأقام المهدي حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبني بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال ابو طاهر أنشدني بعض الشعراء يهجو بني القعقاع :

بني القَعْقَاعِ أَكْرَمُكُمْ لَيْسَ
وَأَعْظَمُ مَجْدِكُمْ رَكْبُ حَلِيقُ
وَأَنْتُمْ فِي نِسَائِكُمْ اتَّسَاعُ
وَفِي أَخْلَاقِكُمْ نَكْدُ وَضِيقُ

وعن عبد الله بن ياسين قال : كان في المهدي غزل وشدة حب للخلوۃ بالنساء فبلغه عن ابنة لابي عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران : استزيريها ، فزارتها ، وجاءت اليها فقالت لها : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستتر عنه ، فقال لها المهدي : انا وليك فزوجيني نفسك ، فقالت : انا أمك ، فتزوجها ونال منها ، فلما انصرفت اخبرت اخوتها بما كان فقالوا : امسكي عنه ، فلما كان بعد مدة قالوا لها : استزيري الخيزران ، فاستزارتها ، فلما صارت اليها قالت : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلنا معاً ما شعرت الخيزران الا ببني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستتوت عنهم ، فقالوا لو أردنا ان نفعل كما فعلتم مجرمتنا لفعلنا ولكننا لا نستحل ، فقالت لهم : والله لو رمت ذلك لأمرت الخدم بقتلكم ، فانصرفوا ، فلما رجعت الخيزران اخبرت المهدي بذلك فكان السبب في قتل المهدي محمد ابن أبي عبيد الله على الزندقة ، وبلغه ايضاً عن عونۃ بنت أبي عون جمال وهيئة ، فقال للخيزران : استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلنا ما شعرت الا بالمهدي قد وافاها فاستتوت بالخيزران وقالت : والله لئن دنوت مني لأضربن بالكرنيب وجهك ، فقال : ويلك إنما أردت ان أتزوجك ، قالت : لا سبيل الى ذلك ، فانصرف عنها ، فاخبرت أباه . فقال أحسنت في فعلك .

٤٢ — محاسن القيادة

الحسن الجرجاني قال : حدثني مهم بن عبد الحميد الحنفي قال . خرجت من الكوفة أريد بغداد ، فلما نزلت بسط غلماننا وهبوا غداًنا ، فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فأخذوا دابته ، فدعوت بالغداً فبسط يده غير محتشم وما أكرمه بشيء الا قبله ، وكنا

كذلك اذ جاء غلمان به بقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن
اسماعيل الثقفي ، فارتحلنا في قافلة منا لا يدرك طرفاها ، فقال طريح :
ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف ، فاذا
خلونا بالخانات والطرق كان أرواح لأبداننا ، قلت : ذلك اليك ، فنزلنا
من الغد الحان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر ، فقال : هل لك ان
تستنقع فيه ؟ فمررنا ، اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبه آثار ضرب كثير
فوقع في نفسي منه شر فنظر الى ففطن وتبسم ، وقال : قد رأينا ذعرك
بما ترى وحديث ذلك يجري اذا مررنا بالعشية ، فلما مررنا قلت له : الحديث
قال : نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار ، وكتب الى
يوسف بن عمر ، فلما أتته ملأ يدي خيراً ، فخرجت مبادراً الى الطائف ،
فلما امتد بي الطريق وليس بصحبي فيه أحد عن لي اعرابي على قعود له ،
فحدث أحسن الحديث ، وروى الشعر ، فاذا هو راوية فأنشد فاذا هو
شاعر ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : لا أدري ، قلت : وما القصة ؟
قال : أنا عاشق لامرأة قد أفسدت علي عيشي وقد حذرني أهلها وجفاني
لها أهلي وانما أستريح بأن أنحدر الى الطريق مع منحدر وأصعد مع
مصعد ، قالت : فأين هي ؟ قال : تنزل غداً بازائها ، فلما نزلنا أراني
طريقاً عن يسار الطريق ، فقال : ترى ذلك الطريق ؟ فقلت : أراه ،
قال فترى الخيم التي هناك ؟ فقلت : نعم ! قال : فانها في الخيمة الحمراء ،
فأدركتني أريحية الحدث ، فقلت : والله إني آتيها برسالتك فمضيت حتى
انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها
فزفرت زفرة كادت تنتقض أضلاعها قالت : أوحى هو ! قلت : نعم
تركته في رحلي وراء هذا الطريق ! قالت بأبي أنت وامي ارى لك
وجهاً حسناً يدل على الخير فهل لك في امر ؟ قلت : فقير اليه ! قالت :
البس ثيابي فأقم مكاني ودعني حتى آتية وذلك عند مغربان الشمس فانك
اذا أظلم الليل أتاك زوجي ، فقال لك يا فاجرة وباهنة ابنة الهنة فيوسعك

شتما فأوسعته صمتاً ، ثم يقول في آخر كلامه اقمعي سقاءك يا عدوة الله
 فضع القمع في هذا السقاء وإياك وهذا السقاء الآخر فانه واه ! قلت : نعم
 فأجبتها الى ما سألت فجاء الزوج على ما وصفت وقال : اقمعي سقاءك
 فحيرني الله ان توكت الصحيح وقمعت الواهي ، فما شعر الا بالبلن يتسبب
 بين رجله فعدا الى كسر الحيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ
 ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقي رأساً ولا وجهاً ولا رجلاً حتى خشيت أن
 يمدو له وجهي فتكون الأخرى فالزمت وجهي الارض فعمل بظهوري ما
 توى ، فلما تغيب عني جاءت المرأة باكية فرأت ما بي من الشر واعتذرت
 وأخذت ثيابي وانصرفت ، قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن
 عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من رأى
 سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابياً
 فصيحاً فعجب منه وكان حسن الوجه نجيباً فلما ما رأيت في القتيان مثله ، قال :
 كان منافقاً يقال له الأستر بن عبد الله وكان سيد بني هلال وأحسنهم وجهاً
 وأسغاهم كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال ، فلما اشتهر أمرهما
 وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتى قتل بينهما القتل فافترقوا فريقين
 فلما طال على الأستر البلاء جاءني يوماً وقال : يا غير هل فيك خير ؟ قلت :
 عندي ما أحببت ، قال : تساعدني على زيارة جيداء ، قلت : بالحب
 والكرامة فانقض اذا شئت ، قال : فركبنا وسرنا يوماً وليلة والغداة حتى المساء
 فنظرنا الى أدنى سرب لهم فأفئنا رواحلنا في شعب وقعدنا هناك وقال يا غير :
 اذهب وأنشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى
 بشقة ولا لسان الى ان تلقى جارتها فلانة راعية الضأن فتقرئنا مني السلام
 وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني ، قال : فخرجت لا أتعدي ما أمرني به
 حتى لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت :
 هي مشددة عليها محتفظ بها وعلى ذلك فمؤدكاً عند الشجرات اللواتي عند
 أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى

أتينا الموعد في الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جِدا
تمشي فدننا منا فوثب اليها الأستر فتصافحا وسلم عليها ووثبت موليا عنها
فقالا : أقسمنا عليك الا رجعت ، فوالله ما بيننا من ربة ولا قبيح نخلو
به دونك فانصرفت اليها وجلست معها ، فقال الاستر : ما فيك حيلة
يا جِدا فتزود منك الليلة ؟ قالت : لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان
أرجع الى الذي تعلم من البلاء والشر ! فقال : لا بد من ذلك ولو
وقعت السماء على الارض ، قالت : فهل بصاحبك خير ؟ قلت : بلى ،
وهل الخير الا عندي ؟ فأسألي ما بدالك فاني منته اليه ولو كان في ذلك
كله ذهاب نفسي فألبستي ثيابها وأخذت ثيابي ثم قالت : اذهب الى
خبائي فادخل في ستري فان زوجي يأتيك مع العنقة فيطلب منك القدح
ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت أفعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح
ملانا لبنا فيقول : هاك فلا نأخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه
أو ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت
ما أمرتني به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فأطلت نكدي عليه ثم أهويت
لأخذه فاختلفت بدي ويده وانكأ القدح فاندفق منه اللبن فقال : ان هذا
الطماح مفرط وضرب يده الى جانب الحباء فاستخرج سوطا فضرني مقدار
ثلاثين سوطا حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا
ذلك حتى زالمتني روحي وهمت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عني وهو
معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جِدا ، فحدثتني وهي
تحسبني ابنتها فأثمتها بالسكوت وتغطيت بثوبي دونها فقالت : يا بنية اتقي
الله ولا تعرضي للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ، ثم خرجت من
عندي فقالت : ما رسل اليك أخنك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث
أن جاءت الجارية تبكي وتدعو على من ضربني وانا لا أكلها ثم اضطجعت
الى جانبي فلما استمكن منها شددت يدي على فها وقلت : يا هذه تلك
أخنك مع الاستر وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى من ستر عليها

فاختاري لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدي عن فيها فاهتزت مثل القصة من الروع وبأت معي ونلت منها الشهوة التامة ورافقتني أصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئاً ألد مما ذقت منها قط فلم تزل نتحدث وتضحك مني وبما بليت به حتى برق النور وجاءت جدياء فلما رأتنا ارتاعت وقالت : من هذا عندك ؟ قلت : أختك ، قالت : وما السبب ؟ قلت : هي تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابي وأتيت صاحبني فأخبرته بما أصابني وكشفت له عن ظهري فاذا فيه ما الله به عليم ، فقال : لقد عظمت منتك عندي ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا حرمني الله مكافأتك وعن رجل من بني عامر أنه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فبهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شأنها قال : فوقفت عليها ، فاذا هي أحسن خلق الله وجهاً وأغزله وأملحه فتلاقينا كلاماً غير كثير ، فقالت : أسألك شيئاً فهل لك به علم ؟ قلت : سلي : ، فقالت : أيها أحسن جردة الرجل ام المرأة ، قلت : الرجل قالت : بل المرأة فان أحببت ان تعلم ذلك علمته ، قلت . وكيف أعلمه ؟ قالت : أتجود لك من ثيابي وأرميمها عني ثم أمشي حتى أبلغ الأكمة ثم أقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت ، فقلت : لك عهد الله إن فعلت لأفعله ، قال فألقت ثيابها عن أحسن ما نظرت اليه قط ، بياضاً ونظافة وحسناً ، فلما انتهت الي قالت : الوفاء ، قلت : الوفاء ونعمة عيني فخلعت ثيابي وأنا كأهبي الغتيان وأهياهم حتى مضيت بعد الغاية ، فلما انتصف بي المدى سمعت خرخرة جملي فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد لزمت المحبجة ، فناديتها فلم تعرج علي ، ولبست ثيابها وتحمزت بنجارها ، وركبت بعيرها وزجرتها ، فانبعث بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما اراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان الحق الظعن حتي روأتي من بعيد وجعلوا ينادون ويحك اقبلي ! وأنا

صامت لا أنكلم ولا أتقدم ، فلما طال عليهم أمري ، بعثوا بجارية لهم مولدة فأقبلت تعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي وأنا متبرقع أحسن الناس وجهاً وعيناً . فنظرت الجارية في وجهي ساءة . ثم قالت لقد أمسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى أتت الحي ، فقالت أم الجارية : يا بنية لقد استجيت من الناس بما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء . وقالت إحداهن : والله انه لرجل فطن وأنزلني العجوز وأدخلتني الستر ، وقالت : من أنت لا افلحت ؟ قلت : بل ابنتك لا افلحت ولا انجحت ، وقصصت عليها قصتها ، فقالت : نشدتك الله الا اعرتني نفسك هزيعاً من الليل فانا كنا على ان نبي بابنتي صاحبة الجمل الليلة وما في الحي رجل غير زوجها ، وهو انسان فيه لومة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام امرود فلا ينكرك ولا اراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد بيضاء واقبلت وأخت لابنتها وخالتها فألبسنني ثوب العررس وطيبنني : ثم دفن بي نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها : أنا لك الفداء نجسد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك . وستأتيك الكافرة فأدخلتني على مثل الأسد الا ان به لومة كما قالت فاعتركتنا حتى أعيا وكف عني وطال بي الليل حتى سمعت خرخرة جملي ، فلم ألبث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معها فجعلتها مكاني وفتشت عن سرها فاذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه . وأتيت ثيابي فنهضت مبادرا لا ألوي على شيء حذراً بما لقيت . قال وملك النعمان بن المنذر أربعين مئة فلم تر منه سقطة غير هذه : وهو أنه ركب يوماً فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فأعجبته فجأها فدعا بعدي بن زيد وكان نديمه ووزيره ، فقال له : يا عدي لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ، ولا بد من أن أتلف أو تتلف لي حتى تجمع بيني وبينها ، قال : ومن هي ؟ قال : سألت عنها فقيل : هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشراف الحيرة ، قال : فهل أعلمت أحداً قال : لا قال : فاكتبه فاذا أصبحت فجدد الحكم كرامة وبراً . فلما أذن

للناس بدأ به فأجلسه معه على سريريه وكساه ، فاستعظم الناس ذلك ، فلما أصبح بدأ أيضاً بالأذن له وجملة فأنكر الناس ذلك . فقالوا : ما هذا إلا لأمر فصنع به ذلك أياماً . ثم قال له عدي : أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق إحداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال : يا حكم ما كانت نفسي تسمح بهذا لولد فتزوج فلانة فقد طلقته فخرج حكم الى عدي فقال : يا أبا عوير ما صنع الملك بأحد ما صنع بي وما أدري بما أكفيه . قال له عدي : طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظي بها عدي عنده وعلم حكم أنه قد مكر به في امرأته . وفيه يقول الشاعر :

ما في البرية من أنقي تعادِلُها إلا الذي أخذ النعمان من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي قال : قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة . وكان سليمان بن عبدالله الاسلمي وابن أخ له مقيمين بناحية الروحاء . فأرسل النسوة الى سليمان وابن أخيه أما لهما حاجة في الحديث ؟ فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع أزواجكن ؟ فقلن انما خرج أزواجنا للصيد وقد بلغنا أن لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد ما لا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لاسرعوا إليه وتخلقتم وتحدثتم ما شئتم يعنين به محمد بن بشير ، فمضى اليه سليمان وابن أخيه فقال يا أبا محمد : أرسل اليها النسوة بكذا وكذا وسألوني أن أخرجك الى الصيد ، فقلت : لا والله لا أفعل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تنلهون وتحدثون انا لذا أشد حبا وأكثر صباة وشوقاً فارسلنا الى النسوة بمقاتلي ، فارسلن إلي رسول وعاهدني لئن أخرجتهم ليحتلن لي حتى أخلو معهن ليلة حتى يصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي فما زلت أحدثهم بالصدق حتى أخذت في الكذب بما يضارع الصدق حتى أفنيتهم فأقت معهم ثلاثة أيام

وليالها ، ثم انصرفوا من أن غير أن اصطدنا شيئاً ، فقلت في ذلك .

إِنِّي انْطَلَقْتُ مَعِيَ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ مَا فِي خَلَائِقِهِمْ زَهُوٌّ وَلَا حَقٌّ
 أَنِّي لَا أُعْجَبُ مِنْهُمْ كَيْفَ أَخَذَهُمْ أَمْ كَيْفَ آفَكَ قَوْمًا مَابِهِمْ رَهَقُ
 أَظَلُّ فِي الْأَرْضِ الْهَيْهَمَ وَأُخْبِرُهُمْ أَخْبَارَ قَوْمٍ وَمَا كَانُوا وَلَا يُخْلِقُوا
 وَلَوْ صَدَقْتُ لَقُلْتُ الْقَوْمُ قَدْ دَخَلُوا حِينَ انْطَلَقْنَا وَإِنِّي سَاعَةً انْطَلَقُوا
 فَلَوْ أَجَاهِدُ مَا جَاهَدْتُ دُونَكَمُ

فِي الْمُسْرِ كَيْنَ لَا ذَرَكْتُ الْأَوَّلَى سَبَقُوا
 إِنْ كُنْتُ أَبْدَأُ جَارِي مِنْ حَلَالِ تِلْكَ وَالْدَّهْرُ ذُو عَنَفٍ أَيَّامُهُ طُرُقُ
 فَإِنَّ كُلَّ جَدِيدٍ عَائِدٌ خَلَقًا فَلَنْ يَعُودَ جَدِيدًا ذَلِكَ الْخَلْقُ

قال فظفر أصحابي بالحديث والمغازلة وأنا بالجهد والخبية مع أتم القيادة والتعب وكذب الحادثة . وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال : خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الوائقي ومزيد بن محمد بن أبي الفرج الهاروني وكييل عبدالله بن طاهر فاذا بجارية حسناء في منظر لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت إليه السلام وأومأت بيدها إلى صدرها فأعجب بها فلما صار إلى منزله دخلت إليه فرأيت به بخلاف ما عهدت وكان لا يكتنني شيئاً فقلت : مالي أراك مدلها يا أبا الحسن : قال : رأيت شيئاً أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول :

وَابَائِي مُخَضَّبٌ أَوْمَى إِلَيْنَا بِيَدِهِ
 أَوْمَى بِهَا يُخَبِّرُنِي رَاحَتُهُ فِي كَبِدِهِ

أَنَّ الضَّئِيَّ فِي جَسَدِي يُجَبِّرُنِي عَنْ جَسَدِهِ
فَلَيْسَ لِلْحَاسِدِ إِلَّا خَصْلَةٌ مِنْ حَسَدِهِ

ثم شرح لي القصة ، ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه :

هَذَا مُحِبُّكَ مَطْوِيٌّ عَلَى كَعْدِهِ عَبْرَى مَدَامَعُهُ تُجْرِي عَلَى جَسَدِهِ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهَا مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبْدِهِ

فقبلها وحسن موقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فأصبت فيها ألف ألف درهم قال السجستاني : أرق الرشيد ذات ليلة فوجهه الى عبد الملك الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما : عللاني بأحاديثكما وابدأ أنت يا حسين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منعجراً الى البصرة وامتدحاً لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدي فقبلها وأمرني بالمقام ، فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فأصابني حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقي فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى وسناء العيين زجاء الحاجبين مهففة الخصر حاصرة الرأس مفتوحة الجربان عليها قميص لاذلناري ورداء عذني قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن مثل القراطيس لها جمجمة جمدة بالمسك محشوة ؛ وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبع وحاجبان مقرونان وعينان كحلوان وخدان أسيلان وأنف أفنى تحته ثغر

كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود
الهندي على لبثها عبق الخلوق وهي والهة خبرى وافقة في الدهليز وجائية
تخطر في مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تخطر على اكباد
محبها فهي كما قال الأفوه الأودي :

ليسَ منها ما يُقالُ لها كَمَلْتُ لو أنَّ ذا كَمَلًا
كلُّ جزءٍ من محاسنها كائنٌ من حُسنها مَثَلًا
لو تَمَنَّيتُ في براعتها لم تجِدْ في حُسنها بَدَلًا

فهيتهما والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار ،
والدهليز ، والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان
منكسر ، وقلب حزين محرق فقلت لها : يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني
عطش فأمرني لي بشربة من ماء . تؤجري ، قالت : اليك عني يا شيخ فاني
مشغولة عن سقي الماء وادخار الاجر ! فقلت لها : يا سيدتي لأية علة :
قالت لأنني عاشقة من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة
برقباء فوق رقباء قلت لها : يا سيدتي هل على بسيط الارض من تربيته
ولا يريدك قالت : انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من
الجمال والدلال ، قلت لها : يا سيدتي فما وقوفك في الدهليز ، قالت : هو
طريقه وهذا أوان اجتيازه . قلت لها : يا سيدتي هل اجتمعتما في خلوة في
وقت من الاوقات أم حب مستحدث ؟ فتنفست الصعداء وأرخت دموعها
على خديها كطل على ورد ، وأنشأت تقول :

وكنا كغصني بانه وَسَطَ رَوْضَةٍ نَشُمُ جَنَّا اللَّذَاتِ في عَيْشَةٍ رَغَدٍ
فأفردَ هذا النُصْن من ذاك قاطِعُ فيما من رأى فرداً يَجِنُّ إلى فردٍ

قلت لها : يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ، قالت : أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغمة فاهت وتهرب الروح عن جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل ، قلت لها : عزيز علي وأنت علي ما بك من الضنا وشغل القلب بالهوى والمخلال الجسم وضعف القوى ما أرى من صفاء اللون ورقة البشر فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت مقيمة في ارض البصرة ، قالت : كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنتم جميع ملوك البصرة وفتنتني هذا الغلام ، فقلت : يا هذه ما الذي فرق بينكما ؟ قالت : نواب الدهر ، وأوابد الحدائق ولحديشي وحديثه شأن من الشأن وأنيك أمري ! اني كنت افصدت في بعض أيام النيروز فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع الفرش وأواني الذهب ونضدنا الرياحين والشقائق والمنشور وأنواع البهار ، وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواردي جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن ، فلما حصلت عندي رمت بنفسها علي تقطعني عضا وقرصا ، ثم خلونا نتمزق القهوة الى أن يدرك طعامننا ويجمع من دعونا فتارة هي فوق ، وتارة أنا فوقها ، فحملها السكر على ان ضربت يدها على تكتي فجعلتها ونزعت هي سراويلها وصارت بين فخذي كصير الرجال من النساء ، فبينما نحن كذلك إذ دخل علي حبيبي وقد التزق قرطي بخلخالي فلما نظر إلينا اشتهأ لذلك وصدف عني وعنهما صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصلا اللجم وعض على أنامله وولى خارجا ، فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمنته واستعطفه فلا ينظر إلي بعين ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولا ، قلت لها : يا هذه أفمن العرب هو أم من المعجم ؟ قالت : هو من جلة ملوك البصرة ، قلت من أولاد نياها أو من أولاد تجارها ، قالت : من عظيم ملوكها ، قلت لها : أشيخ هو أم شاب ؟

فنظرت الي شزرا وقالت : انك لأحق أقول : هو مثل القمر ليله البدر
أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعاوه شقرة في بياض عطر لباس
ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور
يغني وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء إلا انحرافه عني لا نقصا لي منه
بل حقدآ لما رأي عليه قلت : يا هذه وكيف صبرك عنه ؟ فأشأت
تقول :

وَجُفُونُ عَيْنِي سَاجِفَاتٌ تَدْمَعُ	أَمَّا النَّهَارَ فَمُسْتَهَامٌ وَالْهَـ
حَتَّى الصَّبَاحِ وَمُقَاتِي لَا تَجْعُ	وَاللَّيْلَ قَدْ أَرَعَى النُّجُومَ مُفَكِّرًا
فِي خُلْطِ عَيْنَيْهِ سِهَامٌ تَصْرَعُ	كَيْفَ اصْطَبَارِي عَنْ غَزَالٍ شَادِنٍ
وَكَاَنَّ جَبْهَتَهُ سِرَاجٌ يَلْمَعُ	وَجْهٌ يُضِيءُ وَحَاجِبَانِ تَقْوَسَا
فِي وَجْنَتَيْهِ كَأَنَّهُ مُسْتَجْمَعُ	وَبَيَاضُ وَجْهِ قَدْ أَشِيدَ بِحُمْرَةٍ
وَالْغُصْنُ فِي قَنَوَائِهِ يَتَرَعَّرِعُ	وَالْقَدْ مِنْهُ كَالْقَضِيبِ إِذَا زَهَى
كَمَثَالِ بَدْرِ بَعْدَ عَشْرِ أَرْبَعِ	تَمَّتْ خَلَائِقُهُ وَأُكْمِلَ حُسْنُهُ

قلت لها : يا سيدي ما اسمه وأين يكون ؟ قالت : تصنع به ماذا ؟
قلت : أجهد في لقائه وأتعرف الفضل بينكما في الحال . قالت : على
شريطة ، قلت وما هي ؟ قالت : تلقانا إذا لقيناه ، وتحمل لنا اليه رقعة
قلت : لا أكره ذاك قالت : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة
يكنى بابي شجاع وقصره في المربد الاعلى وهو أشهر من أن يخفي ثم
صاحت في الدار يا جوارى دواة وقرطاساً ! وشمرت عن ساعدين كأنها
طوماراً فضة ثم حملت القلم وكتبت : بسم الله الرحمن الرحيم سيدي توكي
الدعاء في صدر رقعتي ينبيء عن تقصيري ، ودعائي ان دعوت يكون

هجنة ، فلولا أن بلوغ الجهود يخرج عن حد التقصير لما كانت لما تكلفته
 خادمته من كتب هذه الرقعة معنى مع إياسها منك وعلمها بتركك
 الجواب ، سيدي فجد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحي بها
 أنفسا مينة أسرى ، واخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها
 عوضا من تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أناذاكرتها ،
 سيدي ألسنت لك محبة وبك مدقة ؟ فان رجعت مولاي الى الاشبه بك
 وأقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة ، فلما فرغت
 من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياي فقلت لها : ياسيدي قد وجب
 حقك علي ولزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك وكنت قد سألت شربة ماء ،
 قالت : أستغفر الله ما فهمنا عنك ، ثم صاحت في الدار أخرجنا لينا شرابا
 من ماء وغير ماء ، فما كانت الا أن أقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الطاسات
 والجامات والأقداح والأقداح مملوءة ماء وتلجأ وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم
 قلت : ياسيدي مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد
 والجواري فلم لا تأمرين احدي الجواري أن تقف مراعية للغلام حتى اذا
 مر أعلمتك فتخرجين اليه ؟ قالت : لا تغلط يا شيخ فتمثلت :

عَبَاةٌ عُنُقِ اللَّيْمِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ إِذَا رَامَ أَمْرًا قَامَ فِيهِ بِنَفْسِهِ

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ، فلما أصبحت غدوت على محمد بن
 سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاماً قد زان
 المجلس وفاق من فيه حسناً وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقبل :
 ضمرة بن المغيرة فقلت : في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل هو والله
 قاتلها فيما أرى ، ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد
 ورد في موكب جليل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه
 وفاوضته في الذي بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال : يا
 شيخ قد استبد لنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل ؟ قلت : نعم ، فصاح

في الدار يا جوارى اخرجن الينا لذيذا فما كان الا أن طلعت جارية وضينة
الكمين زاهدة الثديين تمشي مشية مستوحل تخرج من دقة خصرها على كبر
عجزها ذات فخذين وعجيزتين تحتطفان الانفس اختطافا على رأسها بطيخة من
الكافور مكتوب على جبينها .

آه من الحُبِّ آه ما أقتل الحُبِّ وأضناه

ودون ذلك مكتوب :

عِيَارَةٌ مِيَّاسَةٌ فِي الْخُطَى رَخِيمَةُ الدَّلِّ صَيُودٌ لِلرَّجَالِ

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة أسطر وهي :

إِذَا غَضِبْتَ رَأَيْتَ النَّاسَ قَتَلِي وَإِنْ رَضِيتَ فَأَرْوَحُ تَعُودُ
لَهَا فِي عَيْنِهَا لَحْظَاتُ سِحْرِ تُمِيتُ بِهَا وَتُحْيِي مَنْ تُرِيدُ
وَتَسْبِي الْعَالَمِينَ بِمُقَلَّتِيهَا فَكُلُّ الْعَالَمِينَ لَهَا عَيْدُ

فناولها الرقعة وقال : اقرئي وأجبي صاحبك ، فلما قرأت الرقعة اصفرت
وعرقت ومزقتها وضربت بها في وجه الغلام وغابت في الستر ، فقال لي :
أما أنت يا شيخ فاستغفر الله بما مشيت فيه ، قلت : بل انت استغفر الله من
هجرانك اياها وتوكلك اتيانها ، والله ما ارى لها في البشر نظيراً ، قال :
لا أفعل ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء ، فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا
أجر ذيلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي ، فقالت : ما
وراء الشيخ ! قلت البؤس واليأس قالت : لا عليك فأين الله والقدر ، ثم
أمرت لي بخمسائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا بمتدح
لآل سليمان فلم يكن لي والله إلا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه إلى
البصرة ، فوردت عليها فوجدت على بابها أمراً ، ونهياً ، وأسباباً لا تكون

الا على باب والخلفاء ، فاستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من
 شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم ، فلما نظرت الي عرفتي ووثبت
 الي وقبلت رأسي وقالت : يا شيخ الحمد لله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا ،
 وجعل الملوك بالتيه عبيداً ، إن الذين تراهم وقوفاً أصحاب ضمرة يسلون
 سخيمتي ، ويسألوني الرجوع له ، والله لا نظرت اليه في وجه ولو أنه في
 حسن يوسف وكمال حواء فسجدت يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربا الي
 الجارية فقال بعض حجاب ضمرة : مهلا يا شيخ فمن طاب محضره طاب
 مولده ثم انصرفوا ، فناولتني خريطة فيها أوراق فقالت : هذا أول ما
 ورد علينا منه ، فاذا ثوب خز أبيض يقق مكتوب فيه بماء الذهب : بسم
 الله الرحمن الرحيم لولا تغاضي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطراً من
 غدرك ولبسطت سوط عتبي عليك وحكمت سيف ظلامي فيك ، إذ كنت
 الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت
 هواي وفرشت نفسك لما على حالي جد وهزل وصحو وسكر ، والمستعان
 الله على ما كان من سوء اختيارك . وقد ضمنت رقعتي هذه أبيات شعر
 أنت المتفضلة بالنظر اليها وهي :

قَطَعَ قَلْبِي فَرَأَيْتُكُمْ قِطْعاً وَكِدْتُ أَقْضِي لِبَيْنِكُمْ جَزَعاً
 مَا تُكْجَلُ الْعَيْنُ بِالرُّقَادِ وَلَا يَنَامُ جَنْبِي فِي اللَّيْلِ مُضْطَجِعاً
 لَا عَيْشَ لِي مُذْنَاتٍ وَلَا وَجَدَتْ عَيْنَايَ فِي الْأَرْضِ قَطْ مُتَسَعاً

قلت لها : أفلا تحذرينني كيف سلبت عنه وابتلي ؟ قالت : كيف لا
 أحذرك افتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الي خورنق لمحمد ابن
 سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب ، فبينما نحن كذلك إذا بحراقة سلطانية
 قد ورت وفيها عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لي بمكانه ،
 وكنت حملت العود وغنيت :

أَبْلَى فُؤَادِي وَشَفَنِي الْآرَقُ وَالذَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يَسْتَبِقُ
مِنْ حُبِّ ظِيِّ أَغْنَى ذِي دَعَجٍ وَقَلْبُهُ لِلشِّفَاءِ مُنْطَبِقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية ، وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسألون صخيمتي ، ويستعطفونني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي ، فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال : جماعة من جلة الناس قد طرَقوا دارك يطلبونك ، فلبست ثيابي وخرجت مسرعاً فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال : والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسة دینار التي أخذتها من الجارية سيدتي ، قلت : اي والله بالسمع والطاعة ، ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ، ثم انصرف الى رحله ، فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه ، فلما نظر الى تنحي عن مقعده وأقعديني ثم قال : هذا قد أعددت له لليروز لسيدتي هدية ، وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها ، قلت : السمع والطاعة ، ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تحت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه ، فقال لي : في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديا أنكرتني ، وقالت : من الشيخ ؟ قلت : الخليلع شاعر العراق ، ومعني هدية عبدك ضمرة ، فصاحت في الدار : تملك ، فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة ، قالت لها : خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت : أبطمع الخنوص أن يجتمع معي بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة ؟ قلت : لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة ، قالت : ففي خمس عشرة سنة ، قلت : لها انقصها أولى بك ، قالت : ففي ثلاث سنين ، قلت : لها حطة أخرى وقد اجتمعنا ، قالت لا : والله لا آكل ولا أشرب حتى آتية وأمرت أن يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشراً فما وصلت أو

سمعت صلاصلا للجم فاذا هي قد سبقتنني في جوارها وخدتها ؛ فدخلت
فاذا هما يتعانقان ويتعانقان فقلت : يا سيدتي ما أنتما إلى شيء أحوج منكما
إلى خلوة ، قالا : هو ذاك فانصرفت عنهما ، ثم بكرت عليهما ، فاذا هي
في المرقد الأول جالسة عليها جبة وشيء مطير ، وهي تعصر الماء عن
ذوائبها ، وتصلح قرونها فاستحييتني ، وقالت : لا تفكرن في ربيبة ،
فوالله ما صليتنا البارحة حتى بعثت إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي
فزوجت نفسي سيدي ، ولكن صر إليه فانه في المرقد الثاني ، فصعدت
إليه ، فلما نظر إلي وثب إلي وقبل بين عيني ، وقال : يا شيخ قد جمع
الله بيني وبين سيدتي بك ، ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى ابن نوح
الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت إليها ، فقالت : بماذا برك سيدي ؟
فاقراؤها الرقعة ، فقالت : نعجل إليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت
ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت : هذه
وظيفتك علينا كل عام ، فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل
سليمان وانصرفت إلى العراق ، وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً وقال :
أوه يا حسين ! لولا أن ضمرة سبقني إليها لكان لي ولها شأن من الشأن .
(ومنه مع الشعراء) قال : استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في
الحج فأذن لها ، وكتب إلى الحجاج يأمره بالتقدم إلى عمر بن أبي ربيعة
أن لا يذكرها في شعره ، فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همه إلا أن
ينهيها بأجل ما يقدر عليه من الحلال والثياب ، وضربت لها قبة في المسجد
الحرام فكانت تكون فيها نهارة فاذا أمسّت تحولت إلى منزلها لتنظر إليه
وتجلس بازاء القبة ، وقد خبر عمر بشأنها فاذا أرادت الطواف أمرت
جوارها فيسترنها بالمطاريف ، فكانت تنطلع إلى عمر كثيراً وكانت تسأل
من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يفعل حتى قضت
الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال ، فأقبل راكب من مكة
فسأله من أين أقبلت ؟ قال : من مكة قالت : عليك وعلى فرقة أنت

منها لعنة الله قال : ولم يا بنة عبد الملك ؟ قالت : قدمنا مكة فأقمنا أشهراً فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره ألباتا كنا نلهو بها في سفرنا هذا ، قال : فلعله قد فعل ، قالت : فاذهب إليه واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير . فاقبل الرجل وأتى عمر بن أبي ربيعة فاخبره الخبر . فقال له : قد فعلت ولكن أحب أن تكتم علي . قال : افعل ثم أنشده :

راعَ الفؤَادَ تفرَّقُ الأحبابُ	يَوْمَ الرَّحِيلِ فهاجَ لي أطراي
فَظَلَمْتُ مُكْتَتِبًا أَكْفَكُ عِبْرَةً	سَعًا تَفِضُ كوابِلَ الأسرابِ
لَمَّا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ وَقَرَّبُوا	بُزْلَ الْجَمَالِ لَطِيفَةً وَذَهَابِ
كَادَ الْأَسَى يَقْضِي عَلَيْكَ صَبَابَةً	وَالْوَجْهَ مِنْكَ لَبِيبَ الْفِكَ كَلِي
قَالَتْ سَعِيدَةٌ وَالْذُّمُّوعُ ذَوَارِفُ	مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ
لَيْتَ الْمُغْيَبِيِّ الَّذِي لَمْ تَحْزِرْهُ	فِيمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا الْمُئْنَى أَيَّامَنَا	إِذْ لَا نَلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِي
أَيَّامَ نَكُتُمْ وَدَنَا وَنَوْدُهُ	سِرًّا مَخَافَةَ مَنْطِقِ الْمُغْتَابِ
أَخْبَرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا	يُزْمِي الْحِشَاءَ بِنَوَافِدِ النَّشَابِ
فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي	قُولِي لَهَا فِي خَفِيَّةٍ وَقَرَابِ
أُسْعِدْ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطِيبُهُ	مِنْنِي عَلَى ظِلْمٍ وَطِيبِ شَرَابِ
بِأَلَدِّكَ مِنْكِ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَّمَا	تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
إِنْ تَبَذَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفِي بِهِ	سَقَمَ الْفؤَادِ فَقَدْ أَطْلَتِ عَذَابِي

وَعَصِيتُ فَيْكَ أَقَارِي فَتَقَطَّعَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ
فَبَقِيتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةَ مَائِهِ
فِي حَرِّهَا جِرَّةٌ لِلنَّعْمِ سَرَابِ

ثم أتى إليها بالابيات فأعجب بها وأمرت جواريا بحفظها ، ثم وفّت له بما وعدت وسلمت إليه في كل بيت عشرة دنانير . وقال : أخبرنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر العامري قال : حدثني موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . قال : حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال : قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فأثاه ابن أبي عتيق . فقال : كيف تركت أبا الخطاب ؟ فقال : هجرت الثريا عمر فقال :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَنِي
ضِقْتُ ذُرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ
سَلَبْتَنِي حَاجَةً الْمِسْكِ عَقْلِي
فَسَلَوْهَا بَمَا يَحِلُّ اغْتِصَابِي
أُبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَا تَهَادَى
بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
وَهِيَ مَمْكُورَةٌ تَحْمِيرُ مِنْهَا
فِي أَدِيمِ الْخَلْدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
وَتَكْنُفْنَهَا كَوَاعِبُ بَيْضٍ
وَاضْحَاتُ الْخُلْدُودِ وَالْأَقْرَابِ
فِي سِخَابٍ مِنَ الْقَرْنُفْلِ وَالْدُرِّ
نَفِيسٍ وَاهَا لَهُ مِنْ سِخَابِ
قُلْتُ لِمَا ضَرَبَنَ بِالسَّجْفِ دُونِي
لَيْسَ هَذَا لَوَدُّنَا بَثْوَابِ
فَتَبَدَّتْ حَتَّى إِذَا جُنَّ قَلْبِي
حَالَ دُونِي وَلَا تُدُّ بِالثِّيَابِ
حِينَ شَبَّ الْقَتُولُ وَالْعُنُقُ مِنْهَا
حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُّ كَالزُّرْيَابِ
ذَكَرْتَنِي بِيَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا
طَلَعَتْ فِي دُجْنَةٍ وَسَحَابِ

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ وَقَسِيْسٍ صَوَّرُوْهَا فِي مَذْبَحِ الْمِحْرَابِ
فَارْجَحَنْتَ فِي حُسْنِ خَلْقٍ عَمِيْمٍ تَتَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَالْجُبَابِ
ثُمَّ قَالُوا نُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَا وَالشُّرَابِ

وقال لعلامة : انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فأقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه ، فلما قرأه قال : والله انا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله ، فأتى منزله فوجاه غائبا ، فانطلق غلام عمر الى عمر ، فقال : انت رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيمته كذا ، قال : ويحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له : ان مولاي يأتيك الآن ، وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة ، فأناه الغلام فأخبره ، فقال : اسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكنت فأسرجه له فركب وأتى الحمى ، فصل البرذون وسعت الثريا صهيله ، فقالت : لجوارها هذا هو برذون الحبيث عمر . ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها ، فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق ، فقالت : مرحبا بعمي ما جاء بك يا عم ، قال : أنت والفاسق جئتما بي ، قالت : أما والله لو بغيرك تحمل علينا ما أجبناه ، ولكن ليس لك مدفع أمر ربنا نحوه ، فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال : انزل جعلني الله فداك ، فقال : ماء مكة علي حرام حتى أخرج منها ، ثم دعا ببغلة فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير بن بكار عن أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال : قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثا حاويا قال : قلت نعم ، قال : بينا أنا جالس إذ جاءني خالد الخريت ، فقال : يا أبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة ، قلت : وكيف لي بذلك ؟ قال : تلبس لبسة أعراشي ، وتقم عمامته ، وتركب مركبه كأنك ناشد ضالة ، قال : ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد

ضالتي فقلن : انزل ، فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازهن ، فلما رمت
 النهوض قالت لي هند : اجلس لاجلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا
 غريباً ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالدا وخدمناه وأطعمناه في
 أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد : صدقن والله خدمني وخدمتك فجلست
 وتحدثنا فأنشدتهن ، فقالت هند : يا سيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد
 أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبتي ونظرت الى هني ، فإذا هو
 ملء الكف ومنية التمني ، فناديت يا عمراه يا عمراه ، قال عمر : فقلت
 يا لبيك يا لبيك يا لبيك ثلاثاً ، ومددت في الثالثة صوتي فضحكت ،
 وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي :

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالْمُتَرَبِّعَا يَبْطِنُ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَمَا
 إِلَى السَّفْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بُدِّلَتْ
 مَعَالِمُهُ وَبَلَاءً وَنَكَبَاءَ زَعَزَعَا
 لِهِنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهِنْدٍ إِذِ الْهَوَى جَمِيعٌ وَإِذَا لَمْ تَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
 وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ إِذَا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
 وَإِذْ لَا نُطِيعُ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى
 لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا

وقال عمر : ما رأيت يوماً غابت عواذله ، وحضرت عواذره بأحسن
 من يومنا ، ولا صبوة كصبوتنا ، ولا قيادة كقيادة خالد ، ولا أملح ،
 ولقد وصفت ذلك في شعر ، فقلت في تمام ما تقدم :

أَتَانِي رَسُولٌ مِنْ ثَلَاثِ حَرَائِرٍ وَرَابِعَةٍ يَزْكُو لَهَا الْحُسْنُ أَجْمَعَا

فَقُلْتُ لِطَرِيقِي فِي الْحُسْنِ إِنَّمَا ضَرَرْتُ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا
لَنْ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا لَمَّا أَرَى

كَمِثْلِ الْاَوَّلِ أَطَرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعًا
وَهَيَّجْتَ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا
فَقَالَ تَعَالَ أَنْظُرْ فَقُلْتُ فَكَيْفَ لِي
فَقَالَ اكْتَفِلْ ثُمَّ التَّشْمُ وَأَتِ بَاغِيَا
فَإِنِّي سَأَخْفِي الْعَيْنَ عَنْكَ وَلَا تُرَى
فَاقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ
تَبَاهُجُنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي
فَمَا جِئْتُنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدِ
رَأَيْنَا خَلَاءَ مِنْ عَيُونٍ وَمَجَالِسًا
وَقُلْنَ كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَاهِمِ
وَفِيهِنَّ هِنْدٌ تُكْمِلُ اللَّهُمَّ وَالْمُنَى

كَمِثْلِ الْاَوَّلِ أَطَرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعًا
وَأَشْيَاعُهُ فَاسْفَعُ عَسَى أَنْ تُشْفَعَا
أَخَافُ مَقَامًا أَنْ يَشِيعَ وَيَشْنَعَا
فَسَلِّمْ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَتَوَرَّعَا
خَافَةَ أَنْ يَفْشُو الْحَدِيثُ فَيُسْنَعَا
لَمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُودًا مَوْقَعَا
وُجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَمَّعَا
فَقُلْنَ أَمْرٌ وَبَاغٍ أَضَلَّ وَأَوْضَعَا
أَخَفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخَدَعَا
عَلَى مَلَأَ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا
دَمِثَ الثَّرَى سَهْلَ الْمَحَلَّةِ مُفْرَعَا
وَحَقُّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَتَّعَا
وَإِخْدَاعَ عَيْنِي كَمَا رُمْتُ مَوْجَعَا

قال : ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي فيها
يقول :

فَأَتَتْهَا طَبْعَةٌ عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجَدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَأَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ

قال ابن أبي عتيق : امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريد قوادة ، قال : ولما هجا كثير بني ضمرة فقال :

وَيُحْشَرُ نُورُ الْمُسَامِينِ أَمَامَهُمْ وَيُحْشَرُ فِي أَسْتَاهِ ضَمْرَةٌ نُورُهَا

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة ، وأرادوا قتله ، ووضعوا له العيون فمكث شهراً لا يصل إليها فالتقى جميل وكثير . فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقي ، فقال جميل : أنا رسواك الى عزة فأخبرني بما كان بينكما ، قال آخر ما لقيتها بالطلحة مع أتواب لها قال : فأتاهم جميل وهو ينشد ذردا له ففطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة التمس ذوداً هناك ، فانصرف جميل فأخبر كثيراً ، ولما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا ملياً ، وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل ، وكان جميل ، وكثير دميماً . فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل : انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح . فانطلقا فعند ذلك يقول :

رَأَيْتُ ابْنَةَ الشَّيْبِ عَزَّةً أَصْبَحَتْ كَمُحْتَبِ مَا يَلْقَى بِاللَّيْلِ يَحْتَبِ
وَكَأَنْتِ مُنَيْنَا وَتَرَعَمُ أُنْنَا كَمَيْضِ الْأَتُوقِ فِي الصَّفَا الْمُتَغَيَّبِ

ثم قال كثير لجميل : متى عهدك ببثينة ؟ قال : في أول الصيف بوادي الدم ومعها جوارها يغسلن ثياباً . فخرج كثير حتى أتاهم وهو يقول :

وَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ أَرْسَلَ صَاحِي عَلَى بُعْدِ دَارٍ وَالرَّسُولُ مُوَكَّلُ

بَانَ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وَإِنْ تَأْمُرِينِي بِالَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ
أَمَّا تَذَكُّرِينَ الْعَهْدَ يَوْمَ لَقَيْتُكُمْ
بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالتَّوْبُ يُنْسَلُ

فعلت بشينة ما أراد فصاحت اخساً اخساً فقال عنها : ما دهاك يا بشينة
قالت : ان كلباً يأتينا من وراء هذا التل فيأكل ما يجد ثم يرجع ،
فرجع كثير وقال لجليل : قد وعدتك التل فدونك ، فخرج جميل وكثير
حتى انتهيا الى الدومات ، وقد جاءت بشينة فلم تزل معه حتى برق
الصبح ، وكان كثير يقول : ما رأيت مجلساً قط أحسن منه . عمر بن
شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : حدثني شيخ من خزاعة قال :
ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة ابن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين
ومائة سنة ، فقال اياي فاسألوا عنه كان من أطرف الناس خفيف العارضين
آدم حلوا المضحك اذا أنشد اختصر ، وأتاني يوماً فقال : ان مية منقرية ،
وان بني منقر أخبت حي وأعلمه بأثر ، فهل عندك من ناقة تزورها
عليها ؟ قلت : أي والله عندي اثنتان قال : فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا
على الحي وهم خلوف ، فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي
وأخنا عندهن فقلن لذي الرمة : أنشدنا يا أبا الحارث ، فقال أنشدن
فأنشدن قوله :

نَظَرْتُ إِلَى أَطْعَانِ مَيٍّ كَأَنَّهَا ذُرَى النَّخْلِ أَوَّائِلُ تَمِيدُ ذَوَائِبُهَا
فَأَشْعَلَتِ النَّيْرَانُ وَالصَّدْرُ كَاتِمٌ بِمَغْرُورٍ قَتَمَتْ عَلَيْهِ سِوَا كِبِهِ
بَكَى وَامِقٌ جَاءَ الْفِرَاقُ وَلَمْ يَجُلْ جَوَائِلَهَا أَسْرَارُهُ وَمَعَاتِبُهُ

فقال طريقة منهن إبكي اليوم ، فمرت فيها حتى انتهيت الى قوله :

إِذَا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مَيِّ سَوَارِحَ عَلَى الْقَلْبِ آتَهُ جَمِيعاً عَوَازِيَهُ

فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : قَتَلْتَهُ قَتْلَكَ اللَّهُ فَقَالَتْ : مَا أَصَحُّهُ وَهَذِيئاً لَهُ فَتَنْفَسُ
ذُو الرِّمَةِ تَنْفَساً كَادَتْ حَرَارَتُهُ تَسَافُطُ لِحْمِي ، ثُمَّ مَرَرَتْ فِيهَا حَتَّى انْتَهَيْتْ
إِلَى قَوْلِهِ :

وَقَدْ حَافَتُْ بِاللَّهِ مَيَّةٌ مَا الَّذِي أَقُولُ لَهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ
إِذَا فَرَمَانِي اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوٌّ أُحَارِبُهُ

فَالْتَفَتَتْ مَيِّ إِلَى ذِي الرِّمَةِ فَقَالَتْ : وَيْحَكَ خَفِ عَوَاقِبَ اللَّهِ . ثُمَّ
أَنْشَدَتْ إِلَى أَنْ انْتَهَيْتْ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا نَازَعْتُكَ الْقَوْلَ مَيَّةٌ أَوْ بَدَأَ لَكَ الْوَجْهُ مِنْهَا أَوْ نَضَا الدَّرْعَ سَالِبُهُ
فِيَا لَكَ مِنْ خَدِّ أَسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَخِيمٍ وَمِنْ خَلْقٍ يُعَمِّلُ جَاذِبُهُ

فَقَالَتْ تِلْكَ الظَّرِيفَةُ : أَمَّا الْقَوْلُ فَقَدْ نَازَعْتُكَ وَالْوَجْهَ فَقَدْ بَدَأَكَ فَمِنْ لَنَا
بِأَنْ يَنْضُو الدَّرْعَ سَالِبُهُ . فَقَالَتْ لَهَا مَيِّ : قَاتِلَكَ اللَّهُ مَا أَنْكَرَ مَا تَجِيشِينَ
بِهِ الْيَوْمَ ، فَتَحَادَثْنَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ تِلْكَ الظَّرِيفَةُ : مَا أَحْوَجَ هَذَيْنِ إِلَى الْخُلُوعِ
فَنَهَضَتْ وَسَائِرُ النِّسَاءِ فَصَرَّتْ إِلَى بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْهَا حَيْثُ أَرَاهُمَا ، فَمَا ارْتَبَتْ
بِشَيْءٍ وَلَا رَأَيْتُ أَمْرًا كَرِهْتَهُ ، فَلَبِثْتُ سَاعَةً ثُمَّ أَتَانِي وَمَعَهُ قَارُورَةٌ وَثَلَاثُ
قَلَانِدٍ : فَقَالَ : هَذَا طِيبٌ زُودْتَنَاهُ مَيِّ ، وَقَلَانِدٌ انْتَفَتَكَ بِهَا ابْنَةُ الْجُودِيِّ
فَكُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَيْهَا حَتَّى انْقَضَى الْمَرْبَعُ وَدَعَانَا الصَّيْفُ فَرَحَلُوا قَبْلَنَا ، وَأَتَانِي
ذُو الرِّمَةِ فَقَالَ : قَدْ ظَنَعْتُ مَيِّ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدِّبَارُ وَالنَّظَرُ إِلَى الْآثَارِ ، فَاخْرَجَ
بَنَاءً إِلَى فُخْرَجَتْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا وَقَفْنَا عَلَيْهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا فَاسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بَجَرُ عَائِكَ الْقَطَرُ

حتى أتى على آخرها ، ثم انتهت عيناه بعبرة : فقلت له ما هذا ؟ فقال :
اني جليد وان كان مني ما ترى فما رأيت أحداً أحسن سقواً وصباية وعزاء
منه ، وعن سليمان راوية ابي نواس قال : كنت مع ابي نواس أسير حتى
انتهينا الى درب القراطيس ، فخرج من الدرب شيخ نصراني وخلقه غلام
كانه غصن بان يقتنى كاحسن ما رأيت فقال : يا سليمان أما ترى الدرة خلف
العبرة ثم قال : هل لك أن تأخذ مني رقعة فتوصلها اليه ؟ قلت : بلى ،
فكتبها ودفعتها الي فاوصلتها اليه ، فاذا أملح غلام وأخفه روحاً فقال : من
صاحب الرقعة ؟ قلت : أبو نواس : قال أين هو ؟ قلت على باب درب
القراطيس قال : فيلقف مكانه حتى أروح وكان في الرقعة :

تَمُرُّ فَاسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتَكَلَّمَا	وَيَنْثِيكَ زَهْوُ الْحُسْنِ عَنْ أَنْ تُسَلَّمَا
وَيَهْتَزُّ فِي ثَوْبِكَ كُلَّ عَشِيَةٍ	قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ أَضْحَى مُنْعَمَا
فَحَسْبُكَ أَنْ الْجَسْمَ قَدْ شَفَّهُ الْهَوَى	وَأَنْ جُفُونِي فِيكَ قَدْ ذَرَفَتْ دَمَا
أَلَيْسَ عَجِيباً عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدٍ	غَزَالٌ مُسِيحِي يَعَذِّبُ مُسْلِمَا
فَلَوْلَا دُخُولُ النَّارِ بَعْدَ تَنْصَرٍ	عَبَدْتُ مَكَانَ اللَّهِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا

وحدثنا الجواز قال : كنت يوماً على باب عندي عدي الدراع فمر بي
ابو نواس شبيهاً بالجنون ، فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربي فقلت له مالك ؟
فقال :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا عَوَزُ الْمَكَانِ وَقَدْ تَهَا الْمَرْكَبُ

فعدلت به وبالغلام ، فأقاما سائر يومهما . قال : وكان عبيد الله بن

يحيى يتعشق غلاماً من دار المتوكل يقال له . رشيق ، فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه ، وكان أبو الاخطل يخلفه في المركب وينبسط اليه فقال له أبو عبيد الله يوماً : يا أبا الاخطل من لي برشيق فقال : الصغر الصغار والبيض الصعاح ، وجعل عبيد الله يلقي رشيقاً في الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار في كل لقيه الى ان علم رشيق بما في نفس عبيد الله ، وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة ، فركب أمير المؤمنين يوماً ومعه أبو الاخطل فطلب عبيد الله وتعهد أبو الاخطل رشيقاً فردده اليه ، فلما ظفر به في منزله خاليا قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعاً ، فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقاً فقال أبو الاخطل :

لا خيرَ عندي في الخليل ينأ عن سهرِ الخليل
قولوا لأَكْفَرِ من رأيتُ لكلِّ معروفٍ جليل
هلْ تشكُرُنَّ لي الغداً ة تَلطُّفي لك في الرسولِ
إذْ نحنُ في صيدِ الجبالِ لِ وأنتِ في صيدِ الشُّهولِ

(ما قيل فيه من الشعر)

وَتَشَيَّتَ في الجميلِ فأسرعتَ وإنْ كنتَ تأتني جميلاً
إنْ مَنْ مَدَّ للقيادةِ رجالاً أَحْرِيَّ بأنْ يكونَ نبيلاً
آخر :

لَهَوَاهُ لِاتِلَافٍ وَمَلَاهُ لِاخْتِلَافٍ
لَيْسَ يَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ السُّلَّةِ إِلَّا لِإِيْلَافٍ

وقال آخر :

إِنَّ الرِّقَاشِيَّ مِنْ تَكَرُّمِهِ بَلَغَهُ اللَّهُ مُنْتَهَى هِمِّهِ
يَبْلُغُ مِنْ بَرِّهِ وَرَأْفَتِهِ حُمْلَانُ أَضْيَافِهِ عَلَى حُرْمِهِ

(ومن محاسن ذلك) حدثنا علي بن الحسين بن علي بن عثمان بن علي ابن الحسن قال : كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علي بن زيد ، فأدبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً ، وأبرعهم غناء وضرباً ، فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار ، فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بككت وقالت : يا سيدتي ربيتيني واتخذتيني ولداً ، ثم تريدن بيعي فانغرب عنك ولا أرى وجهك قالت : أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله ، فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين ، فتزوجها وأحبها حباً شديداً ، فقدم بها البصرة فقال علي بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها : فأردت الخروج الى الرضي بجرامان فودعت جعفرًا وخرجت فاقمت بالاهواز أياماً أنهياً للخروج على طريق فارس فورد علي كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر ، وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضرباً ، وأنها على مفارقتها وسألني القدوم لاصالح بينهما فقال علي بن الحسين وكانت لي حاجة بالرضي وكنت أرجو لذلك في وجهي منه ومن المأمون الغني ، فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعاً الى البصرة فبعثت الى جعفر فأوقعت به شتماً وعذلاً ثم ارسلت اليها : أقسمت عليك بحقي الا رجعت فخرجت مرهء شعثة وسخة الثياب حتى جلست بينهما ، فاقبل جعفر بهطيني من نفسه لما كل ما أريد وهي ساكنة ثم قلت : يا جارية هات العود فاخذته فأصلحت منه حتى تغنت وهي تبكي ودموعها تكف .

أُرْتَجِي خَالِقِي وَأَعْلَمَ حَقًّا أَنَّهُ مَا يَشَاءُ رَبِّي كَفَانِي
لَا تَأْمَنِي وَارْفُقْ خَلِيلِي بِشَانِي إِنَّهُ مَا عَنَّاكَ يَوْمًا عَنِّي

قال علي بن الحسين : فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألفني والله عن الغنى . فأفتت بالبصرة . وعن الكلبي قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه ، فإذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال ، فألقى إليها كلاما فقال له عمر : يا عدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال : يا عمه إنها ابنة عمي وأحب الناس إلي ، وإني عندها كذلك ، وما كان بيني وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال : ومن أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان قال أفلا تتزوجها ؟ قال : أبي علي أبوها قال : ولم ؟ قال : يقول : ليس لك مال فقال : انصرف والتقي فلقى بعد ذلك فدعا ببغلة فركبها ، ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج إليه فرحا بجميعه ورحب وقرب فقال : ما حاجتك يا أبا الخطاب ؟ قال : لم أرك منذ أيام فاشتقت إليك قال : فانزل فانزله وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه : إني رأيت ابن أخيك فأعجبني تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له : أجل ! ما يغيب عنك أفضل مما رأيت قال : فهل لك من ولد ؟ قال : لا إلا فلانة قال : فما يذكرك أن تزوجه إياها ؟ قال : أنه لا مال له قال : فإن لم يكن له مال فلك مال قال : فإني أضن به عنه قال : لكني لا أضن به عنه ، فزوجه واحتكم قال : مائة دينار قال : نعم فدفعها عنه ، وتزوجها الفتى ، وانصرف عمر إلى منزله فقامت إليه جارية من جواريه فأخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب ، فأنته بطعام فلم يتعرض له فقالت : أظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هات الدواة فكتب :

تَقُولُ وَلِيَدَيَّ لَمَّا رَأَيْتَنِي
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقًا
وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ
بَعَيْشِكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ
فَقُلْتَ شَكَرًا إِلَيَّ أَخٌ مُجِيبٌ
وَذُ الْقَلْبِ الْمُصَابِ وَلَوْ تَعَزَّى
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِ نَدِي
فَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا
أَرَدْتُ فَرَاقَهَا فَصَبَرْتُ عَنْهَا
طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا
وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءً دَفِينَا
إِذَا مَا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
يَسْرُوكَ أُمُّ لَقِيَتْ لَهَا خَدِينَا
كَبَعْضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعَلَّمِينَا
مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
وَأَشْبَهَ ذَاكَ مَا كُنَّا لَقِينَا
وَكُنْتُ بَوْدَهَا دَهْرًا ضَنْمِينَا
وَلَوْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جُنُونَا

قال : وقال عمر بن أبي ربيعة بينا انا خارج محرما اذ اتتني جارية كأنها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كفضيب على كتيب فسلمت علي وقالت : أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قریش وشاعرها ؟ قلت : أنا والله ذاك قالت : فهل لك ان اريك احسن الناس وجهاً ؟ قلت : ومن لي بذلك قالت : أنا والله لك بذلك على شريطة قلت : وما هي ؟ قالت : أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت : لك ذاك قال : فاستخرجت معجراً من قصب عجرنتي به وفادتني حتى أتت مضرباً ، فلما توسطته فتحت العجارة عن عيني فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزور بجمرة مفروش بوشي كوفي وفي المضرب ستارة مضروبة من الديباج الأحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالاً ، فقامت كالخجلة ، وقعدت قبالي ، وسلمت علي فخليل لي أن الشمس تطلع

من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت : أنت عمر بن أبي ربيعة فتي
قريش وشاعرها ؟ قلت أنا ذلك يا منتهى الجمال قالت أنت القائل .

يَمْنَمَا يَنْعَتَنِي أَبْصَرْتُ نَسِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَغْدُو بِي الْأَعْرُ
قَالَتِ الْكُبْرَى أَمَا تَعْرِفَنَ ذَا قَالَتِ الْوُسْطَى بَلَى هَذَا عَمَرَ
قَالَتِ الصَّغْرَى وَقَدْ تَيَمَّمْتُهَا قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

قلت : أنا والله قائلها يا سيدتي قالت : ومن هؤلاء قلت يا سيدتي والله
ما هو عن قصد مني ولا في جارية بعينها ، ولكنني رجل شاعر أحب
الغزل وأقول في النساء قالت : يا عدو الله يا فاضح الحرائر أنت قد فشا
شعرك بالحجاز ، وأنشده الخليفة والامراء ، ولم يكن في جارية بعينها
يا جواري أخرجه فخرجت الوصائف فاخرجتني ودفعتني الى الجارية
فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت بليلة كانت أطول من سنة ، فلما
اصبحت بقيت هائما لا أعقل ما أصنع ، فلما زلت أرقب الوقت ، فلما كان
وقت المساء جاءتني الجارية وسلمت علي وقالت : يا عمر هل رأيت ذلك الوجه
قلت : أي والله قالت : فتعجب أن أريكه ثانية ؟ قلت : اذا تكومت
فتكونين أعظم الناس علي منة ، فقالت : على الشريطة فاستخرجت المعجر
وعجرتني وقادتني فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهي ، فاذا انا
بمضرب ديباج أحمر مدور بياض مفروش بفرش أرمني فقعدت على غرقة من
تلك النارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تتأبل من
غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت علي ، وقالت : أنت عمر بن أبي ربيعة
فتي قريش وشاعرها ؟ قلت : أنا ذاك ، قالت أنت القائل :

وَنَاهِدَةُ التَّدْيِينَ قُلْتُ لَهَا اتَكِي عَلَى الرَّمْلِ فِي دَيْمُومَةٍ لَمْ تَوْسِدِ
فَقَالَتْ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّمْتُ مَا لَمْ أَعُودِ

فما زلتُ في ليلٍ طويلٍ مُلْتَمِّمًا لَذِيذَ رُضَابِ الْمِسْكِ كَالْمُتَشَهِّدِ
 فلَمَّا دَنَا الْإِصْبَاحُ قَالَتْ فَضَحْتَنِي ففهمَ غَيْرَ مَطَرٍ وَدِيَانِ شَيْتٍ فَازْدَدَ
 فما زِدَدْتُ مِنْهَا وَاتَّشَحْتُ بِمِرْطِهَا وقلتُ لِعَيْنِي أَسْفَحَا الدَّمْعَ مِنْ غَدِ
 فقامتُ تُعْفَى بِالرُّدَاءِ مَكَانَهَا وَتَطْلُبُ شَذْرًا مِنْ مُجَانٍ مُبَدَّدِ

قلت : أنا قائلها قالت : فمن الناهدة الشديدين ؟ قلت : يا سيدني قد سبق في الليلة الاولى والله ما هو مني قصد ، ولا في جارية بعينها ، ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت : يا عدو الله انت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وترغم أنه لم يكن في جارية بعينها يا جواربي ادفننه فوثبت الجواربي فاخرجني ودفعني الى الجارية فمجزني وقادتني الى مضربي فبت في ليلة كانت أطول من الليلة الاولى ، فلما اصبحت أمرت بخلوق فضرب لي وبقيت ارقب الوقت هائماً ، فلما كان وقت المساء جاءني الجارية فسلمت علي وقالت : يا عمر هل رأيت ذلك الوجه ؟ قلت : أي والله قالت : أفتحب ان أريكه الثالثة قلت : اذا تكونين أعظم الناس علي منة قالت : على الشريطة ؟ قلت : نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى أتت بي المضرب ، فلما توسطنه فتحت العصابة عن عيني فاذا أنا في مضرب ديباج أخضر مدنو بجمرة مقروش بخز أحمر واذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علي وقالت : انت عمر بن ابي ربيعة فتى قریش وشاعرها ؟ قلت : أنا ذاك ، قالت : انت القائل :

نَعْبُ الْغُرَابِ يُبَيِّنُ ذَاتَ الدُّمْلُجِ لَيْتَ الْغُرَابَ يَبَيِّنُهَا لَمْ يَشْجَحْ
 مَا زِلْتُ أَتَبِعُهُمْ وَأَتَبِعُ عَيْسَهُمْ حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى رَيْبَةٍ هَوْدَجِ

قالت وعيش أخِي وحرمة والدي لأنبهن الحَيَّ إن لم تخرج
فلتمت فاما آخذاً بقرورها تُشرب التزيف بهذ ماء الحشرج
فتناولت كفي لتعرف مسها بمخضب الأطراف غير مشنج

قلت : أنا قائلها ، قالت : يا عدو الله انت الذي فضحتنا ونفسك وجهي من وجهك حرام ان عدت الي يا جوارِي أخرجنه ! فوثب الي الوصائف وأخرجني ودفعني الي الجارية فعجرتني وقادتني ، وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق وأسدت عليها ردائي ، فلما صرت الي باب مضربها أخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا ، فلما أصبحت صحت بغلماني وعبيدي ولي ألف عبد من أتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله ، فلما كان في وقت المساء أتتني وليدة سوداء ، فقالت : قد عرفت المضرب ، وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فأعتقها وأمرت لها بمائتي دينار ، وأمرت بمضربي فقلع وضرب بجذء مضربها وكتب بالخبر الي عبد الملك بن مروان ، فكتب اليها بالرجل ، فركبت هودجها وركبت فرسي ، فزاحمتها في بعض الطريق فأشرفت علي من هودجها ، فقالت : اليك عني أيها الرجل ! قلت : خاتم أو قميص أذكرك به ، فقالت لبعض جوارِها : ألقني اليه قميصا من قميصي فأخذته وأنا أقول :

فلا وأيك ماصوت الغواني ولا شرب التي هي كالفصوص
أردت برحمتي وأريد حظاً ولا أكل الدجاج ولا الخبيص
قميص ما يفارقني حياتي أنيس في المقام وفي الشخوص

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث

مراحل : فاستقبلها عبد الملك في خاصته فدخل اليها ، ثم قال : يا رملة ألم
أنك ان تطوفي بالبيت الا لئلا يحفك الجواري ، ويحف الجواري الخدم ،
ويحف الخدم الوكلاء ، لئلا يراك عمر بن ابي ربيعة ، قالت : والله وحياة
امير المؤمنين ما رأيي ساعة قط فخرج من عندها فبصر بمضربي ، فقال :
لمن المضرب قيل لعمر بن ابي ربيعة ، قال : علي به فأتيته بلا رداء ولا
حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال : يا عمر ما حملك على الخروج من
الحجاز من غير إذني ، قلت : شوقا اليك يا امير المؤمنين وصباوبة الى
رؤيتك فأطرق ملياً ينكت في الارض بيده ، ثم رفع رأسه فقال : يا عمر هل
لك في واحدة ؟ قلت : وما هي يا امير المؤمنين قال : رملة ازوجكها ،
قلت : يا امير المؤمنين وان هذا لسكائن ، قال : أي ورب السماء ، ثم
قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت : من
أنت هبلتك امك فقلت : يا سيدتي انا المعذب في الثلاث فارتحلت وأنا
عديها فأنشأت أقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ نَلْتُ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي
وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى الَّذِي كُنْتُ أُحْذَرُ
فَلَيْسَ كَمَنْ لِيَ الْيَوْمَ كَسْرَى وَهُرْمُزٍ
وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ مَنْ لِيَ وَقَيْصَرُ

فلم أزل معها بأحسن عيش وغبطة .

٤٣ - محاسن الديب

الاصمعي قال : اخبرني رجل من بني أسد أنه خرج في طلب أبل قد

ضلت فيينا هو يسير في بلاء وتعب ، وقد امسى في عشية باردة اذ رفعت له
 اعلام قال : فقصدت بيتاً منها فاذا انا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت
 فردت علي السلام ثم قالت : ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في
 حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان . فيينا هي تقبله اذ اقبل رجل امام
 الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقارا ، فلما بصربه الصبي
 هش اليه وعدا في تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه . فقلت : في نفسي
 أظنه عبداً لها ، فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام ،
 فقال : من ضيفكم هذا ؟ فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت
 أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كأنها الشمس حسناء ،
 وكأنه القرد قبحاً ، ففطن لنظري ، وقال : يا أخا بني أسد أتري عجباً ؟
 قال تقول أحسن الناس وجهاً . وأقبح الناس وجهاً فليت شعري كيف جمع
 بينهما ؟ أخبرك كيف كان ذلك ، قلت : ما أحوجنني إلى ذلك ، قال :
 كنت سابع إخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم ، وكان أبي
 وإخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل ، وكنت من بينهم مطروحاً لكل
 عمل دني للعبودية تارة ولرعي الابل أخرى ، فيينا أنا ذات يوم تعب
 مكتئب اذ ضل لنا بعير فتوجه إخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه ،
 فأتوا أبي وقالوا : ابعث فلاناً ينشد لنا هذا البعير ، فدعاني أبي وقال :
 اخرج فانشد هذا البعير ، فقلت : والله ما أنصفتني ولا بنوك أما إذا
 الابل درت ألبانها وطارت ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها واذا
 ندت ضلالها فأنا باغيها ، فقال : قم يا لكع فاني أراه آخر يومك فغدوت
 مقهوراً خلق الثياب حتي أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك أجول
 في القفر ، فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا
 امرأة جميلة خيلة للسودد والجزالة ، فبدأتني بالتحية وقالت : أنزل عن
 الفرس وأرح نفسك فأنتني بعشاء فتعشيت ، وأقبلت هذه تسخر مني
 وتقول : ما رأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوباً ولا

أجمل وجهاً ، فقلت : يا هذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل ، فأبت علي ، وقالت : هل لك أن تلج على السجف اذا نام الناس فأغراني والله الشيطان ، فلما شبت من القرى وجاء أبوها واخوتها فضجعوا أمام الحيمة قت ووكزته برجلي ، قالت : ومن أنت ؟ قلت : الضيف ، قالت : لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله ، فعلمت أنني لست في شيء من أمرها فوليت راجعاً ، فواثبني كلب لهم كأنه السبع لا يطاق ، فأراد أكلي فأنشب أنيابيه في مدرعة صوف كانت علي وجعل يمزقني فردني القهقري وتعذر علي لخلاص ، فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر أحسن الله الى انـه لا ماء فيها ، فلما سمعت المرأة الواغية أنت بجبل فأسأله وقالت : ارتق لعنك الله ، فوالله لولا انـه يقتص أثري غذا لوددت أنها قبرك فأعنتقت الحبل ، فلما كدت ان اتناول يدها قضى ان تهور ما تحت قدميه ، فاذا أنا ، وهي والكلب في قراره البئر بئر أيما بئر ؟ انما هي حفرة لا طي لها ولا مرقاة كأشد بلية بنا عضاً ، الكلب ينبج من ناحية ، وهي تدعي بالويل والثبور من ناحية ، وأنا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية ، فلما أصبحت انها فقدتها فلما لم ترها ات اباه فقالت : يا شيخ أعلم ان ابنتك ليس لها أثر يحس ؟ وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها ، فلما وقف على شفير البئر ولي راجعاً فقال لولده : يا بني أعلمون ان اختكم وضيئكم وكلبكم في البئر ؟ فبادروا كالسباع ، فمن بين أخذ حجراً وأخذ سيفاً أو عصاً ، وهم يومئذ يريدون ان يجعلوا البئر قبري وقبرها ، فلما وقفوا على شفير البئر قال ابوهم : ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه اقتضحتهم وقد رأيت ان ازوجها إياه ، فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب ، ثم قال لي : افيك خير ؟ فلما شممت روح الحياة وثاب الي عقلي قلت : وهل الخير كله الا في ، فهات اختكم ؟ فقال : مائة بكرة وبكرة ، وجارية وعبد ، فقلت لك ذلك وان شئت فازد ، فأخرجت اولاً ، والكلب

ثانياً ، واخرجت ثالثاً فأقبت ابي ، فقال : لا أفلحت فأين البعير ؟ قلت : اربع عليك أيها الشيخ ! فانه كان من القصة كيت وكيت . قال : أفعل والله ولا أخذ لك ، فدعا بالابل فعد منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها قال : والله كذلك ، وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها ، وربما قالت لا أطاب الله خبرك .

(ضده مساوي الديب)

قال : وقيل لخراش الأعراي حدثنا ببعض هنالك ، قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت في عشية سائية الى أخبية كثيرة ، فضافوا وحيوا ورحبوا ، فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها ، وجعلوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم ، واني لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشني ويبد في الظلمة مؤاتني ففعدت ، فاذا أنا برجل يد يده ومعه علبة فيها أرنب مشوية ، فأخذتها وجعلتها في شيء كان معي ، ثم مد يده ثانياً فتناولته يدي فأقبضني على غرمول كمثل الوند ، فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندي ، وتناولت يده فأقبضته على مثل ما أقبضني عليه ففطن ، ورمى بملحفة خز كانت عليه ووثب مذعوراً ، فنفرت الابل وهاجت الغنم ، وكدت أغشى لما بي من الضحك وأخفيت ما بي وكتمته ، فلما أصبحت ركبت راحلتي ، ومعني الملحفة ، والعلبة ، والأرنب . فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحوها ، فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : ان كان معك ما نأكل فصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة ، فلما رآها عرفها وقال : انك هو ، قلت : وما هو قال : صاحب البارحة ، قلت : نعم ان كنت اياه ، قال ؟ الحمد لله الذي أتى بك لو لم تأت لظننت

اني أوسوس ، وذلك اني لصاحبة الستر عاشق ، وتعلم ما فعلت وفعلت
البارحة ، ولا تطيقت له حتى ابتلاني الله بك البارحة ، وجعلت أقول
حين أقبضتني عليه أتواها نحولت رجلا ، واني لفي شك من امري حتى
أتاني الله بك ، فأكلت انا وهو الأرنب وشربنا من اللبن وصرنا اصدقاء
الأصمعي قال : أتى خالد بن عبد الله أعرابي فأضافه واحسن اليه وبذل له
صحن الدار ، فلما كان في بعض الليل اشرف عليه يتعاهد منه ما كان
يتعاهد من ضيفه ، فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض
عنه ، فما لبث الأعرابي ان فرغ وقام يمسح فيشلتته ، فضربتة عقرب ،
فصاح واستغاث ، وأشرف خالد عليه وهو يقول :

وداري إذا نام سُكَّانُهَا تُقِيمُ الحُدُودَ بِهَا العَقْرَبُ
إذا غفلَ النَّاسُ عن دِينِهِمْ فإنَّ عَقَارَ بَنَّا تَغْضَبُ

قال : وكان اعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها ،
فاذا عجوز في صحن الدار تصلي فعاد الى فراشه ، ثم عاودها فنبج الكلب ،
ثم عاد اليها ، فاذا القمر قد طلع فأنشأ يقول :

لم يَخْلُقِ اللهُ خَلْقاً كُنْتُ أَكْرَهُهُ إِلَّا العَجُوزَ وَعَيْنَ الكَلْبِ والقَمَرَ
هَذَا يَصِيحُ وَهَذَا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَهَذِهِ شَيْخَةٌ قَوَّامَةُ السَّحَرِ

وقال : وشرب سعيد بن حميد البصري عند راشد فدب على غلامه ،
فكتب اليه سعيد :

ما سَمِعْنَا مِنْ قَبْلِهَا بِأَدِيبٍ بَارِعِ الظَّرْفِ مَا جِدِ قَمَقَامٍ
ضَلَّ عَنْهُ وَهُوَ المِهْدَبُ عِلْمًا فَتَكَاتُ الكُتُوسِ بِالْأَحْلَامِ

أَيْنَ مَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولٍ
 مَا عَلَى مُنْقِلٍ مِنَ النَّوْمِ وَالسَّكْرِ
 ثُمَّ أَيْنَ الَّذِي بِهِ حَكَمَ الْمَأْثِمَا
 مَا جَدٍ أَرَادَ سُرُورًا
 فَعَلَيْهِ طِيَّ الْبَسَاطِ بِهَا قَدْ
 حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَقْلِي بِأَرْطَا
 ثُمَّ وَكَلَّتْ فِي الْعُصُوفِ رَشِيقًا
 ثُمَّ بَاكَرَتْ نِيَّ بَعْتَبِكَ وَاللَّوْ
 وَتَغَضَّبَتْ أَتْنِي مُقَدَّتْ عَمْرًا
 هَلْ رَأَيْتَ الْإِلَهَ يَأْخُذُ مَجْنُوعًا
 لَنْ تَرَانِي مُعَاشِرًا لَكَ مَا عَشْتِ
 أَوْ تُرَى تَائِبًا وَتَسْتَغْفِرَ إِلَّ

فاجابه راشد فقال :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ سَلِيلَ الْمَعَالِي
 إِنْ يَكُنْ قَدْ أَتَاكَ عَنِّي مَرْحٌ
 أَوْ أَكُنْ فِيهِ كَالَّذِي كَانَ يَغْدُو
 إِلَيْنِي عَالِمٌ بِأَنَّكَ لَمْ تَأْ

وَنَجِيبَ الْأَخْوَالِ وَالْأَنْعَامِ
 لَمْ يَكُنْ عَنْ حَقِيقَةٍ فِي الْكَلَامِ
 بِمَلَامٍ عَلَيْكَ فِي الدُّوَامِ
 تَقْبِيحًا وَلَا أَرْتَابَ الْأَثَامِ

هُوَ ذَنْبُ الْمُدَامِ لَا ذَنْبُ خَلٍّ لَمْ يَزَلْ حَافِظًا لِعَهْدِ الذَّمَامِ
 ثُمَّ ذَنْبُ الْعُيُونِ يَا بْنَ حُمَيْدٍ فَلَهُ الذَّنْبُ بَعْدَ إِنْتِ غَرَامِ
 قَعْدًا فِي طَرِيقِ أَيْرُكَ حَتَّى عَرَّضَاهُ لِلظَّنِّ وَالْإِتِّهَامِ
 فَتَغَمَّدَ أَخَاكَ بِالصَّفْحِ فَالْصَّفَا ح دَلِيلُ عَلَى سَجَايَا الْكِرَامِ
 إِنْسِي تَائِبٌ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَهَا كَانَ مِنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ

ما قيل في ذلك من الشعر :

فَمَا أَعْيُنٌ عَشْرٌ عَلَى سَاقٍ تَرْجَسُ
 تُضَاحِكُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالْمَقْلِ الصُّفْرِ
 بِأَحْسَنَ مِمَّنْ زَارَنِي بَعْدَ هَجْعَةٍ
 يَمِيسُ هُوَيْنًا فِي الظَّلَامِ عَلَى دُعْرِ

قال : ودب رجل على قينة في مجلس فغنت :

مَاذَا يُشَوِّشُ طُرَّتِي يَا قَوْمُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ
 مَاذَا يُعَالِجُ تَكَّتِي وَيَلَاهُ عَذْبِي السَّوَرِ

وقال علي بن حمزة :

مَتَوَرَّدُ الْخَلْدَيْنِ مِنْ خَجَلٍ مُتَخَاذِلُ الْأَعْضَاءِ مِنْ كَسَلٍ
 خَاضَ الدُّجَا وَالشَّوْقُ يَحْمِلُهُ وَأَنْتَكَ يَمْشِي غَيْرَ مُنْتَعِلٍ
 مِمَّا رَاعَنِي إِلَّا تَدَافَعُهُ كَالْفَصَنِ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْكَفَلِ

وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي :

قالت وأبشَّتها سِرِّي وُجَّحتُ بهِ قد كُنتَ عِنْدِي تحبُّ السَّترَ فاستترِ
أُنتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي

٤٤ - محاسن الباه

حكى عن عالج جارية مكشوح انها حدثت مولانها انها كانت تغتسل كل يوم فسألنها عن ذلك ، فقالت : يا هذه انه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت : أو تحتلين ؟ قالت : إنه لا تأتي علي ليلة لا اجمع فيها الا واحتم ، قالت : فكيف يكون ذلك ؟ قالت : أرى كأن رجلا جامعني ، ولقد رأيت ليلة كأني مررت بـ دكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته واوجله فاحتلمت ، ثم انتهت وانا أجد معكة في مرق بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس أوره وضرب به في بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله . قال : وكانت مهيبة بنت جبير التغلبية تقول : ما في بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين حدثني جهم قال : قلت لأمرأة من كلب ما أحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت : ما يكثر الاعداد ، ويزيد في الاولاد حربة في غلاف تناط بحقوي رجل جاف ، اذا غافس أوهى ، وإذا جامع أنجى قال . وقال ابو ثامة لامرأة من زبيد وهي تبكي عند قبر من الميت قالت : كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الاعناق ، والله لولا ما ذكرته لك ما استهلت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها لغير ما أعلمتك . قال

وركب الرشيد حماراً مصرياً وطاف على جواربه ، فقالت له واحدة : يا مولاي ما أكثر ما تركب هذا الحمار ، قال : لانه يسب طيفور ، قالت : فمن يسب طيفور يركب ، قال : نعم قالت ففي حرام طيفور ، قال : فنزل ووقعها وأنشد في مثله :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عَلَى ظَهْرِ عَادِيٍّ فَتَاةٌ مِنَ الْجَنِّ
وَنِي نَظَرْتُ لَوْ كَانَ يُجْبِلُ نَاطِرٌ بَنَظَرَتِهِ أَتْنِي لَقَدْ حَبَلْتُ مَنْسِي

ضده في مساوي العنين

قال بعضهم : تزوج العجاج امرأة يقال لها : الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها ، فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لايبها : تطلب لابنتك الباه ، قال : نعم عسى أن تزق ولداً ، فان مات كان فرطاً وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهراً ثم قال :

قَدْ ظَنَنْتِ الدَّهْنَاءَ وَظَنْ مِسْحَلُ أَنَّ الْأَمِيرَ بِالْقَضَاءِ يُعْجِلُ
عَنْ كَسَلَاتِي وَالْحِصَانُ يَكْسَلُ عَنِ السَّفَادِ وَهُوَ طَرَفُ هَيْكَلُ

ثم أقبل على امراته فضها الى صدره فقالت :

تَنَحَّ لَنْ تَمْلِكَنِي بَضْمٌ وَلَا بِتَقْيِيلٍ وَلَا بِشَمٍّ
إِلَّا بَزَعَاكِ يُسَلِّي هَمِّي يَسْقُطُ مِنْهُ فَتَخِي فِي كَمِّي
يَطِيرُ مِنْهُ حَزَنِي وَغَمِّي

ابن ابى الدنيا أن أعرابياً أخبره أن امرأة منهم زفت الى رجل فعبز

عنها فتذاكر الحي امر الضعفاء من الازواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع
فتكلمت بكلام ليس في الارض أعف منه ، ولا أدل على عجز الرجل عن
النساء فقالت متمثلة :

تَبَيْتُ الْمَطَايَا حَائِدَاتٍ عَنِ الْهُدَى

إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا

الرقاشي قال : حدثني أبو عبيدة قال : سمعت ناساً من الحجاز
يقولون : تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامسها ابتأر فيها
فقضي ان حملت ، وما مكثت الا ان رأس ولدها ، فجلس في المجلس فقال
له قائل : لقد جئت من بلل قليل ، قال : جئت من بلل لو أصاب
مغيض أمك لكان كما قال الشاعر :

رَطَبُ الطُّبَاعِ إِذَا حَرَّكَتْ جَوْهَرَهُ وَجَدْتَ أَعْضَاءَهُ غَرَقَى مِنَ الْبَلَلِ
وَلَمْ أَهْجِنُهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ فَلَّتْ سَلَامَتُهُ مِنْ جَانِبِ الْكَفَلِ

الهلالي قال : رأيت وافر بن عصام يساور المهدي ، فحدثه بحديث
فضحك ، فقلت له : حدثني ما حدثت به المهدي قال سألتني ما عندك
للنساء ؟ فقلت : ما لدي عندي الا حديث ابن حرم ، قال : وما حديثه ؟
قلت : عمر حتى بلغ الثمانين ، فتزوج ابنة عم له ، فلما أهديت اليه قعد
بين شقيها ، فاكسل وأراق على بطنها ، فأقبل عليها كالعقذر ، فقال : هذا
خير من الزناء ، قالت : كل ذلك لا خير فيه . قال : وشكت امرأة
زوجها ، وأخبرت عن عجزه انه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن
وقوع الرجل على صدورهن فقالت : زوجي عيايا طباقا وكل داء له داء
وقيل في ذلك :

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ رَفِيقٍ إِذَا بُلِّغْتَ مِنْ رَكْبِ النَّسَاءِ
رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ عِرْقٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ
أُجِبْنَا فِي الْكَرِيهَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا حِينَ تَغْبُرُ فِي الْخِلَاءِ

٤٥ - محاسن النيروز والمهرجان

قال الكسروي : كان اول من ابدع النيروز ، وأسس منازل الملوك ، وشيد معالم السلطان ، واستخرج الفضة والذهب والمعدن ، واتخذ من الحديد آلات ، وذلل الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر ، وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب ، وبنى القصور ، واتخذ المصانع ، واجرى الانهار كما خسرو ابن ابرويز جهان وتفسيره حافظ الدنيا بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان الاصل فيه انه في النيروز ملك الدنيا وعمر اقاليم ايران شهر ، وهي ارض بابل ، فيكون النيروز في اول ما اجتمع ملكه واستوت اسبابه فصارت سنة ، وكان في ملكه ألف سنة وخمسين سنة ، ثم قتله البيوراسف ، وملك بعده ألف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب :

وَكَأَنَّهُ الضَّحَّاكُ فِي فَتَكَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة واسره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دناوند ، واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره ، واتفق لأفريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمى ذلك اليوم المهرجان ، فالنيروز لجم والمهرجان لأفريدون ، والنيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة ، وقسم جم ايام الشهر ، وجعل الخمسة

الأيام الأولى للأشرف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ،
ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك ، وخمسة أيام لخوادم الملك ، وخمسة
لجنده ، وبعدها خمسة أيام للرعاة فذلك ثلاثون يوماً ، وابتدع المهرجان
افريدون لما أسر البيوراسف روز مهر ، وكانت الملك اذا لبس زينته ولزم
مجلسه في هذين اليومين أتاه رجل رضي الاسم مختبر باليمن طلق الوجه
ذلق اللسان ، فيقوم قبالة الملك ، ويقول انذن لي بالدخول فيسأله من أنت
ومن اين جئت واني تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذي معك ؟
فيقول : جئت من عند الاعمين ، وأريد الاسعدين ، وسار بي كل منصور ،
واسمي خجسته اقبلت معي السنة الجديدة ، وأوردت الى الملك
بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك : انذنوا له فيقول له الملك : ادخل
ويضع بين يديه كوباً من فضة قد جمع في نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع
الجبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحب والعدس والارز والسمسم والباقلي
واللوبيا ، وجمع من كل صنف من هذه الجبوب سبع حبات فجعل في جواف الخوان
ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتفاعل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها
كالخلاف والزيتون والسفرجل والرومان ، منها ما يقطع على عقدة ، ومنها على عقدتين
ومنها على ثلاثة ، ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ، ويكتب في مواضع
ابزود و ابزاند و ابزون و بروار و فراخي و فراهيه تأويله - زاد و يزيده و زيادة
ورزق وفرح وسعة - ويوضع سبع سكرجات بيض ودرهم بيض من ضرب سنته
ودينار جديد وضفت من أسبند ، ويتناول ذلك كله ، ويدعو له بالخلود
ودوام الملك والسعادة والعز ، ولا يؤامر يومه في شيء اشفاقاً من أن
يبدو منه ما يكره فجرى على سنته ، وكان اول ما يقدم اليه صينية ذهب أو
فضة عليها سكر أبيض وجوز هندي مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ،
ويتبدى باللبن الحليب الطري منه قد أنقع فيه تمر طري ، فيتناول
بالنارجيل تمرات ويتخف من أحب منه ويذوق ما أحب من الحلوى ، وكان
يرفع في كل يوم من أيام النيروز باز أبيض ، وكان بمن ييمن بابتدائه

في هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطري والجبن الطري ، وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له في كل يوم نيروز ماء في جرة من حديد أو فضة ويقول : استرق هذا الاسعدين ويتحمل الايمن ، وجعل في عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة في سلك الذهب بمدود فيها خرز من زبرجد أخضر ، ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار من أسافل دارات الارحاء وصنائع الغنى ، فكان متى اجتمع النيروز في يوم السبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ، ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصار كالجزية ، فكان يبني قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً بي صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن ، تزرع اصطوانة منها برأ ، واصطوانة شعيراً ، وأخرى أرزاً ، وأخرى عدساً ، وأخرى باقلی ، وأخرى دخناً ، وأخرى ذرة ، وأخرى لوبياً ، وأخرى حمصاً ، وأخرى سمساً ، وأخرى ماشاً ، ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو ، وكان يوم السادس من يوم النيروز ، واذا حصد بثر في المجلس ، ولم يكسر الى روز مهر من ماه فروردین ، وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ، ويقال : أجودها نباتاً وأشدّها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها في تلك السنة ، فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوساً وخمس نشابات ، ويناول الملك قيمه على دار الملكة أترجه ، فكان فيما يغني بين يدي الملك ، غناء الحاطبة ، وأغاني الربيع ، وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الانواء ، وأغاني أفريز ، والخسرواني ، والمآذراستاني ، والفهلبد وكان أكثر ما يغني العجم الفهلبد مع أيام كسرى أبرويز ، وكان من أهل مرو ، وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه ، وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الالحان ، ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع ، وكان يذكر الاغاني التي يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازيته وقواده ويستشفع لمذنب . وان حدثت حادثة

أو ورد خبر كرهوا انهاء اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مر كوبه شديدز ولم يحسروا على انهاء ذلك فقنى بها وذكر أنه مدود في آريه ماد قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك : هذا قد نفق اذا قال : أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكوه عما له أنت يستقبلوه به .

(العلة في صب الماء) ذكروا أن العلة في صب الماء : أنه كان أول من تكلم في المهدي قبل المسيح زوين طهماسب ، وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الافاليم ، فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى ، فسقي الناس الغيث ، وأخصبت أرضهم ، وعاشت مواشيهم ، فجعلوا صب الماء فيه سنة . وقد حكى أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك : ان نساء من بني اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق ، فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبني لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم ، فلما صاروا في الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ، ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان : ان رأيت محاربه بلاد كذا فحاربهم ببني فلان يقال : يارب كيف احاربهم بهم وقد ماتوا : فأوحى الله اليه : اني احييهم لحارب بهم وتظفر بعدوك ، فأمر الله عز وجل ليلة صب الماء فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ » قال : هؤلاء قوم أصابهم حجة من الازل فخطوا زماناً فهزلوا وأجذب بلدهم فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة .

(صفة الايام) قال كسرى : يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للهو والشرب ، وقال غيره : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، والاحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وطاب رزق ، والثلاثاء يوم حجارة ، والاربعاء يوم ضحك ونفس ، والخميس يوم الحج ، والجمعة

يوم مسجد ونساء وكساء .

(في البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد أيّه أشد . فقال : اذا أصبحت السماء نقية ، والارض ندية ، والريح شامية .

٤٦ - محاسن الهدايا

قال : وكتب الناس في الهدايا فأكثرُوا من الكلام المنشور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا : انها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب ، وأكثرُوا من الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تهادوا وتحابوا) ، وقيل : الهدية تفتح الباب المصمت ، وتسلب سخيمة القلب . وروى عن عائشة أنها قالت : اللطفة عطفة وتزرع في القلوب المحبة . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويشيب عليها ما هو خير منها . وقال عليه الصلاة والسلام (لو أهدى إلى ذراع لقبلت ولو دعت إلى كراع لأجبت) . وقال عليه الصلاة والسلام (الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدى إليه شيء فليقبله) وقال صلى الله عليه وسلم (نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أَرْضَى الغضبان ولا أَسْتَعْظِف ولا أَسْتَمِيل الهاجر ولا توقي المحذور بمثل الهدية والبر) وقال الله عز وجل « وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ » بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ » وروى أن عاملاً لعلي رضي الله عنه قدم من بعض الأطراف فأهدى إلى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد إلى ابن الحنفية فقال متمثلاً :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحُنَا

فأهدى العامل إليه كما أهدى إلى أخويه . وروى عن أمير المؤمنين علي

عليه السلام أن قوماً من الدهاقين أهدوا إليه جامات فضة فيها الاخصة فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم نيروز ، فقال : نيروزنا كل يوم فأكل الخبيص ، وأطعم جلساءه ، وقسم الجامات بين المسلمين ، وحسبها لهم في خراجهم . وقيل : إن جلساء المهدي إليه شركاؤه في الهدية ، والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة ، وتنفي الضغينة ، وتركها يورث الوحشة ويدعو إلى القطيعة ، والهدية تصير البعيد قريباً ، والعدو صديقاً ، والبغض ولياً . والثقل خفيفاً . والعبد حراً ، والحر عبداً ، وفيها قول الشاعر .

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ يَوْمًا بَأْ نَجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إِذَا تَقَنَّمَ بِالْمُنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَابٍ وَلَا غَلَقِ
لَا تُكْثَرْنَ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْخَلِقُوا لِرَغْبَةِ كُلِّ مَا يُعْطُونَ أَوْ فَرَقِ

وقال آخر :

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الْحَاجِ مِنْ أَحَدٍ قَدِّمَ لِنَجْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ
إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ أُنْظَى مِنَ الْإِبْنِ عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدَبِ

وقد قيل : كل يهدي على قدره . وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينما هو يسير بالريح إذ أتى على عش قنبرة . فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش ، فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز ، فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقيل له في ذلك فقال : كل يهدي على قدره : وكان بما تهديه ملوك الامم إلى ملوك فارس طرائف ما في بلدهم ، فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ، ومن تبت والصين المسك والحزير والسك والاولاني ، ومن السنك الطواويس

والبيغا ومن الروم الديباج والبسط ، وكان القواد والمرازبة والاساورة يهدون
النشاب والاعدة المصمتة من الذهب والفضة ، والوزراء والكتاب والخاصة
من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وجامات الفضة الملوحة
بالذهب ، والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود
والسروج وآلاتها ، وربما أهدي الرجل الشريف سوطاً فقبله ، وكانت
الحكماء يهدون الحكمة ، والشعراء الشعر ، وأصحاب الجواهر الجواهر ،
وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبعال
المهاليج ، والظرفاء قرب الحري الصيني بملوءة ماورد ، والمقاتلة القسي والرماح
والنشاب ، والصياقلة والزرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض
والاسنة ، وكانت نسوة الملك تهدي إحداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة
والاخرى الدرة النفيسة والجوهرة المشتمة وفص خاتم وما لطف وخف ،
وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك ، والصيارفة
نقر الذهب والفضة وجامات الفضة بملوءة دنانير ، وأوساط الناس دنانير
ودراهم من ضرب سنتهم مودعة أتوجة أو سفرجلة أو تفاحة ، والكتاب واقف
يكتب كل مهـد وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك
ديوان النبروز .

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثلهـا هدية ابرويز إلى ملك الروم
بعقب محاربة بهرام جويين وقد شارف الروم ، فأنفذ رسولا يستنجده
وبعث اليه مائة غلام من ابناء الأتراك مختارين في صورهم ونفوسهم في
آذانهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب
منظمة باليواقيت والزمرد ، وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع
مكحلة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب : احداها ساعد أسد مع
كفه ، والاخرى ساق وغل مع ظلفه ، والثالثة كف عقاب في كف
الاسد ياقوتة خضراء ، وبين ظلفي الوعل ياقوتة حمراء ، وفي كف العقاب
قبيجة من اللازورد عينها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة ، وفي وسط

المائدة جام من جزع يائي فاخر فتحه شبر في شبر مملوء يواقيت حمرا وسقط
ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم
من ذهب مرصع بالجواهر مشبك الاعلى حشوه مسك وعنبر ، ووصل رسل
أبرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فأجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس
بالسلاح الشاك ، وبعث اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب
منسوج وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة بأقمية الديباج المطير في
آذانهم أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلمة الجواهر ،
وأفند اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس
وألف برذون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة
وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبرافع
ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوفر البغال من السندس والامستبرق والذهب
واللؤلؤ ، وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب
سمفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماتينه الياقوت الاحمر وكربه الجزع ،
وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة ألف دينار ، وبعث اليه ألف
ألف درهم مثاقيله ألف ألف دينار خسرواني وأنى به واعتذر اليه من
التقصير ، فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم التبروز بفارس من ذهب على
شهر من فضة عينا الشهري جزع أبيض محقق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه
شعر اسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في
وسط الميدان كرة عقيق احمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهري يبول
الماء فاذا بال انخط الصولجان على الكرة فمر بها الى أقصى الميدان فتتحرك
بجركاتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهري .
فاما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطي الى هشام بن
عبد الملك ، فانه أهدي اليه وإلى أمهات أولاده هدايا كثيرة من الكساء
والعطر والجواهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال : بيت المال أحق بهذا ،
ثم أمر فنوردي عليها فبلغت مائة ألف دينار ، فبعث حسان ثمانها وقال :

يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال،
فأقبل هديتي فقبها ونادى على مناديه حسان سيد موالي أمير المؤمنين قد
طابت الآن هذه واستلمح المأمون من أبي سلمة ذكر هدية لطيفة قال :
أهدي الى أمير المؤمنين خواناً من جزع ميلاً في ميل فقال المأمون :
أو قبضت الهدية ؟ قيل : نعم قال : أفهي في داري أم داري فيها ؟ قال :
بل هي في منديل فدعي بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب
قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستلمحه وقبله . واهدت
اسماء بنت داود الى اسماء بنت المنصور مائة مكن من فضة فيها انواع
الخلاخ والريحان المطيب ، ومائة جفنة مطيبة ، وانواع من الأطعمة
والاشربة ، وعشراً من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين
ألف دينار . وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بحام من ذهب فيه الفا
مثقال من العنبر وكتب اليه :

يَا إِمَامَ الْهُدَى سَعِدْتَ مِنَ الدَّهْرِ بِرُكْنٍ مِنَ الْإِلَهِ عَزِيزٍ
وَبَظِلٍّ مِنَ النَّعِيمِ مَدِيدٍ وَبِحَرْزٍ مِنَ الْأَسْيَالِ حَرِيزٍ
لَا تَزُلُ أَلْفَ حِجَّةٍ مَهْرَجَانٍ أَنْتَ تُفْضِي بِهِ إِلَى النَّيْرُوزِ
وَنَعِيمِ الَّذِي مِنْ نَظَرِ الْمَعشُوقِ مِنْ بَعْدِ نُبُوءَةٍ وَنُشُوزِ

قال خالد المهلبى : أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج
بالذهب ومشمعة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة
وخشبة بخور نحو القامة وثوباً بغدادياً يقطع ثوباً فأعجبه حسنه ثم دعا به
فلبسه ، وقال : يا مهلبى انما لبسته لأسرك به فقلت : يا أمير المؤمنين لو
كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس ،
وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبدالله العباسي والى الحرمين فانه
قال : هذا يوم يهدي فيه الى السادة والعظماء ، والواجب أن أهدي إلى

سيدي الأكبر ، ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين ، فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله .

(اللطف في الهدايا) كتب سعيد بن حميد إلى بعضهم : النفس لك والمال منك غير أني كرهت أن أخلي هذا اليوم من سنة فأكون من المقهرين ، أو أدعي أن في ملكي ما يفي بحقك فأكون من الكاذبين . وقد وجهت اليك بالسفرجل جلالته ، والسكر لحلاوته ، والدرهم لنفاقه ، والدينار لعزه ، فلا زلت جليلاً في العيون ، مهيباً في القلوب ، حلواً لآخوانك كحلاوة السكر ، عزيزاً عند الملوك ، لا تحسن أفئدتهم إلا بك ، ولا زلت نافقاً كتفاف الدرهم . وأهدي أحمد بن يوسف إلى إبراهيم بن المهدي وكتب اليه : الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة في البر ، فأهديت هدية من لا يحشتم إلى من لا يغتم مالا ، فلا أكثره تبحجاً ولا أقله ترفعاً .

(هدايا النيروز) قال : كتب الحسن بن وهب إلى المتوكل في يوم نيروز بهذه الرقعة : أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور ، وتكامل السرور ، وبارك لك في أقبال الزمان ، وبسط يمين خلافتك الآمال ، وخصك بالمزيد ، وأبهجك ، بكل عيد ، وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشامة أزهار الربيع المونق ، بطيب أيام الحريف المغدق ، وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز ، نداوم بهجة ايلول وقوز ، وبمواقع تمكين لا يجاوزه الأمل ، وغبطة اليها نهاية ضارب المثل ، وعمر ببلاتك الاسلام . وفسح لك في القدرة والمدة ، وأمتع برأفتك وعدلك الأمة ، وسربلك العافية ، ورداك السلامة ، ودرعك العز والكرامة ، وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية . والأزمنة اليك راغبة متشوقة ، والقلوب نحوك سامية ، تلاحظك عشقاً وتدفع نخوك طرباً وشوقاً ، وكتب في آخره :

فدَاكَ الزَّمانُ وأهلُ الزَّمانِ إِمَامَ الهُدَى بك مُستبشِرِينَا

قَدْ أَتَوْا إِلَيْكَ مُقَالِدَهُمْ
 وَلَا زِلَ زَيْنًا لِأَعْيَادِنَا
 يَعِزُّ بِدَوْلَتِكَ الصَّالِحُونَ
 فِيَا رَبِّ مُشْكِلَةٍ أَتَرَقَتْ
 بِصِدْقِ عَزِيمَةٍ مُسْتَبْصِرٍ
 وَسُمَّتِ النَّصَارَى بِشَيْطَانِهَا
 وَكَمْ فِعَالَةٍ أَلَكَ فِي الْمُشْرِ كَيْنَ
 وَكُتِبَ آخِرُ :

الْمَهْرَجَانُ لَنَا يَوْمٌ نُسْرُ بِهِ
 وَأَنْتَ فِيهِ لَنَا بَدْرٌ يُضِيءُ كَمَا
 وَكُتِبَ آخِرُ :

عِيدٌ جَدِيدٌ وَأَنْتَ جَدِّتُهُ
 لَا زَالَ طَوْلُ الزَّمَانِ يَرْجِعُهُ
 يَأْمَنُ بِهِ لِإِزْمَانِ تَجْدِيدِ
 وَظِلُّ مُلْكٍ عَلَيْكَ مَمْدُودُ

وقيل للمازني : أي هؤلاء أطرف في شعره الذي يقول :

جُعِلْتُ فِدَاكَ لِلنَّيْرُوزِ حَقٌّ
 وَلَوْ أَهْدَيْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَالِكِي
 فَأَهْدَيْتُ التَّنَاءَ بِنَظْمِ شِعْرِي
 فَأَنْتَ عَلَيَّ أَعْظَمُ مِنْهُ حَقًّا
 لَكَانَ جَلِيلُهُ لَكَ مُسْتَدَقًّا
 وَكُنْتَ لِذَاكَ مِنِّي مُسْتَحَقًّا

أم الذي يقول :

دَخَلْتُ الشُّوقَ أَتْبَاعُ وَأَسْتَطْرِفُ مَا أَهْدِي
فَهَا اسْتَطَرَفْتُ لِلْإِهْدَا إِلَّا طُرْفَ الْحَمْدِ
إِذَا نَحْنُ مَدَحْنَاكَ رَعَيْنَا حُرْمَةَ الْمَجْدِ

أم الذي يقول :

وَكَمْ مِنْ مُرْسِلٍ لَكَ قَدْ أَتَانِي بِمَا يُهْدِي الْخَلِيلَ إِلَى الْخَلِيلِ
فَأَظْهَرْتُ الشُّرُورَ وَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْهَدِيَّةِ وَالرَّسُولِ

فقال : أشعرهم جميعهم ؛ وأظرفهم الذي يقول :

قَوَالَهُ لَا أَنْفَكَ أَهْدِي شَوَارِدًا إِلَيْكَ يُحْمَلْنَ الثَّنَاءَ الْمُبْجَلًا
أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى وَأَطْيَبَ نَفْحَةً مِنْ الْمِسْكِ مَفْتُونًا وَائِسَرَ مُحْمَلًا

وبعث سعيد بن حميد الى أحمد بن أبي طاهر قارورة ما ورد وكتب اليه
وزائرة حورية فارسية كنشر حبيب حاد يوماعن الصد
ترد ربيعاً في مصيف بنفحة إذا فقدت وزدا تنوب عن الورد
حكى نشرها منه خلايق نشره
كنشر نسيم الروض في جنة الخلد
وشبهتها في صفوها بصفائه
لإخوانه في القرب منه وفي البعد

وَأَهْدَتْ لَنَا مِنْهُ النَّسِيمَ نَسِيمَةً

وَإِنْ كَانَ إِذَا حَاتَ يَدُومُ عَلَى عَهْدِ

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : دار كلام بين الامين وبين ابراهيم بن المهدي قال : فوجد عليه الامين فهجره ، فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندي ، فأبى الأمين أن يقبلها فكتب اليه :

هَتَكَتِ الضَّمِيرَ بَرْدَ اللَّطْفِ وَكَشَفَتْ هَجْرَكَ لِي فَأَنْكَشَفَ

فَإِنْ كُنْتُ تَحْقِدُ شَيْئًا مَضَى فَهَبْ لِلْخِلَافَةِ مَا قَدْ سَلَفَ

وَجُدْ لِي بِعَفْوِكَ عَنْ زَاتِي قَبْلَ اقْضَلِ تَأْخُذْ أَهْلَ الشَّرَفِ

فرضي عنه ودعاه للنادمة .

(هدايا الفصد) قال ابن حمدون النديم : افتصد المأمون ، فأهدي اليه ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها :

عَفَوْتَ وَكَانَ الْعَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً

كَمَا كَانَ مَمْقُوداً بِمَفْرِقِكَ الْمُلْكَ

فَإِنْ أَنْتَ أَتَمَمْتَ الرِّضَى فَهُوَ الْمُنَى

وَإِنْ أَنْتَ جَا زَيْتَ الْمُسَى فَذَا الْهَلْكَ

فقال المأمون : خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَالِي بِمَادُونِ تَوْبَهَا خَبِرُ

ولا فيها ولا هممتُ بها ما كان إلا الحديث والنظرُ

فقال المأمون : نعم الآن أقبلها فقبلها . قال أبو القاسم بن أبي داود : كنت عند أحمد بن محمد العلوي وقد افتصد ، فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب :

سُرَّ الغدَاةُ بِوَجْهِكَ اللَّغْبُ وَجَرَى يُمْنٌ فِصَادُكَ الطَّرْبُ
وَتَدَاعَتِ الْعِيدَانُ فِي زَجَلٍ وَتَنَاوَلَتْ رَاحَتَاهَا النُّخْبُ
فَاشْرَبَ بِهَذَا الْجَامِ يَامِلِكِي شُرْبًا حَنِينًا إِنَّهُ عَجَبُ
وَأَجْعَلَ لِمَنْ قَدْ خَفَّ فِي لَطْفٍ مِنْ زَوْرُهُ يُخْشَى وَمِنْ تَقَبُ

فقال للخادم : اخرجها إلى الستارة ، فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل : افتصد المعصم وأهدت إليه شمائل صينية عقيق عليها قدح أسبل عليها منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر في كل ربع منه بيت شعر :

خَضَبَ الْخَلِيفَةُ كَفَّهُ مِنْ فَصْدِهِ بَدَمٌ يُحَاكِي عَبْرَةَ الْمُشْتَاكِ
تَاهَ الْفِصَادُ فَمَا يُقَامُ لَتِيهِهِ إِذْ صَارَ مُفْتَصِدًا أَبُو إِسْحَاقِ
وَتَوَافَتِ الْعِيدَانُ عِنْدَ حُضُورِهِ قُبَّ الْبُطُونِ ذَوَابِلُ الْأَغْنَاكِ
مَلِكُ إِذَا خَطَرَ الشَّرَابُ بِيَالِهِ لَبِسَ الشَّرُورُ غَلَائِلَ الْإِشْرَاقِ

فلما قرأه أمر بإحضار إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وأمره أن يجعل له لحنا ، وأمر مسروراً بإخراجها من وراء الستارة ، ثم لم يزل إسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت ، فكان مفظ الدر يتناثر من فيها ، وأمر لاسحاق بآمال ، ولجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار . المبرد قال : أهدى اليزيدي إلى الرشيد يوم فصد جام بلور

وشمات غالية ، وكتب اليه : يا أمير المؤمنين تفاءلت في الشرب في
الجام بجمام النفس ، ودوام الانس ، والغالية للقلوب في السرور ، ولازدياد
من الخير والحبور وقلت :

دُمُ الْفَصْدِ مِنْ يَدِكَ الْعَالِيَةِ	يُدَاعِي لِحْجَمِكَ بِالْعَافِيَةِ
كَسَالِ الدَّهْرِ ثَوْبًا مِنَ الْأَرْجَوَانِ	بَدِيعِ الطَّرَازِينِ وَالْحَاشِيَةِ
وَعَصْفَرِ صَفْحَةٍ وَجْهَ الرَّبِيعِ	بَصْنَعٍ مِنْ أَسْرَارِهِ الْجَارِيَةِ
فَكَمْ رَوْضَةٍ نَشَرَتْ وَشَيْهًا	وَزَهْرَةٍ رَوْضٍ غَدَتْ زَاهِيَةٍ
إِمَامٌ أَسَالَ دَمَ الْمُكْرَمَاتِ	فَشَجَّجَ أَقْتَالَهَا الْحَامِيَةِ
فَلَا زَالَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ	وَدَامَتْ لَهُ النِّعْمَةُ الْكَافِيَةِ

قال اليزيدي : اقتصد المأمون فأهدت اليه رباح أترجة عنبر عليه
مكتوب بماء الذهب :

تَعَالَجَ مَنْ هَوَيْتَ بِفَصْدِ عِرْقٍ	فَأُضْحَى السَّقَمُ فِي خَلَعِ الْخُضُوعِ
وَجَاءَتْ تُحْفَةُ الْأَحْبَابِ تَسْعَى	بَوَرْدٍ فَائِضٍ فَيْضَ الدُّمُوعِ

فقال المأمون لليزيدي : ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين ؟
قال : يكافأ بالدنيا وما استدق منها ، فأمر لها بمال كثير ووصلني ببعضه.
قال : واقتصد عبدالله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في
السوق من الورد وكتب اليه :

تَضَاحَكِ الْوَرْدُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ لَهُ	لَمْ ذَا فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُفْتَصِّدُ
قَتَمْتُ أَطْلُبُ مَا أَهْدِيهِ مِنْ طَرَفٍ	لِلْفَصْدِ فِي السُّوقِ حَتَّى خَانِي الْجَلْدُ

يَوْمُ الْفِصَادِ لَهُ أَزْرٌ مُطَيَّبَةٌ مَحْجُوبَةٌ لَا يَرَاهَا الْجَرْدُ وَالزَّرْدُ
فَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مَسْرُورًا بَطَلَعَتِهِ يَا بَنَ الْكَرَامِ فَأَنْتَ السَّيِّدُ النَّجْدِ

قال عمرو بن بانة : اعتل المعتصم ، فأشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده ، فأخرجت إليه هدايا الفصد ، وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه يجزع كما يدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فإذا هو :

فُصِدَ الْإِمَامُ لِعَلَّةٍ فِي جِسْمِهِ فَشَفَى الْإِلَّهَ الشَّقَمَ بِالْفَصْدِ
وَجَرَى إِلَى الطَّشْتِ السَّقَامَ مُبَادِرًا وَجَرَى الشِّقَاءَ إِلَيْهِ بِالسَّعْدِ
يَا مَالِكًا مَلِكَ الْعِبَادِ بِجُودِهِ إِنْسَلَمَ سَلِمَتَ بَعِيشَةٍ رَغْدِ

فقال يا عمرو : من يلومني على حب هذه الجارية ، والله ما أراها إلا تزايدت في عيني ، وخليق أن تنجب فإن لها همة ، فولدت له غلاماً وكانت آثار جواربه عنده واحظاها لديه . وأخبرنا إبراهيم القاري قال : كنت عند المأمون فاحتاج إلى الفصد فقال له الأطباء : البلد بارد فقال : لا بد لي منه ، نفصده فلما كان وقت الظهر حضروا فراسوا فجعل العرق ، فإذا هو قد التحم ، فشدوا الرباط وفيهم متعاجد يدق فما ظهر الدم ، فقال لهم المأمون عقرتموني نهالوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال : ما تقولون ؟ قالوا : ما ندري ما نقول ؟ قال : فامشوا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمقدم في الرئاسة ، فاعتزلوا ناحية وابططوا عليه فقال لاسود كان على رأسه : أدن فخص الجرح ، ففعل ، فثار الدم فقال : أدع هؤلاء الحاككة ، فجاءوا وشهدوا خروج الدم ، قال : أين كنتم ؟ قال ابن ماسويه : لو فعل جالينوس ما زاد عليه . قال : واقتصد أحمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكسب إليه جعفر الشيباني :

فَصَدَّتْ بِأَرْضِ الرَّيِّ طَابَ لَكَ الْفَصْدُ

وَفَارَقَ نَجْمَ النَّخْسِ طَالِعُكَ السَّعْدُ

فَأَعْقَبَكَ الْحُسْنَى الَّتِي لَا مَدَى لَهَا وَلَا زَالَ بُرْدِكَ الْجَلَالَةُ وَالْحَمْدُ

تَوَرَّدَتْ الدُّنْيَا بِفَصْدِكَ مِثْلَ مَا

بِفَصْدِكَ يَا بَنَ الْمُصْطَفَى ضَحِكَ الْوَرْدُ

فَلَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا عِشْتَ شَانِيًا وَمِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ لَا خَانَكَ الْعَهْدُ

وفي مثله :

يَا فَاصِدًا مِنْ يَدٍ جَلَّتْ أَيَادِيهَا وَنَالَ مِنْهُ الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا

يَدُ النَّدَى هِيَ فَارُفُقُ لَا تُرِقْ دَمَهَا فَإِنَّ آمَالَ طُلَّابِ النَّدَى فِيهَا

قال : وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد :

أَلَا يَا طَبِيبَ الْفَصْدِ هَلْ أَنْتَ عَالِمٌ

بِمَا صَنَعْتَ كِفَاكَ فِي كَفِّ ذِي الْمَجْدِ

أَسَلْتَ دَمًا مِنْ سَاعِدٍ يَنْتَنِي بِهَا

حَيَاءُ نَدَى فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ فِي الْفَصْدِ

فَدَوَّيْتَ كَفًّا تَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهَا دَوَاءٌ مِنَ الْأَنْحَالِ فِي الزَّمَنِ النَّكَدِ

وَلَمَّا أَتَانَا الْمُخْبِرُونَ بِفَصْدِهِ أَرَدْتُ بَأَنْ أَهْدِيَ عَلَى قَدَرِ مَا عِنْدِي

وَشَاوَرْتُ فَاسْتَصَحَبْتُ آلِي وَجِيرَتِي فَلَمْ أَرْ أَمْرِي مِنْ أَثْنَاءِ وَمِنْ مُحَمَّدِ

وقال آخر :

تَوْنُثِقُ مِنْ ثَنَائِكَ فِي الْهَدَايَا غَدَاةَ أَرَدْتَ فَصَدَّ الْبَاسِلِيقِ
فَلَمْ أَرَ كَالدُّعَاءِ أُنْتُمْ نَفْعًا وَأَجْمَلَ فِي مَكَايِدِ الصَّدِيقِ
وَأَكْثَرْتُ الدُّعَاءِ وَقُلْتُ رَبِّي يَقِيكَ سُرُورَ آفَاتِ الْعُرُوقِ

وقال آخر :

عَلَى طَيْبِ أَيَّامِ التَّمَتُّعِ بِالْوَرْدِ فَصَدْتُ فَأَصْحَبْتَ السَّلَامَةَ فِي الْفَصْدِ
وَلَا زِلَ لَا زَالَتِ مِنْ اللَّهِ أَنْعُمٌ عَلَيْكَ قَرِيبَ الْعَيْنِ مُغْتَبِطَ الْحَسَدِ
أَقْدَرْتُ رُفَّتُ جَهْدِي طُرْفَةً وَهَدِيَّةً إِلَيْكَ فَكَانَ الشُّكْرُ أَكْثَرَ مَا عِنْدِي

وقال آخر :

أُثْبِتُهَا الْفَاصِدُ الْعَلِيلُ الصَّحِيحُ بَأْيِ ذَلِكَ الْجِرَاحُ الْجَرِيحُ
إِنْ مَنْ عَلَقَ الدَّرَاعَ مِنَ النَّعْصِ دِ إِلَى الْجَمِيدِ ذَاكَ شَيْءٌ مَلِيحُ
أُثْبِتُهَا الْفَاصِدُ أَلْمَنَّا لَهُ الْوَرْدُ وَفِي وَجْنَتَيْهِ وَرْدٌ يَلُوحُ

وقال آخر :

أُثْبِتُهَا السَّيِّدُ الَّذِي فَصَدَ الْعَرَقُ وَأَزْخَى دُونِي ذُبُولَ الشَّرُّورِ
كَمْ تَقْنَيْتُ أَنْ أَكُونَ طَبِيبًا وَمُنَى الصَّبِّ تُرْهَاتُ الْغُرُورِ

وقال آخر :

أَجْمِلْ جُعَلْتُ فِدَاكَ بِالْجَلْدِ وَأَمْنٌ عَلَيَّ بِأَجْمَلِ الرَّدِّ
لَوْ عَايَنْتُ عَيْنَاكَ مُضْطَرِّي وَتَفَرَّدِي بِالْمَدِّ وَالشَّدِّ
وَتَحْشَعِي عِنْدَ الطَّبِيبِ كَأَنَّهُ مَوْلَى يُرِيدُ عَقُوبَةَ الْعَبْدِ
كَالنَّارِ مَبْضَعُهُ يُقْلِبُهُ وَيُدِيرُ مُقْلَةً حَازِمِ الْجَلْدِ
حَتَّى اعْتَزَمْتُ عَلَى مُحَاجَزَةٍ وَصَدَدْتُ عَنْهُ أَيَّامًا صَدِّ
مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ شَعَرْتُ بِهِ إِلَّا كَمَوْقِعِ شَرْطَةِ الْجَلْدِ
إِذْ سَالَ مُنْبَعِنًا سَوَابِقُهُ كَالنَّارِ خَارِجَةً مِنَ الزُّنْدِ
فَسَلِمْتُ وَالرَّحْمَنُ سَلَّمَني ذُو الْمَنِّ وَالْآلَاءِ وَالْحَمْدِ
مَا بَعْدَ طَبَّاخِي لِمُفْتَخِرِ فَخَرُّ لِمَنْ قَبْلِي وَمَنْ بَعْدِي
نَصَبَ الْقُدُورَ بِنَفْسِهِ كَرَمًا لِنَصِيبِ شَهَوَاتِنَا عَلَى عَمْدِ
فَأَجَادَ صُنْعَهَا وَعَجَّلَهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَعَبٍ وَلَا جَهْدِ
وَنَبَذْنَا صَافٍ وَمَجْلِسُنَا فِي الطَّبِيبِ يَحْكِي جَنَّةَ الْخُلْدِ
فَهَلُمَّ وَاحْضَرْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَاجْعَلْ غَدَاكَ سَيِّدِي عِنْدِي
لَا تَجْمَعَنَّ عَلَيَّ مُحْتَسِبًا ضَعْفَ الْعَالِيلِ وَوَحْشَةَ الْفَرْدِ

٤٧ - محاسن الوصائف المغنيات

قال الأصمعي : بعث إلي هرون الرشيد وهو بالرقعة فحملت إليه ؛ فأنزلني

الفضل بن الربيع ، ثم أدخلني عليه وقت الغروب ، فاستدناني وقال : يا عبد الملك وجهت إليك بسبب جاريتين أهديتا إلي وقد أخذتا طرفاً من الأدب احببت ان تبرز ما عندهما وتسير على الصواب فيهما ، ثم امر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما : ما عندك من العلم ؟ قالت : ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر فيه الناس من الأشعار والاعخبار ، فسألتهما عن حروف القرآن ، فأجابتنني كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الاشعار والاعخبار والنحو والعروض ، فها قصرت عن جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها : فانشدينا شيئاً فأنشدت :

يَا غِيَاثَ الْبِلَادِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ مَا يُرِيدُ الْعِبَادُ إِلَّا رِضَاكَ
لَا وَمَنْ شَرَّفَ الْإِمَامَ وَأَعْلَى مَا أَطَاعَ إِلَٰهَهُ عَبْدٌ عَصَاكَ

فقلت : يا امير المؤمنين ما رأيت امرأة في نسك رجل مثلهما ، وخبرت الأخرى فوجدتها دونها ، فأمر ان تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي : يا عبد الملك انا ضجر وأحب أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان ففرج به فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان ، وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أنت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنًا وأفواهم بدناً ، فغبت عنه ثم أتيت فوجدته ناحل البدن كاسف البال ، فسألته عن سبب تغيره فقال : قصدت بعض القرابة فالقيت عندهم جارية قد طلعت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه :

مَحَاسِنُهَا سِهَامٌ لِلْمَنَايَا مُرَيِّشَةٌ بِأَنْوَاعِ الْخُطُوبِ
تَرَى رَيْبَ الْمَتُونِ بَيْنَ سَهْمَا تُصِيبُ بِنَصْلِهِ مُنْخِ الْقُلُوبِ

فقلت :

فَقِي شَفَيتِي مِنْ مَوْضِعِ الطَّبْلِ تَرْتَعِي
 كما قد أُنَجَّتِ الطَّبْلَ فِي جِيدِكَ الْحَسَنَ
 فَهَبْنِي عَوْدًا جَوْفُهُ نَحْتَ مَتْنِهِ يُتَعْنِي مَا بَيْنَ نَحْرِكَ وَالذَّقْنِ

فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الحيمة ، فوفقت حتى حميت الشمس على مفرقي ولم تخرج ، فانصرفت قريح القلب ، فهذا التغير من عشقي لها ، فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق ! فقلت : قد كان هذا ، فقال : يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم وردده الى مدينة السلام ، فانصرفت ثم أتاني خادم فقال : أنا رسول ابنتك - يعني الجارية - تقول لك : ان امير المؤمنين قد امر لها بمال وهذا نصيبك ، فدفع الي ألف دينار ولم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لي بعشرة آلاف درهم . علي بن الجهم لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم ، فأهدى اليه ابن طاهر جارية أدبية تسمى قبيجة تقول الشعر وتلججه ، وتحسن من كل علم أحسنه ، فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا ، فدخلت يوماً للمنادمة ، وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا علي دخلت فرأيت قبيجة كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا ، فسبقتني محبوبة وأخذت عودها فغنت :

وَكَاثِبَةٌ بِالْمِسْكِ فِي الْخَدِّ جَعْفَرًا بِنَفْسِي خَطُّ الْمِسْكِ مِنْ حَيْثُ أَثَرَا
 لَنْ أَوْدَعْتَ سَطْرًا مِنَ الْمِسْكِ حَدَّهَا
 لَقَدْ أَوْدَعْتَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ أُسْطَرًا

فيا مَنْ لَمَمْلوكٍ يَظَلُّ مَلِيكُهُ مُطِيعاً لَهُ فِيمَا أُسِرَّ وَأُنْجَرَا
ويا مَنْ لَعِينِي مَنْ رَأَى مِثْلَ جَعْفَرٍ سَقَى اللهُ صُوبَ الْمُسْكِرَاتِ جَعْفَرَا

قال : فنقلت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفاً من الشعر وقلت المتوكل : أفل فقد والله غرب عني ذهني ، فلم يزل يعيرني به ، ثم دخلت عليه للنادمة بعد ذلك فقال : يا علي أعلمت أفي قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ، ومنعت أهل القصر من كلامها ، فقلت : يا سيدي إن غاضبتك اليوم فصالحها غداً ، فدخلت عليه من الغد فقال : ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة ، فقالت جاريته ، شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينة فقال : ننظر ما هي ، فقام حافياً حتى وصلنا مقصورتها فاذا هي تغني :

أدورُ في القَصْرِ كِي أَرَى أَحَدًا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَا يُكَلِّمُنِي
فَمَنْ شَفِيعٌ لَنَا إِلَى مَلِكٍ قَدْ زَارَنِي فِي الْكَرَامِ يُعَاتِبُنِي
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ عَادَ لَنَا عَادَ إِلَى هَجْرِهِ فَفَارَقُنِي

فصق المتوكل طرباً ، فلما سمعته خرجت تقبل رجله وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضياً عنها . حدث أبو علي بن الأسكري المصري واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام — قال : كنت من جلاس تميم بن تميم ومن يحف عليه فأثني من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا مجلسائه وقدمت الستارة فغنت :

وَبَدَّ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أُنْذِمَ لِهَوَى بَرَقَ تَالِقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ
يَبْدُو كَهَاشِيَةِ الرِّدَاءِ وَدَوْنَهُ صَعْبُ الزُّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ

وَبَدَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحَ وَلَمْ يَطِقْ نَظْرًا إِلَيْهِ وَهَدَهُ هَيْجَانُهُ
فَالْتَأَرَّ مَا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

قال : فأحسن ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت :

سَيَسْلِمُكَ مِمَّا دُونَ دَوْلَةِ مَفْضَلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنِي اللَّهِ عِظَمِيهِ وَأَلْفَ شَخْصَةٍ عَلَى الْبَرِّ مُذْشَدَّتْ عَلَيْهِ مَازِرُهُ

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قَمَرًا بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْوَارِ مَطْلَعُهُ

فأفرط تميم في الطرب جدا وقال لها : تمني ما شئت فلك مناك ، قالت :
أتمني أيها الأمير عافيتي وسلامتي ، فقال : والله لا بد ان تتمني ، فقالت
على الوفاء أتمني ان أغني هذه النوبة ببغداد ، فتغير وجه تميم ، وتكدر
المجلس وقمنا فلهجتني بعض خدمه فردني ، فلما وقفت بين يديه قال : ويحك
أرأيت ما امتحننا به ولا بدلنا من الوفاء ولم أثق في هذا بغيرك فتأهب لملها
الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت : سمعا وطاعة ، ثم أصبحها جارية
سوداء تخدمها وتعاد لها ، وأمر بناقاة لي فحمل عليها هودج وأدخلت فيه ،
وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجبنا ثم لما وردنا القادسية أتتني السوداء
فقالت : تقول لك سيدتي أين نحن ؟ فقلت لها : نحن الآن بالقادسية
فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا :

لَمَّا رَأَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ حَيْثُ مُجْتَمِعُ الرِّفَاقِ
وَسَمِعْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا زَنْسِيمَ أَفْئَاسِ الْعِرَاقِ
أَبْقَنْتُ لِي وَلَكِنْ أَحِ بِمُجْمَعِ شَمْلٍ وَاتِّفَاقِ

وَضَحِيكَتْ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا ۝ كَمَا بَكَيتُ مِنَ الْفِرَاقِ

فصاح الناس من أقطار القائلة : أعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة ، فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد في بساتين متصلة تبينت الناس فيها ثم يبكرون بغداد ، فلما قرب الصباح اذ السوداء قد أتتني مذعورة فقالت : إن سيدتي ليست بحاضرة ، فلم أجدها ، ولا وجدت لها ببغداد خبرا ، فتقضيت حوائجي وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها ، فلم ينزل واجا عليها . واخبار القينات كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر .

٤٨ - محاسن الجواري مطلقا

قيل ، كان يقال : من أراد قلة المؤنة ، وخفة النفقة ، وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجببت لمن استمتع بالسرايري كيف يتزوج المهاثر ؟ وقال : السرور باتخاذ السرايري ، وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلماء وورعا ، فوجب الناس في اتخاذ السرايري ، قال : وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة : السفاح والمنصور والأمين ، والباقون كلهم أبناء الجواري ، وقد علمت الجواري لأنهن يجعلن عز العرب ودهاء العجم .

(ضده)

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةٌ رَأَى خَلَالًا فِيمَا تَوَلَّى الْوَلَائِدَ
فَلَا يَتَّخِذُ مِنْهُنَّ حُرًّا قَعِيدَةً فَهِنَّ كَعَمْرُ اللَّهِ شَرُّ الْقَعَائِدِ

وكان يقال : الجواري كخبز السوق ، والحرائر كخبز الدور . ومن أمثال العرب : لا تمازح أمة ، ولا تبك على أمة ، وقال بعضهم : لا تفتش من تداولتها أيدي النحاسين ، ووقع ثمنها في الموازين ، وقال : لا خير في بنات الكفر ، وقد نودي عليهن في الأسواق ، ومرت عليهن أيدي الفساق .

٤٩ - محاسن الموت

في الحديث المرفوع (الموت راحة) ، وقال بعض السلف : ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحياة ، لأنه إن كان محسناً قاله يقول « وما عند الله خيرٌ للأبرار » وإن كان مسيئاً قاله تعالى جده يقول أيضاً « وَلَا يَحْشَبْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يُخْلِي لَكُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُخْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا » وقال ميمون بن مهران : أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاءه ومسأله الله الموت فقلت : يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت ، وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً أحييت سنناً ، وأمت بدعاً ، وفعلت ، وصنعت ، ولبقائك رحمة للمؤمنين ، فقال : الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له امره قال « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ » إلى قوله « وأخلفني بالصالحين » فما دار عليه أسبوع حتى مات رحمه الله ، قالت الفلاسفة : لا يستكمل الانسان حد الانسانية إلا بالموت ، لأن حد الانسانية إنه حي ناطق ميت وقال بعض السلف الصالح : اذا مات استراح ، والطالع إذا مات استريح منه قال الشاعر :

وما الموتُ إلا راحةٌ غيرُ أنه أبرّ بنا من كلِّ برٍّ وأزافُ

وقال آخر :

جَزَا اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبْرَ بَنًا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرَأْفُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ النَّفْسِ مِنَ الْأَذَى وَيُذْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وقال منصور الفقيه :

قَدْ قُلْتُ إِنْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَاسْرَفُوا فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرِفُ
مِنْهَا أَمَانُ بَقَائِهِ بَلْقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب :

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَاعْتَقَا
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يُعْشَقَا

وقال لنكك البصري :

نَحْنُ وَاللَّهِ فِي زَمَانٍ غَشُومٍ لَوْ رَأَيْنَاهُ فِي الْمَنَامِ فَرَعْنَا
أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سَوْءِ حَالٍ حَقٌّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنْ يُهَيَّأَا

(ضده)

في الحديث المرفوع (أكثر واذكروها ذم الذات - يعني الموت -)
قال الشاعر :

يَا مَوْتُ مَا أَجْفَاكَ مِنْ نَازِلٍ تَنْزِلُ بِالْمَرءِ عَلَى رَفِيعِهِ
تَسْتَلِيبُ الْعَذْرَاءَ مِنْ خِذْرِهَا وَتَأْخُذُ الْوَاحِدَ مِنْ أُمِّهِ

وقال :

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ لَهُ إِيَابٌ وغائبُ الموتِ لَا يَتُوبُ

وقال بعضهم : الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا ، وقال ابن المعتز : الموت كسهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سفره نحوك ، وقال بعضهم : الموت أشد بما قبله ، وأهون بما بعده ، ونظر الحسن رضي الله عنه الى ميت يدفن فقال : إن شيئاً أوله هذا الحقيق أن يخاف آخره ، وإن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال : مفازة من ركبها ضل خبره ، وعفى أثره . والله أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار . منشيء الخلق أطواراً بعد أطوار . وعلمهم من حكمه وآدابه ما به يتوصل الى تجلية الفكر عن الأغيار . وحلاهم في الآخرة بمشاهدته سبحانه كل شيء عنده بمقدار . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار . وعلى آله وأصحابه وآل بيته الخيرة الأبرار .

أما بعد فقد تم بعون الله طبع هذا الكتاب الذي ينعش النفوس ويؤدها . ويزكي للطباع ويهذبها . فهو كما يصف الواصفون نديم نفيس ، وجليس أنيس ، وسمير كل أمير ، بل أمير كل سمير * ألا وهو كتاب المحاسن والأضداد لمؤلفه العلامة النحوي . والشيخ الكبير . ذو التصانيف العديدة . والرسائل المفيدة . الشيخ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري إمام أهل الأدب رحمه الله ، وذلك بمطبعة الساحل الجنوبي الشياح - لبنان

وقد قام بنفقة طبعه الحاج ابراهيم زين عاصي

صاحب مكتبة العرفان الكبرى

بيروت - شارع سوريا

جزى الله الجميع خير

الجزء

تم طبع هذا الكتاب

على

طبعة الساجد المصنوعي

الشيخ - لبنان

CC
5-11T
PB-36245

b

Back

5

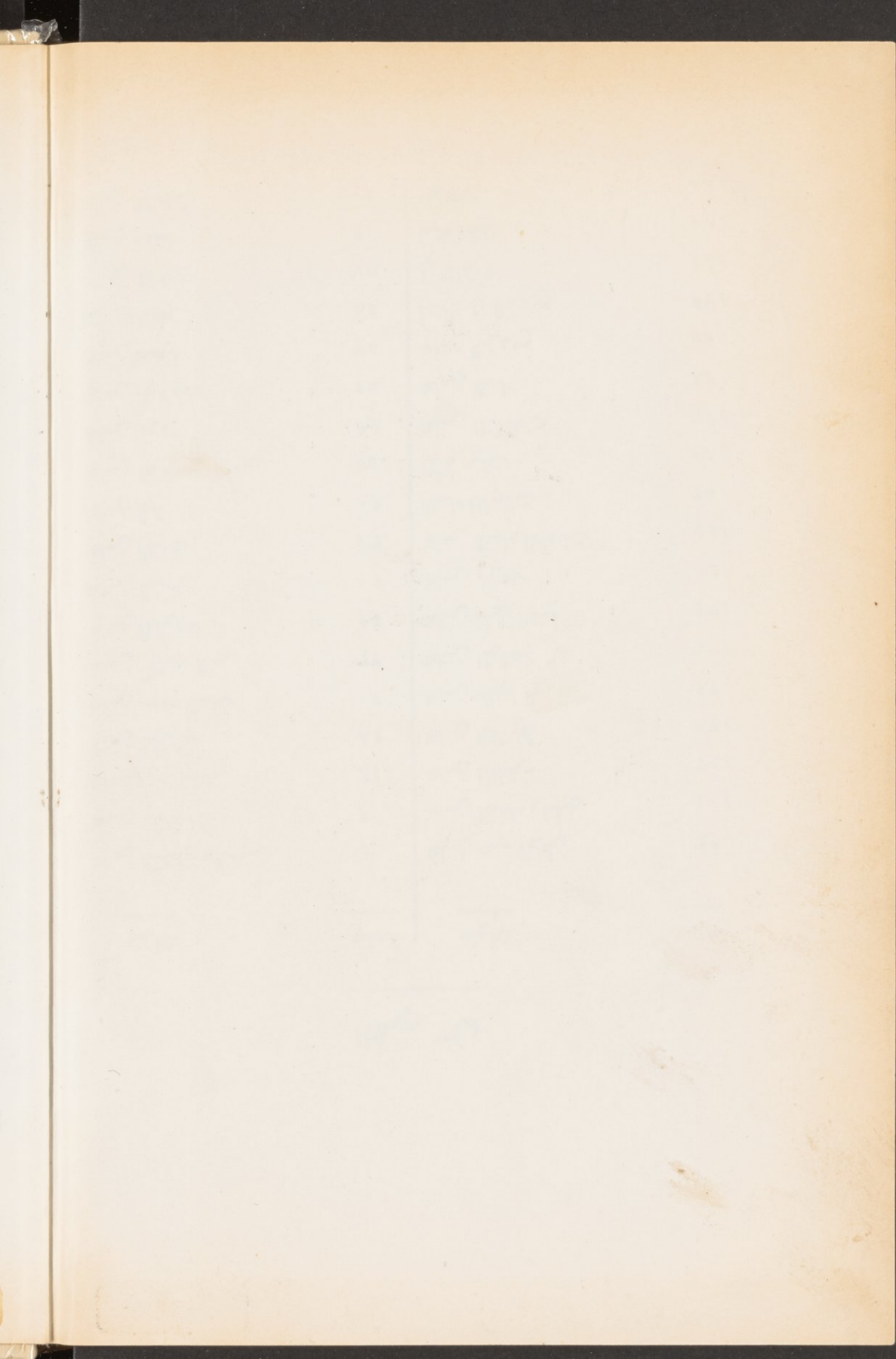
مقدمة	مقدمة	مقدمة	مقدمة
٢٧٢	عائش النساء	١٩٣	عائش وفاة النساء
٢٧٦	عائش التيروز والمجران	٢٠٢	حديث الزباء
٢٨٠	عائش الدانا	٢٠٦	عائش مكي النساء
٢٩٩	عائش اخراقي	٢١٠	مسعودي مكي النساء
٣٠٠	عائش الورت	٢١٢	عائش البيرة
***		٢٣٣	عائش القادة
عنوان	عنوان	عنوان	عنوان

٢

۷۷۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۰۷	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۷۷۱
۵۷۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۱۶	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۵۷۱
۱۷۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۸۵	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۱۷۱
۶۷۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۵۵	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۶۷۱
۳۷۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۴۵	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۳۷۱
۷۶۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۸۵	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۷۶۱
۲۶۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۶۳	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۲۶۱
۰۶۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۳۳	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۰۶۱
۱۵۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۰۳	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۱۵۱
۵۳۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۶۴	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۵۳۱
۱۳۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۰۴	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۱۳۱
۳۶۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۶۲	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۳۶۱
۱۴۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۴۴	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۱۴۱
۶۲۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۰۶	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۶۲۱
۷۲۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۷۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۷۲۱
۸۰۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۳۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۸۰۱
۱۰۱	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۶	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۱۰۱
۴۶	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۳	ت ۱۱۱۱۱۱۱۱	۴۶
منه	منه	منه	منه	منه

الف

न न न न न न न न न न न न न न न





**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UN
LIBRA

بعض المنشورات الصادرة عن مكتبة العرفان

اراء أهل المدينة الفاضلة	٢٠٠	البخلاء ١ - ٢	٦٠٠
الدين في قصص ١ - ٣	٢٢٥	الحيوان ١ - ١٧	١٧٠٠
سقىنة النجاة	٢٠٠	ينابيع المودة ١ - ٣	٦٠٠
الفصائل لابن ساذان	٢٠٠	اخبار الاعيان في جبل لبنان ١ - ٢	١٠٠٠
الهروي الغروي	١٠٠	دستور العرب القومي	٢٠٠
زراعة الاشجار المثمرة	٣٠٠	قبل وبعد للرياش	٣٠٠
الادب الكبير والادب الصغير	٢٥٠	العرف الطيب في شرح ديوان ابو الطيب المتنبي ١ - ٤	١٠٠٠
مجنون ليلى	١٥٠	ديوان السيد محمد سعيد الجبوبي	٦٠٠
مصرع كيلوباتره	١٢٥	بائعة الخبز ١ - ٣	٣٠٠
الدليل لقواعد تصليح السيارات	٥٠٠	شرح ديوان الشريف الرضي ١ - ٥	١٥٠٠
الجداول ايليا ابو ماضي	٣٠٠	الدروز ظاهريهم وباطنيهم	٢٥٠
ارشاد القلوب	٢٥٠	الماسونية منشئه ملك اسرائيل	٢٥٠
التاج في اخلاق الملوك	٥٠٠	اصل الشيعة واصولها	٢٥٠
شخصيتك في يدك	١٥٠		

طبعة الساحل الجنوبي

سعر النسخة ٥٠٠ غ. ل